

- قررت وزارة التربية والتعليم تدريس
- هذا الكتاب وطبعه على نفقتها



المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي

الحديث والثقافة الإسلامية

للفيف الثاني الثانوي

قسم العلوم الشرعية والعربية

(بنين)

يوزع مجاناً ولا يُبَاع

طبعة ١٤٢٨هـ - ١٤٢٩هـ
٢٠٠٧م - ٢٠٠٨م

ح) وزارة التربية والتعليم ، ١٤١٩هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السعودية، وزارة التربية والتعليم

الحديث والثقافة الإسلامية : للصف الثاني الثانوي قسم العلوم الشرعية والعربية. - الرياض.

٢٠٢ ص ٢٣×٢١ سم

ردمك : ١ - ١٩٣ - ١٩ - ٩٩٦٠

١ - الحديث - كتب دراسية ٢ - الثقافة الإسلامية - كتب دراسية

٣ - التعليم الثانوي - السعودية - كتب دراسية. أ - العنوان

١٩ / ٢١٢٥

دبوي ٧١٢، ٢٣٠

رقم الإيداع : ١٩ / ٢١٢٥

ردمك : ١ - ١٩٣ - ١٩ - ٩٩٦٠

لهذا الكتاب قيمة مهمة وفائدة كبيرة فحافظ عليه

واجعل نظافته تشهد على حسن سلوكك معه...

إذا لم تحتفظ بهذا الكتاب في مكتبتك الخاصة في آخر

العام للاستفادة فاجعل مكتبة مدرستك تحتفظ به...

موقع الوزارة

www.moe.gov.sa

موقع الإدارة العامة للمناهج

www.moe.gov.sa/curriculum/index.htm

الإدارة العامة للمناهج وحدة العلوم الشرعية

runit@moe.gov.sa

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لوزارة التربية والتعليم

بالمملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له ، وأن محمداً رسول الله ﷺ .

أما بعد :

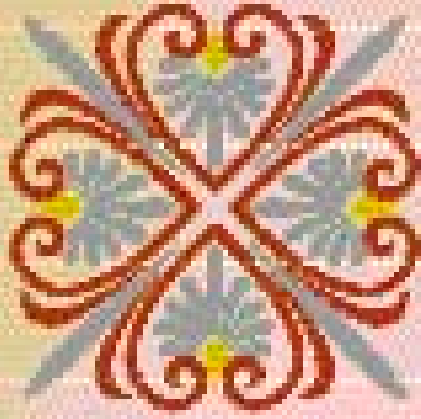
فهذا مقرر مادة الحديث والثقافة الإسلامية للصف الثاني الثانوي - قسم العلوم الشرعية والعربية - وقد توخينا فيه حسن العرض والترتيب ، وسهولة العبارة ، والاعتماد على المصادر الأصلية ما استطعنا ، مع الاهتمام بتخريج النصوص والعزو للمراجع العلمية ، ليتزود منها كل من المعلم والطالب ، فما أصبنا فيه فمن الله وحده ، وبتوفيق منه ، وما أخطأنا فنسأل الله العفو والصفح .

وختاماً نسأل الله تعالى أن ينفع به ويكتب له القبول ، كما نرجو من زملائنا المعلمين والمربين ألا يبخلوا بما عندهم من آراء وملحوظات علمية وتربوية تسير بالمقرر قدماً نحو الأفضل .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ،،،،

فهرس الموضوعات

| الصفحة | الموضوع | الصفحة | الموضوع |
|--------|--|--------|---|
| ١٠٠ | الضيافة وآدابها | ٥ | المقدمة |
| ١٠٣ | النوم و الاستيقاظ وآدابهما | | الفصل الدراسي الأول |
| ١٠٧ | الكون والإنسان و الحياة في نظر الإسلام | ٧ | أولاً : الحديث : |
| | الفصل الدراسي الثاني | ٨ | الحديث الأول |
| ١١١ | أولاً : الحديث : | ١٣ | الحديث الثاني |
| ١١٢ | الحديث العاشر | ١٨ | الحديث الثالث |
| ١١٥ | الحديث الحادي عشر | ٢٢ | الحديث الرابع |
| ١١٨ | الحديث الثاني عشر | ٢٦ | الحديث الخامس |
| ١٢١ | الحديث الثالث عشر | ٣٠ | الحديث السادس |
| ١٢٤ | الحديث الرابع عشر | ٣٣ | الحديث السابع |
| ١٢٨ | الحديث الخامس عشر | ٣٧ | الحديث الثامن |
| ١٣٣ | الحديث السادس عشر | ٤٠ | الحديث التاسع |
| ١٣٧ | ثانياً : الثقافة الإسلامية : | ٤٦ | ثانياً : الثقافة الإسلامية : |
| ١٣٨ | حقوق الراعي و الرعية | | صور من بطولة النبي ﷺ و أصحابه رضي الله عنهم . |
| | تكريم الإسلام للمرأة، وخطورة | ٤٧ | صور من تحمل الأذى في الدعوة إلى الله |
| ١٤٤ | الاختلاط | ٥٠ | من خصائص الشريعة الإسلامية |
| ١٥٠ | حقوق الزوجين | ٥٣ | الشخصية المتميزة للمسلم |
| ١٥٥ | تعدد الزوجات في الإسلام | ٥٧ | الشباب |
| ١٥٩ | حقوق الأولاد | ٦٢ | الشجاعة والرجولة |
| ١٦٤ | آفات اللسان | ٦٨ | المال في الإسلام |
| ١٧٠ | القلوب وأمراضها | ٧٢ | الإنفاق وآدابه |
| ١٧٥ | العفة | ٧٧ | المسجد وآدابه |
| ١٧٩ | المحاسبة | ٨١ | الجار وحقوقه |
| ١٨٣ | الخطر الصليبي | ٨٨ | التحية وآدابها |
| ١٨٨ | المذاهب الهدامة | ٩١ | الزيارة وآدابها |
| ١٩٩ | المجالس وآدابها | ٩٦ | |



الفصل الدراسي الأول

أولاً: الحديث الشريف



الحديث الأول

عن أنس بن مالك (أنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ، وأن يحبّ المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » متفق عليه^(١) .

التعريف بالراوي :

هو الصحابي الجليل، أبو حمزة أنس بن مالك بن النضر النجّاري الخزرجي، الإمام، المقرئ، المفتي، المحدث، راوية الإسلام، خادم رسول الله ﷺ، قال الذهبي رحمه الله : صحب النبي ﷺ أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة، منذ أن هاجر وإلى أن مات، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة، روى الترمذي وغيره أنه قال : خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما ضربني، ولا سبني، ولا عبس في وجهي، دعا له النبي ﷺ بكثرة المال والولد، فاستجيب دعاؤه ﷺ، فبلغ أولاده قبيل موته أكثر من مئة، مات سنة إحدى وتسعين، وقيل بعدها، وهو آخر من مات من الصحابة بالبصرة حزن له الناس حزنا شديداً، حتى قيل : قد ذهب نصف العلم^(٢) .

المباحث اللغوية

| معناها | الكلمة |
|------------------|--------|
| أي : ثلاث خصال . | ثلاث |

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ١ / ٣٠ واللفظ له ، ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ، ٢ / ٢١٠ .

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٩٥ ، تهذيب التهذيب ١ / ٣٧٦ .

من كُنَّ فيه وجد حلاوة
الإيمان :

كُنَّ، أي : حصلن، فهي (كان) التامة، والمراد : ثلاث من حصلن له
وجد حلاوة الإيمان، وهي التلذذ بطاعة الله تعالى، واطمئنان القلب
وانشراحه. قال ابن حجر رحمه الله: قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة :
إنما عبّر بالحلاوة؛ لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى :
﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً صَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾^(١)، فالكلمة هي
كلمة الإخلاص، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانها اتباع الأوامر
واجتناب النواهي، وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل
الطاعات، وحلاوة الثمر جني الثمرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة،
وبه تظهر حلاوتها . اهـ^(٢)

المراد بذلك أن تكون العلاقة بين المسلم وأخيه المسلم قائمة على الإيمان
بالله والعمل الصالح، وعلامة ذلك أنه لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء .
ذكر أهل العلم أن المراد بذلك أن من وجد حلاوة الإيمان وعلم أن
الكافر في النار فإنه يكره الكفر لكرهته لدخول النار .

وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله :
وأن يكره أن يعود في الكفر
كما يكره أن يقذف في النار :

الأحكام والتوجيهات :



١- للإيمان بالله تعالى حلاوة لا يتذوق طعمها إلا المؤمنون الصادقون الذين يتصفون بصفات تؤهلهم
لذلك، وليس كل من ادعى الإيمان يجد هذه الحلاوة .

٢- محبة الله تعالى، ومن ثم محبة رسوله ﷺ أهم صفات من يتذوق طعم الإيمان، فمحبة الله تعالى ومحبة
رسوله ﷺ لا تعلق عليها أي محبة^(٣)، بل هي مقدمة على محبة النفس والوالد والولد والناس أجمعين،

(١) آية ٢٤ من سورة إبراهيم .

(٢) ينظر : فتح الباري ١ / ٦٠ .

(٣) للاستفادة انظر مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤٨ / ١٠ .

وقد قال عمر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « لا، والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك » فقال عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « الآن يا عمر »^(١).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين »^(٢).

ولازم هذه المحبة :

الاستجابة لما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والانتفاء عما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، مع الرضى والتسليم التام، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾^(٣).

- ٣ - ذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله - الأسباب الجالبة لمحبة الله تعالى بعد فعل الفرائض، ومنها:
 - أ- قراءة القرآن بتدبرٍ وتمعنٍ.
 - ب- التقرب إلى الله بالنوافل.
 - ج- دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل.
 - د- إيثار محابته على محاب النفس.
 - هـ- مجالسة المحبين الصادقين.
 - و- مباحة كل سبب يحول بين القلب وبين الله^(٤).

- ٤- محبة النبي صلى الله عليه وسلم من لازم محبة الله تعالى ، وفوق محبة كل مخلوق، ولها علامات، منها:
 - أ- الإيمان بأنه رسول من عند الله أرسله الله إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً.
 - ب- تمنّي رؤيته صلى الله عليه وسلم والحزن على فقدها.
 - ج- امتثال أوامره صلى الله عليه وسلم واجتناب نواهيه، فالمحب لمن يحب مطيع، فمن خداع النفس أن تُدعى محبته وتُخالف أوامره وتُرتكب نواهيه .

(١) رواه البخاري في الأيمان والنذور ، باب كيف يمين النبي صلى الله عليه وسلم ١١/٥٢٣ رقم (٦٦٣٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب حب الرسول من الإيمان ١/٥٨ ، رقم (١٥) .

(٣) آية ٣١ من سورة آل عمران .

(٤) انظر إلى مدارج السالكين لابن القيم (٣/١٧-١٨) بتصرف .

د- نصر سنته ، والعمل بها ، ونشرها ، والذب عنها ، والمجاهدة في سبيل ذلك .

هـ- كثرة الصلاة والسلام عليه .

و- التخلق بأخلاقه ، والتأدب بأدابه .

ز- محبة أصحابه ، والذب عنهم .

ح- محبة الاطلاع على سيرته ، ومعرفة أخباره .

٥ - ينبغي أن تكون العلاقة بين المسلم وأخيه المسلم قائمة على المحبة في الله تعالى . ولهذه المحبة

فضل عظيم وثواب جليل ، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة ، منها ما رواه الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله عنه -

- أن رسول الله ﷺ قال : « **سبعة يُظِلُّهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه...** » وذكر منهم « **رجلان**

تحابًا في الله ، اجتمعا عليه وافترقا عليه »^(١) .

٦- من حقوق المحبة في الله تعالى :

(أ) قضاء الحاجات والقيام بها، فخير الناس أنفعهم للناس .

(ب) السكوت عن ذكر العيوب، والتماس العذر عند وقوع الخطأ، فكما تحب أن يستر المسلم

عيوبك فأحب له ذلك.

(ج) عدم الغلِّ والحقد والحسد لما أنعم الله به على أخيك.

(د) الدعاء للأخ - في ظهر الغيب - في حياته وبعد مماته، فالدعاء في ظهر الغيب مستجاب،

وللداعي مثله.

(هـ) مبادرته بالتحية والسلام ، والسؤال عن أحواله ، والتفقد لها ، وتجنب الكبر والغرور .

(و) النصح لكل مسلم .

٧- الكفر بغيبُض إلى الله تعالى، ويجب أن يكرهه المؤمن كما يكره أن يقذف في النار، والكافر بغيبُض عند الله

تعالى، ويجب أن يكرهه المؤمن لما اتصف به من هذه الصفة الذميمة التي تؤدي بصاحبها إلى النار، وعليه

فمواالات الكفار سبب لسخط الله تعالى وغضبه، ومن صور المواالات : محبتهم ومداهنتهم ومصاحبتهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ٢٠٩/١ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة

٧١٥/٢ برقم (١٠٣١) .

واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين ، يقول تعالى : ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْهُمْ ثَمَنًا... الآية﴾ (١).

ولا يعني هذا عدم التعامل معهم أو معاملتهم بالأخلاق الحسنة فالتعامل يجب بالحسنى كما قال تعالى : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (٢). وقال ﷺ : « **وخالق الناس بخلق حسن** » (٣).

الأسئلة

- س ١ : مَنْ أنس بن مالك ؟ اذكر شيئاً مما تميّز به .
- س ٢ : لِمَ عبّر في الحديث بالحلاوة ؟ وأين يجد طعمها ؟
- س ٣ : محبة الله تعالى غايةٌ يطلبها المؤمن، عدّد بعض الأمور الجالبة لمحبة الله تعالى .
- س ٤ : رأيت شخصاً يرمي أوراقاً فيها أحاديث عن الرسول ﷺ ، ما موقفك من ذلك ؟

نشاط

يحاول الطالب ذكر نماذج من الواقع المعاصر لما يقوم به الكفار تجاه نبينا محمد ﷺ للنيل منه والتقليل من شأنه والخط من قدره.

(١) آية ٢٨ من سورة آل عمران .

(٢) آية ٨٣ من سورة البقرة . وهكذا كان الرسول [في سيرته العملية .

(٣) رواه الترمذي ٣٥٥ / ٤ / ح ١٩٨٧ وقال : هذا حديث حسن صحيح وانظر كلام ابن رجب عليه في شرح الحديث (١٨) من جامع العلوم والحكم .

الحديث الثاني

عن مُحمران مولى عثمان بن عفان ، أنه رأى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - دعا بوضوء ، فأفرغ على يديه من إنائه ، فغسلها ثلاث مرات ، ثم أدخل يمينه في الوضوء ، ثم تمضمض واستنشق واستنثر ، ثم غسل وجهه ثلاثاً ، ويديه إلى المرفقين ثلاثاً ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل كل رجل ثلاثاً ، ثم قال : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ نحو وضوئي هذا ، وقال : « من توضأ نحو وضوئي هذا ، وصلى ركعتين لا يُحدِّث فيهما نفسه عُفِّر له ما تقدم من ذنبه » متفق عليه ^(١) .

التعريف بالراوي :

هو مُحمران - بضم الحاء المهملة وسكون الميم - ابن أبان ، مولى عثمان رضي الله عنه ، أدرك أبا بكر وعمر ، وروى عن عثمان ومعاوية ، من تابعي أهل المدينة ومحدثيهم ، مات سنة خمس وسبعين ، وقيل بعدها ^(٢) .

التعريف بالصحابي :

هو الصحابي الجليل عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ، أمير المؤمنين ، وثالث الخلفاء الراشدين ، ويلقب بذي النورين ، أسلم في أول الإسلام ، وكان يقول : إني لرابع أربعة في الإسلام ، زوجه النبي صلى الله عليه وسلم بابنته رُقِيَّة رضي الله عنها ، وهاجرا معاً إلى الحبشة المهجرتين ، ثم هاجرا إلى المدينة ، ولما توفيت رقية - رضي الله عنها - زوجه النبي صلى الله عليه وسلم ابنته أم كلثوم رضي الله عنها ، لم يشهد عثمان - رضي الله عنه - بداراً ؛ لتمريضه لزوج رقية ، وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهم ، ولم يبايع تحت الشجرة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالذهاب إلى مكة سفيراً

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الوضوء ، باب المضمضة في الوضوء ٢٦٦/١ واللفظ له ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الطهارة ، باب صفة الوضوء وكما له ٢٠٤/١ ، ٢٠٥ برقم (٢٢٦) .

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٤/١٨٢ ، تهذيب التهذيب ٣/٢٤ .

عن رسول الله ﷺ ليفاوضهم في دخولها، وضرب رسول الله ﷺ يده بالأخرى عن عثمان، وجهز عثمان - ﷺ - نصف جيش العُسرة المتوجّه إلى تبوك من ماله، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن يوصف بالحياء، وورد أنه تستحي منه الملائكة، بويع بالخلافة سنة أربع وعشرين، وقتل - ﷺ - آخر سنة خمس وثلاثين^(١).

المباحث اللغوية



| معناها | الكلمة |
|--|--------------|
| تضبط بفتح الواو، فيكون المعنى: الماء الذي يتوضأ به وهو المراد بقوله (دعا بوضوء)، وبضم الواو يكون المراد: فعل الوضوء كما في قوله (نحو وضوئي هذا). | وضوء |
| المضمضة: أن يجعل الماء في فيه، ويديره ثم يمجه، وهذا كمال المضمضة، وأقلها: أن يجعل الماء في فيه ثم يخرج. | تمضمض |
| اجتذب الماء بالنفس إلى باطن الأنف. | استنشق |
| أخرج الماء من أنفه بعد الاستنشاق. | استنثر |
| حدّ الوجه طولاً: من منابت شعر الرأس ^(٢) . إلى ما انحدر من اللحيين والذقن جميعاً، وعرضاً من الأذن إلى الأذن. | وجهه |
| بكسر الميم وفتح الفاء وعكسه لغتان مشهورتان، وهو: مجتمع العظمين المتداخلين، وهما طرفا عظم العضد، وعظم الذراع، وهو الذي يتكئ عليه المتكئ. | إلى المرفقين |
| إلى: لها معنيان: | |
| أ- بمعنى: مع، فيكون المعنى: مع المرفقين. | |
| ب- تكون بمعنى الغاية، فيكون ما بعدها داخلاً فيما قبلها إذا كان من جنسه، ويكون خارجاً إذا لم يكن من جنسه، تقول مثلاً: بعثك هذه الأشجار من هذه إلى هذه، فما بعد إلى داخل فيما قبلها، وهكذا، والمراد بالحديث أن المرفقين داخلان في الغسل. | |

(١) ينظر: تهذيب التهذيب ٧/ ١٣٩، والإصابة ٢/ ٤٦٢. (٢) الاعتبار بالمنابت المعتادة.

برأسه
لا يحدّث فيها نفسه

الباء هنا للتعدية، يجوز حذفها وإثباتها، فالفعل (مَسَحَ) يتعدى بها وبنفسه .
أي من أمور الدنيا مما يستطيع دفعها.

الأحكام والتوجيهات :



١- دل الحديث على مشروعية غسل الكفين، ثلاثاً قبل إدخالهما في الإناء، ويتأكد ذلك في حق القائم من نوم ليل لقول النبي ﷺ: « **إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يده قبل أن يدخلها في وضوءه فإن أحدكم لا يدري أين بات يده** »^(١).

٢- دلّ الحديث على وجوب المضمضة والاستنشاق في الوضوء، ومما يؤيد ذلك أن جميع من وصف وضوء النبي ﷺ ذكر المضمضة والاستنشاق^(٢). ولأن الفم والأنف عضوان من الوجه، فوجب غسلها.
ومن أحكام المضمضة والاستنشاق :

أ - المبالغة فيها سنة مؤكدة لغير الصائم، وذلك لما يخشى من تسرب الماء إلى جوفه.

ب - يستحب أن يتمضمض ويستنشق بيمينه، ويستنثر بشماله.

ج - لا يجب الترتيب بينهما وبين الوجه، ولكن تستحب البداءة بهما؛ لأن كل من وصف وضوء النبي ﷺ ذكر أنه بدأ بهما.

٣ - مما يدل عليه الحديث أيضاً وجوب غسل الوجه في الوضوء بحدوده المذكورة، ومما يُنبّه إليه هنا أن الشعر الذي في الوجه داخل فيه فيجب غسله، وإذا كانت اللحية كثيفة بمعنى أنها لا تُرى البشرة من تحتها فيستحب تخليلها.

٤- من فروض الوضوء : غسل اليدين إلى المرفقين ، فالمرفقان داخلان فيما يجب غسله ؛ لما سبق ذكره في معنى (إلى) .

٥- لا خلاف بين أهل العلم في وجوب مسح الرأس، والرأس ما اشتملت عليه منابت الشعر المعتادة،

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الوضوء - باب الاستنجار وترأ / ٢٦٣ .

(٢) ينظر : صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ج ١ ففيه عدد من الأحاديث تفيد ذلك .

والواجب مسح عموم الرأس . وكيفية مسحه : أن يأخذ الماء بكفيه، ثم يرسله، ثم يلصق طرف سبابته بطرف سبابته الأخرى ، ثم يضعهما على مقدم رأسه، ثم يذهب بهما إلى قفاه، ثم يردهما إلى المكان الذي بدأ منه . ويدخل في مسح الرأس مسح الأذنين ، ولا يأخذ لهما ماء جديداً، فيكفي الماء الذي مسح به الرأس .
٦- من فروض الوضوء : غسل الرجلين إلى الكعيبين، والكعبان هما : العظمان الناتان عند ملتقى الساق مع القدم .
٧- الواجب في غسل أعضاء الوضوء مرة واحدة، وما زاد فهو مستحب، وكمال الاستحباب ثلاث مرات إلا مسح الرأس فمرة واحدة، أما ما زاد عن الثلاث فيكره كراهة شديدة، قال الإمام أحمد رحمه الله : « لا يزيد على الثلاث إلا رجل مبتلى »^(١) .

٨ - دل الحديث على وجوب الترتيب في الوضوء بين الأعضاء المذكورة، ويؤيده أن جميع من وصف وضوء النبي ﷺ وصفه على ما ذكر في الحديث، وكذا دلالة الآية :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾^(١) .

٩- من فروض الوضوء : الموالاة فيه، وهي عدم التفريق بين أعضاء الوضوء تفريقاً طويلاً، أما التفريق اليسير فلا يضر .

١٠- من فضل الله تعالى أن شرع صلاة ركعتين أو أكثر بعد الوضوء، وتكون حينئذ سبباً لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات، والمراد بالذنوب المغفورة : الذنوب الصغائر؛ لأن الكبائر لا يكفرها إلا التوبة منها .
١١- حُرِّصَ الصحابة رضي الله عنهم على الاقتداء والتأسي برسول الله ﷺ ونقل سنته إلى الناس، وهكذا تكون صفة طالب العلم الاقتداء والاتباع ونشر السنة .

١٢- على المتوضى أن يذكر اسم الله تعالى عند بداية الوضوء، كما يستحب له عند انتهائه أن يدعو بما ثبت في قول النبي ﷺ « ما منكم من أحد يتوضأ فَيُبْلِغُ (أَوْ يُسِغُ) الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبد الله ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثانية يدخل من أيها شاء »^(٢) .

١٣- دين الإسلام دين الطهر والنظافة، نظافة الظاهر بالوضوء والغسل وغيرهما، ونظافة الباطن بتخليصه

(١) انظر المغني لابن قدامة ١/ ١٤٠ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء رقم (٢٣٤) .

مما يشوبه من الأحقاد والضغائن ونحوها، ولأهمية هذا الأمر ربط الإسلام النظافة الحسية بالعبادة التي يقوم بها المسلم ليلاً ونهاراً.

١٤- الاستعجال في الوضوء قد يؤدي إلى الإخلال به ، ومن ثم يُعَرِّض المتوضئ نفسه للعقاب والوعيد الشديد، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : رجعنا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة حتى إذا كنا بماء بالطريق تعجل قوم عند العصر فتوضئوا وهم عجال فانتبهنا إليهم وأعقابهم تلوح لم يمسه الماء، فقال رسول الله ﷺ : « **ويل للأعقاب من النار، أسبغوا الوضوء** »^(١) والمعنى : ويل للذين يتركون أعقابهم فلا يمسه الماء.

الأسئلة



س ١ : ما الفرق بين كل من :

أ- الاستنشاق والاستنثار؟

ب- المرفقين والكعيبين؟

س ٢ : من فروض الوضوء مسح الرأس ، بيّن كيفية ذلك.

س ٣ : طرقت عليك صديقاً باب بيتك وأنت تتوضأ، فذهبت لفتح الباب، ثم رجعت لإكمال الوضوء،

فهل تكمله أو تبدأ من جديد؟

س ٤ : ما الذكر المشروع بعد الوضوء؟ وما فضله؟

س ٥ : دلّ الحديث على أهمية النظافة الحسية والمعنوية، وضح ذلك.

نشاط



اكتب مع مجموعتك بعض الأخطاء التي يقع فيها بعض الناس عند الوضوء، ثم اعرضها

على معلمك.

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم باب من رفع صوته بالعلم رقم (٦٠) ، ورواه مسلم في الطهارة باب وجوب غسل الرجلين ١/٢١٤ رقم (٢٤١) وهذا لفظه وليس في البخاري هنا ((أسبغوا الوضوء)).

الحديث الثالث

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ دخل المسجد، فدخل رجل فصلي، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد النبي ﷺ السلام، فقال: «ارجع فصل، فإنك لم تُصَلِّ» فصلي، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فقال: «ارجع فصل فإنك لم تُصَلِّ» ثلاثاً. قال: والذي بعثك بالحق ما أحسنُ غيره، فعلمني، قال: «إذا قُمتَ إلى الصلاة فكبر، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن، ثم اركع حتى تطمئنَّ راکعاً، ثم ارفع حتى تعتدل قائماً، ثم اسجد حتى تطمئنَّ ساجداً، ثم ارفع حتى تطمئنَّ جالساً، ثم اسجد حتى تطمئنَّ ساجداً، ثم ارفع ذلك في صلاتك كلها» متفق عليه ^(١).

التعريف بالراوي :

هو الصحابي الجليل، سيّد الحفاظ الأثبات، أبو هريرة رضي الله عنه، اختلف في اسمه واسم أبيه على أقوال كثيرة، أرجحها أنه: عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أسلم عام خير، أوّل سنة سبع قال الذهبي: «حمل عن النبي ﷺ علماً كثيراً طيباً مباركاً فيه، لم يلحق في كثرته». ولم يرو أحد عن النبي ﷺ أكثر منه؛ لملازمته له، فقد بلغت مروياته ٥٣٧٤ حديثاً. روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنكم تقولون: إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ﷺ، وتقولون: (ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله ﷺ بمثل حديث أبي هريرة؟ وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا، وأحفظ إذا نسوا. وكان يشغل إخوتي من الأنصار عمل أموالهم، وكنت امرأة مسكيناً من مساكين الصفة أعي حين ينسون، وقد قال رسول الله ﷺ في حديث يحدثه: **إنه لن يبسط أحد**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة ٢/٢٧٦، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ١/٢٩٨ برقم ٣٩٨.

ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول، فبسطت نمرّة علي، حتى إذا قضى رسول الله ﷺ مقالته جمعتها إلى صدري، فما نسيت من مقالة رسول الله ﷺ من شيء (١).
توفي أبوهريرة - رضى الله عنه - سنة سبع وخمسين للهجرة (٢).

المباحث اللغوية

| معناها | الكلمة |
|--|---|
| اسمه خَلَادٌ بن رافع - رضى الله عنه - . المقصود بالصلاة هنا : تحية المسجد. أي : أعد صلاتك؛ لأن الصلاة الأولى لم تجزئك. قال جمهور أهل العلم : المراد بذلك قراءة الفاتحة، ويؤيده ما جاء في رواية الإمام أحمد وأبي داود والنسائي من حديث رفاعة بن رافع : « ثم اقرأ بأَم القرآن ، وبما شاء الله » (٣). | فدخل رجل ارجع فصل فإنك لم تُصلِّ ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن |

الأحكام والتوجيهات :

- ١- هذا الحديث العظيم يسميه العلماء : (حديث المسيء في صلاته)، وذلك لما وقع فيه من إساءة الرجل صلاته، وأمر الرسول ﷺ له بالإعادة.
- ٢- دلّ الحديث على وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة من ركعات الصلاة، ويؤيد ذلك ما رواه الشيخان عن عبادة بن الصامت - رضى الله عنه - أن النبي ﷺ قال : « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » (٤).
- ٣- الطمأنينة في الصلاة ركن من أركانها لا تصح الصلاة بدونها، ولذلك أمر الرسول ﷺ المسيء

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب البيوع باب ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ قَدْ أَفْسَدْتُمُ الصَّلَاةَ فَانْتَرَسُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ ابرقم (٢٠٤٧) .

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٢/ ٥٧٨ ، وتهذيب التهذيب ١٢/ ٢٦٢ .

(٣) ينظر : فتح الباري ٢/ ٢٧٨ .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها ٢/ ٢٣٦ ، ٢٣٧ ومسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة

الفاتحة في كل ركعة ١/ ٩٥ م رقم (٣٩٤) .

في صلاته أن يعيدها؛ لأنها فقدت هذا الركن، وَحَدُّ الطَّمَأِينَةِ رجوع أعضاء الجسد إلى استقرارها وقراءة الذِّكْرِ الواجب، وهذه الطَّمَأِينَةُ تكون في أفعال الصلاة كلها من القيام، والركوع، والرفع منه، والسجود، والرفع منه، والجلوس للتشهد.

- ٤- ما ذكر في الحديث من الأركان واجب في كل ركعة ما عدا تكبيرة الإحرام، فهي في الركعة الأولى فقط.
- ٥- في الحديث الحثُّ على المبادرة لتعليم الجاهل، وتنبية الغافل، وبخاصة ما يتعلق بأمر العبادات، وينبغي أن يكون هذا التعليم برفق ولين، وتوضيح وبيان، من غير شدة ولا عنف.
- ٦- من آداب المتعلم :

أ- الإصغاء إلى معلمه برغبة وحرص، لكي يستفيد من معلمه، فهذا الرجل أصغى إلى رسول الله ﷺ لكي يسمع منه ما يحسن به صلاته.

- ب- الأدب الجَمِّ، واحترام المعلم في التلقِّي منه؛ لكي يستوعب المتعلم ما أراد المعلم تعليمه.
- ج- السؤال والمناقشة إذا لم يتبين مقصود المعلم، أو لم يستوعب المتعلم ما قصده المعلم، قال مجاهد رحمه الله: ((لا يتعلم العلم مُسْتَحِي ولا مُسْتَكْبِر))^(١).

- ٧- محض النصيحة للمتعلم من أنفع ما يقدمه العالم والمدرس لطلابه، اقتداء بالمعلم الأول ﷺ.
- ٨ - تغيير الأسلوب في التعليم وفي الإجابة عن الأسئلة، أمرٌ يقتضيه التعليم، فأفهام الناس متفاوتة، واستيعابهم متباين.

٩- مما يستنبط من الحديث مشروعية تحية المسجد، حيث دخل هذا الرجل المسجد فصلى ركعتين، ولما لم يحسنها أمره الرسول ﷺ بالإعادة.

١٠- مشروعية السلام، ولو كان الفاصل بين الشخصين زمناً يسيراً.

- ١١- وأخيراً: حسن خلق النبي ﷺ ومعاشرته لأصحابه، ولطفه معهم، ومحبته لهم، فينبغي الاقتداء به ﷺ في أحواله كلها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرٍ﴾^(٢).

(١) ذكره البخاري تعليقاً كتاب العلم، باب الحياء في العلم، ٢٢٨/١.

(٢) آية ٢١ من سورة الأحزاب.

الأسئلة



- س ١ : لمّ أمر الرسول ﷺ الرجل أن يعيد صلاته؟ وهل تعتبر الصلاة الأولى باطلة؟ علل لذلك.
- س ٢ : قال الرسول ﷺ: « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » ما درجة هذا الحديث؟ وما علاقته بحديث المسيء صلاته؟
- س ٣ : رأيت شاباً في مسجد المدرسة يُسرع في صلاته، ماذا تعمل نحوه؟
- س ٤ : خرجت من فصلك ثم رجعت إليه، ما أوّل عمل تقوم به في ضوء ما استفدته من الحديث؟
- س ٥ : عدد بعض أخلاق النبي ﷺ واربطها بالحديث.

نشاط



يقسم المعلم طلابه إلى مجموعتين تشتركان في رصد الأخطاء التي تقع من بعض المصلين، مع كتابة رسالة توجيهية بهذا الخصوص.

الحديث الرابع

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إِنْ أَثْقَلَ صَلَاةٌ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ الْعِشَاءِ وَصَلَاةُ الْفَجْرِ ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لِأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامَ ، ثُمَّ أَمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّيَ بِالنَّاسِ ، ثُمَّ أَنْطَلِقَ مَعِيَ بِرِجَالٍ مَعَهُمْ حُزْمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَى قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأُحَرِّقُ عَلَيْهِمْ بَيْوتَهُمْ بِالنَّارِ** » متفق عليه، واللفظ لمسلم^(١).

التعريف بالراوي :

سبق التعريف به في الحديث الذي قبله .

المباحث اللغوية

| معناها | الكلمة |
|--|---|
| أثقل : أفعل تفضيل من الثقل، والمراد بالثقل : المشقة. أصل النفاق في اللغة : الستر، وسُمِّي النفاق بذلك؛ لأنه يستر كفره ويظهر الإيمان. والمراد بالمنافقين هنا : الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر. أي : من مزيد الفضل والأجر. أي : الصلاتين، والمعنى : لأتوا إلى المسجد ليصلوا مع الجماعة. | أثقل صلاة على المنافقين لو يعلمون ما فيهما لأتوهما |

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة ١٢٥/٢، ١٤١/٢، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب فضل صلاة الجماعة ٤٥١/١ برقم (٦٥١).

ولو حَبَوًّا

أي : يزحفون إذا منعهم مانع من المشي، كما يزحف الصغير على يديه ورجليه. قال النووي : معناه : لو يعلمون ما فيهما من الفضل والخير، ثم لم يستطيعوا الإتيان إليهما إلا حَبَوًّا لحبوا إليهما ولم يُفَوِّتوا جماعتهما في المسجد^(١).
الهم : العزم ، وقيل : دون العزم.

ولقد هممت

الأحكام والتوجيهات :

١- هذا الحديث أصلٌ في وجوب صلاة الفريضة جماعة في المسجد^٢، وذلك أن الرسول ﷺ رَتَّبَ العقوبة بالنار على مَنْ يتخلف عن صلاة الجماعة من غير عذر شرعي.

ومما يعضد هذا الحديث ويؤيده :

أ- مارواه مسلم - رحمه الله - في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى النبي ﷺ رجلٌ أعمى، فقال : يا رسول الله، إنه ليس لي قائدٌ يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله ﷺ أن يرخص له فيصلي في بيته، فرخص له، فلما ولى دعاه فقال : « هل تسمع النداء بالصلاة » ؟ قال : نعم، قال : « فأجب »^(٢).

ب- وروى مسلم - رحمه الله - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - قال : لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد عُلِمَ نفاقه أو مريضٌ، إن كان المريض ليمشي بين رجلين حتى يأتي الصلاة^(٣).

٢- لصلاة الجماعة فضل عظيم وثواب جليل.

روى البخاري وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة »^(٤). ومما ورد في فضلها : أن المُصَلِّيَ تُصَلِّيَ عليه الملائكة ما دام في مصلاه، تقول : اللهم صلِّ عليه ، اللهم ارحمه، ما لم يُحَدِّثْ، وأن له بكل خطوة يخطوها إلى المسجد حسنةً، وترفع عنه خطيئة، وإذا رجع إلى بيته كذلك.

(١) شرح النووي على مسلم ١٤٥/٥ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب يجب إتيان المسجد على مَنْ سمع النداء ٤٥٢/١ .

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى ٤٥٣/١، رقم (٦٥٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الجماعة، ١٣١/٢ .

٣- الأجر العظيم والثواب الجزيل في صلاة العشاء والفجر جماعةً في المسجد، فقد عبّر الرسول ﷺ عن عظم هذا الأجر بأن الذي يعلمه يحاول الحصول عليه ولو زحفاً كما يزحف الصبي.

وروى مسلم وغيره عن عثمان بن عفان ؓ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صَلَّى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صَلَّى الصبح في جماعة، فكأنما صلى الليل كله »^(١). وقد جاء في أجر المصلي لصلاة الفجر ما رواه مسلم في صحيحه، عن جندب بن عبد الله ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « من صَلَّى الصبح فهو في ذمة الله ، فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فيدركه فيكبه في نار جهنم »^(٢).

ومما يعين على أداء صلاة الفجر جماعة في المسجد :

أ- العزم الأكيد على الاستيقاظ لأداء الصلاة .

ب- الدعاء المستمر بأن يعينه الله تعالى على ذلك .

ج- النوم المبكر حتى يأخذ الجسم قسطه من الراحة.

د- الاستمرار على الذكر المشروع عند النوم وعند الاستيقاظ منه.

هـ- عمل الأسباب المعينة، مثل : وضع المنبه، أو الاستعانة بمن في البيت ليوقظوه، ونحو ذلك.

٤- من ترك صلاة العشاء وصلاة الفجر جماعة في المسجد من غير عذر شرعي، عرّض نفسه لخطر عظيم وذنوب كبير، واتصف بصفة من صفات المنافقين، فقد غضب الرسول ﷺ غضباً شديداً على تاركهما، وهَمَّ بإحراقهم .

٥ - النفاق صفة ذميمة وآفة خطيرة، لم يتصف به فرد أو أفراد إلا أهلكهم، قال تعالى :

﴿ إِنَّ النَّافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾^(٣).

ومن صفات المنافقين :

أ- إظهار الإسلام وإبطان الكفر.

ب- ثقل العبادات عليهم، وبخاصة صلاة العشاء وصلاة الفجر، وذلك لقوة الداعي إلى تركهما، حيث إن وقت العشاء وقت سكون وراحة ووقت الفجر وقت لذة النوم، وكلاهما بعيد عن مرأى الناس.

ج- أنهم يقصدون بأعمالهم الرياء والسمعة، فيحرصون على إظهار أعمالهم التي يرون أنها حسنة،

(١) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة ١ / ٤٥٤ برقم (٢٥٦) .

٣ للاستزادة في المسألة يمكن الرجوع لكتاب : (الصلاة وحكم تاركها) ، للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة ١ / ٤٥٤ برقم (٦٥٧) .

(٣) آية ١٤٥ من سورة النساء .

فيحضرون وقت حضور الناس ورؤيتهم لهم، ويخنفون حين لا يراهم الناس .
 د- حرصهم الشديد على الدنيا ولو كان على صورة عبادة، جاء في رواية عند البخاري : « والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عَرَقًا سميئاً أو مِرْماتين حَسنتين لشهد العشاء »^(١).
 ٦- درء المفسد مقدّم على جلب المصالح، وهذه قاعدة عظيمة من قواعد الشرع، وذلك أن الرسول ﷺ لم يمنعه من تعذيبهم وحرقتهم بالنار إلا ما في هذه البيوت من النساء والذرية الذين سيلحقهم الضرر، وهم لا يستحقون العذاب، كما جاء في بعض روايات الحديث.
 ٧- هذا الدين الحنيف وضع للمسلمين منهجاً متكاملأً واضحاً يسرون عليه في جميع شؤون حياتهم، وفي مقدمتها العبادات التي يتقربون بها إلى المولى جلّ وعلا، ومن هذا المنهاج : استقامتهم في صلاتهم في اليوم واللييلة يؤدونها في أوقاتها، جماعة في المسجد، لا يتخلفون عنها إلا لعذر شرعي كالمرض مثلاً .

الأسئلة

- س ١ : عدد ما تعرفه من صفات المنافقين، ثم اذكر ما تيسر لك من صفاتهم من خلال ماتحفظه من آيات .
 س ٢ : لم كانت صلاة الفجر ثقيلة على المنافقين؟
 س ٣ : صلاة الجماعة واجبة على كل مسلم ، ما موقفك من جارك الذي لا يشهدا مع الجماعة؟
 س ٤ : شكاك إليك بعض زملائك عدم قيامهم لصلاة الفجر ، فما أهم الأسباب التي تذكرها لهم لتعينهم على الاستيقاظ؟
 س ٥ : (درء المفسد مقدم على جلب المصالح) قاعدة شرعية مهمّة، وضح المراد بها مع ذكر مثال لم يذكر في الكتاب.

نشاط

يقسم المعلم طلابه إلى مجموعتين :
 المجموعة الأولى : تكتب أدلة وجوب صلاة الجماعة.
 المجموعة الثانية : تكتب أدلة وجوب الصلاة في المسجد.

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب وجوب صلاة الجماعة ٢ / ١٢٥ . والعرق : بفتح العين وسكون الراء ، وهو العظم الذي عليه لحم . والميرماتين : تشبة مرممة ، بكسر الميم ، ويجوز فتحها وهي ما بين ظلفي الشاة من اللحم .

الحديث الخامس

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : شهدت مع رسول الله ﷺ الصلاة يوم العيد، فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، ثم قام متوكِّئاً على بلال، فأمر بتقوى الله، وحثَّ على طاعته، ووعظ الناس وذكرهم ، ثم مضى، حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن، فقال : « تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم »، فقامت امرأة من سِطة النساء، سفعاء الخدين، فقالت : لِمَ يارسول الله؟ قال « لأنكن تُكثرن الشكاة، وتكفرن العشير » قال : فجعلن يتصدقن من حُلِيِّهن، يلقين في ثوب بلال من أقرطهن وخواتهن، متفق عليه، واللفظ لمسلم^(١).

التعريف بالراوي :

هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، له ولأبيه صحبة، شهد مع أبيه بيعة العقبة الأخيرة، وكان أبوه أحد النقباء في البيعة، شهد مشاهد كثيرة مع رسول الله ﷺ، يقول ﷺ : غزوت مع رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة. وهو أحد المكثرين لرواية الحديث عن رسول الله ﷺ وكانت له حلقة في المسجد النبوي يجتمع الناس فيها ليأخذوا عنه العلم، وقد كان - ﷺ - من المعمرين، فهو من أواخر الصحابة الذين ماتوا بالمدينة، توفي - ﷺ - سنة ثمان وسبعين، وعاش أربعاً وتسعين سنة^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العيدين، باب المشي والركوب إلى العيد ٤٥١ / ٢، وفي باب موعظة الإمام النساء يوم العيد ٤٦٦ / ٢، وأخرجه مسلم في

صحيحه، كتاب صلاة العيدين، ٦٠٣ / ٢ رقم (٨٨٥).

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ١٨٩ / ٣، وتهذيب التهذيب ٤٢ / ٢.



| معناها | الكلمة |
|--|--|
| <p>المراد به عيد الفطر المبارك ، كما ورد في بعض الروايات . بكسر السين وفتح الطاء المخففة، والمراد أنها امرأة جالسة في وسط النساء، وقيل : سطة النساء، أي : من خيارهن، ولكنه قول مرجوح . بفتح السين ، أي : فيها تعيّرٌ وسواد . بفتح الشين ، أي : تكثرن الشكوى . العشير في أصل اللغة : هو المخالط، وحمله جمهور العلماء على الزوج، والمعنى : أنهن يجحدن الإحسان لضعف عقولهن وقلة معرفتهن . ما لبسنه من حُلِيِّ في أيديهن وغيرها . جمع قُرْط، وهو كل ما عُلق بشحمة الأذن، سواء أكان من ذهب أم من غيره .</p> | <p>يوم العيد مِنْ سِطَّةِ النِّسَاءِ سَفَعَاءِ الخَدَّيْنِ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ تَكْفُرْنَ العَشِيرَ حُلِيِّهِنَّ أَقْرَطَهُنَّ</p> |

الأحكام والتوجيهات :



- ١- هذا حديث عظيم، فيه بيان لبعض الأحكام والتوجيهات في صلاة العيد، ومنها :
- أ- صلاة العيدين فرض كفاية فينبغي على المسلم أن يحرص على أدائها وحضور واستماع الخطبة، ليحصل على الأجر والثواب، ويستفيد مما يسمع من موعظة الإمام وتذكيره .
- ب - نصّ الحديث على أنه ليس لصلاة العيد أذان ولا إقامة .
- ج - ينبغي أن تشمل خطبة العيد على الحث على تقوى الله تعالى، فهي جماع كل خير، والحث كذلك على طاعة الله تعالى، والتذكير بذلك .
- د - الخطبة بعد صلاة العيد وليست قبلها كالجمعة، فلكل منهما خطبتان، ولكن في الجمعة قبل الصلاة، وفي العيد بعد الصلاة، وهذا ما فعله النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون .

٢- اهتم الإسلام بالمرأة، وجعل لها مكانة سامية ومنزلة رفيعة، ويظهر في هذا الحديث اختصاصها ببعض الأحكام والمزايا فمن ذلك :

أ- أن النبي ﷺ خصص لهن خطبة مستقلة في العيد، بعد أن وعظ الرجال وذكرهم، وعليه فينبغي لإمام العيد أن يخصص لهن خطبة يتحدث فيها عن شؤونهن وأحوالهن، وذلك إذا لم يكن يسمع الخطبة العامة، فإن كُنَّ كذلك فيجعل جزءاً من الخطبة مما يخص أمر النساء.

ب- أن المرأة يحرم عليها مخالطة الرجال، أو مزاحمتهم، سواء أكان ذلك في المساجد أم في غيرها، بل يَكُنَّ في الأماكن المخصصة لهن، كل ذلك للبعد عما يسبب الفتنة أو يكون وسيلة إلى الوقوع في المحرمات، وهذه - أعني عدم مخالطة المرأة للرجال - قاعدة عظيمة يجب أن تفقهها المرأة المسلمة ووليها؛ لما يترتب عليها من الفوائد الكثيرة.

ج- العلم حقٌّ للجميع، الرجل والمرأة، فينبغي للمرأة أن تحرص على العلم الذي تعرف به أمور دينها، ومن وسائل ذلك حرصها على سماع المواعظ، وكذا سؤالها عما يشكل عليها أو يلتبس، كما هو واضح من الحديث.

د- من صفات النساء في الجملة كثرة الشكوى، ووجود نعم أزواجهن عليهن، وهذه صفة ذميمة تقود إلى النار، وعليه فيلزم المرأة المسلمة أن تجتنبها وأن تحرص على الابتعاد عنها.

هـ- سمة المرأة المسلمة أنها تسارع إلى الخير، وتستجيب لنداء الإيمان، فلتضيف المرأة المسلمة إلى رصيدها من الحسنات كل ما تستطيع.

و- التملك للمال من حق الرجل والمرأة، فلكل منهما ماله، وله حق التصرف فيه، ولذا سارع نساء الصحابة إلى التصدق من أموالهن بغير إذن أزواجهن، فالمرأة يجوز لها أن تتصرف، وأن تتصدق من مالها ولو لم يأذن زوجها، وقد أقر النبي ﷺ تصرف نساء الصحابة رضي الله عنهن.

٣- على الخطيب والواعظ مسؤولية عظيمة، حيث إنه يبلغ عن الله تعالى أمور الحلال والحرام، ومن هنا يبغي للخطيب أن يقوم بهذه المسؤولية خير قيام، فيخاطب الناس بما يعرفون، ويعلمهم ما يجهلون من أمور دينهم ودنياهم، وأن يرغبهم في الخير، ويحذرهم من الشر، ويبين لهم ما يقربهم من الجنة وما ينجيهم من النار، كما أن عليه أن يجتنب ما لا يهم عموم الناس ولا ينفعهم في دينهم.

٤- للصدقة فوائد عظيمة، وثمار جليلة في الدنيا والآخرة، ومنها: أنها تقي من الوقوع في النار، ويؤيد ذلك قوله ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمره**»^(١).

٥- الإسلام يحرص أن يكون منهج المسلم في تعامله مع الآخرين سليماً، حتى ولو كان مع أقرب الأقربين، فيعرف لأهل الفضل فضلهم، ولأهل الحق حقهم، وأن لا يبخس الناس حقوقهم، وأن يبتعد عن كل ما يسيء إليهم، وأن يجتنب الكلام الفاحش، وجحود النعم.

٦- طالب العلم حريص على تنمية علمه فيسأل معلمه عما أشكل عليه، وليكن سؤاله بأدب واحترام حتى ينال بغيته من معلمه.

الأسئلة



س ١: وضح المراد بالكلمات الآتية: (من سطة النساء)، (تكثرن الشكاة)، (تَكْفُرُن العشير).

س ٢: اهتم الإسلام بالمرأة وأعلى مكانتها، اذكر شيئاً من تكريم الإسلام للمرأة من خلال ما درسته في الحديث .

س ٣: ما رأيك فيما يلي :

أ- رجل لا يواظب على صلاة العيد؟

ب- امرأة تحضر لصلاة العيد مع السائق الأجنبي عنها؟

ج- شاب لا يملك إلا قليلاً من المال فكيف يتصدق؟

س ٤: قارن بين ما يلي :

أ- صلاة العيد وصلاة الجمعة.

ب- حضور خطبة العيد وحضور خطبة الجمعة.

ج- الزكاة المفروضة وصدقة التطوع.

س ٥: من صفات المرأة جحد النعمة وكثرة الشكوى، ما علاج ذلك؟

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة باب اتقوا النار ولو بشق تمره ٣/ ٢٨٣ برقم (١٤١٧)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ٢/ ٧٠٤ برقم (١٠١٦).

الحديث السادس

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعاً من تمر، أو صاعاً من شعير، على العبد والحرّ، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة» متفق عليه، واللفظ للبخاري^(١).

التعريف بالراوي :

هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل، القرشي، العدوي، المكي، ثم المدني، أبو عبد الرحمن، الإمام القدوة، أسلم وهو صغير، وهاجر مع أبيه ولم يبلغ الحلم، واستصغر يوم أحد، وأول غزواته الخندق، وهو ممن بايع تحت الشجرة، روى علماء كثيراً عن النبي ﷺ وعن الخلفاء الراشدين، توفي - ﷺ - سنة ثلاث وسبعين^(٢).

المباحث اللغوية

| معناها | الكلمة |
|--|---------------------------|
| أي: ألزم وأوجب، وهو في الاصطلاح: ما أثيب فاعله امتثالاً وعوقب تاركه. صاعاً، منصوبة على التمييز، والصاع يساوي أربعة أمداد، والمد: ملء اليدين المعتدلتين، وهما مجتمعتان ^(٣) . | فرض صاعاً من تمر |
| أي صلاة عيد الفطر المبارك. | قبل خروج الناس إلى الصلاة |

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فرض صدقة الفطر ٣/ ٣٦٧ برقم ١٥٠٣، ١٥٠٤، ومسلم في الزكاة، باب زكاة الفطر على المسلمين ٢/ ٦٧٧ رقم (٩٨٤).

(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٠٣، تهذيب التهذيب ٥/ ٣٢٨.

(٣) التقدير الشرعي بالصاع، ويختلف ما يعادله بالكيلو بحسب النوع المخرج وقد قدره بعض العلماء بالنسبة للبر الجيد بكيلوين وأربعين جراماً.



١- يدل الحديث على وجوب صدقة الفطر على الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والحر والعبد من المسلمين، كما هو نص الحديث، حتى الذين لا يجب عليهم الصيام، فيخرجها الولي عن نفسه وعمن تحت يده من النساء والذرية.

٢- لم يذكر الحديث وجوبها على الجنين الذي في بطن أمه، لكن يستحب إخراجها عنه؛ لفعل عثمان رضي الله عنه.

٣- الواجب فيها على الفرد الواحد صاع، سواء أكان من تمر أم من أي صنف من الأصناف المطعومة الموجودة في البلد، كالأرز والبر ونحوها، وأفضلها ما كان أنفع للفقير، وعليه فلا يجزئ طعام البهائم، وكذا لا يجزئ إخراجها من الثياب أو الفرش أو أي نوع من الأثاث، وكذا لا تجزئ القيمة؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم فرضها من الطعام.

٤- أما وقتها: فوقت وجوب زكاة الفطر: غروب الشمس ليلة العيد، فمن كان من أهل الوجوب حينذاك وجبت عليه، فلو مات شخص قبل غروب الشمس ولو بدقائق لم تجب عليه، وإن مات بعد الغروب وجب إخراجها عنه، وإن ولد مولود قبل غروب الشمس وجب إخراجها عنه، وإن ولد بعد الغروب لم يجب إخراجها عنه.

أما وقت إخراجها فلها وقتان: وقت فضيلة، ووقت جواز.

فوقت الفضيلة: هو صباح يوم العيد قبل الصلاة، ولذلك استحب تأخير صلاة عيد الفطر المبارك ليتسع الوقت لإخراجها.

أما وقت الجواز: فهو قبل صلاة العيد بيوم أو يومين؛ لما ورد في الصحيح، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال: «وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين»^(١).

أما تأخيرها بعد العيد فلا يجوز من غير عذر، فإن أخرها وجب عليه إخراجها، وتكون صدقة من الصدقات.

٥- تعطى زكاة الفطر للفقراء والمساكين ومن عليهم ديون لا يستطيعون وفاءها، فيعطون منها بقدر حاجتهم. ويجوز أن تعطى زكاة البيت الواحد مثلاً إلى فقير واحد، ويجوز توزيعها على عدد من الفقراء، وإذا ملكها الفقير وصارت في حوزته جاز أن يخرجها عن نفسه أو عن أحد عائلته.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب صدقة الفطر على الحر والمملوك ٣/ ٣٧٥.

- ٦- في صدقة الفطر حكم عظيمة وأسرار ومعان جلييلة، منها :
- أ- الإحسان إلى الفقراء والمساكين، وارتفاعهم عن دُئ المسألة في أيام العيد؛ ليشاركوا إخوانهم المسلمين فرحتهم وسرورهم بالعيد .
- ب- إظهار شكر نعمة الله تعالى بإتمام صيام شهر رمضان وقيامه، وعلى ما يسر من الأعمال الصالحة فيه، المقربة إليه .
- ج- صدقة الفطر طهرة للصائم عما وقع في صيامه من شوائب ونقص ولغو وإثم .
- د- فيها تعويد على الكرم والبذل والعطاء وحب المواساة، وقهر لشهوات النفس وأنانيتها .

الأسئلة



- س ١ : متى تؤدَّى زكاة الفطر ؟ وضح ذلك بالتفصيل .
- س ٢ : زكاة الفطر طهرة للصائم، وضح ذلك .
- س ٣ : يبحث المؤمن عن الصورة المثالية لعبادته، كيف يطبق ذلك في زكاة الفطر؟
- س ٤ : بين ما يجزئ وما لا يجزئ في زكاة الفطر مما يلي، مع التعليل :
- أ- العنب. ب- البطيخ. ج- الثياب.
- د- الريالات. هـ- الكتب. و- الأرز.

الحديث السابع

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني، قال : « لا تغضب » فردّد مراراً
قال : « لا تغضب »؟ رواه البخاري^(١).

التعريف بالراوي :

سبق التعريف به في الحديث الثالث .

المباحث اللغوية

| معناها | الكلمة |
|--|-------------------------------------|
| قال ابن حجر رحمه الله : « هو جارية بن قدامة » - <small>رضي الله عنه</small> . قال الخطابي : أي : اجتنب أسباب الغضب . أي : ردّد السؤال يلتمس أنفع من ذلك أو أبلغ أو أعم، فلم يزد على ذلك. | أن رجلاً لا تغضب فردّد مراراً |

الأحكام والتوجيهات :

١- هذا الحديث من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم الذي يحتوي على ألفاظ قليلة، ومعان كثيرة، وقد أطنب شرّاح الحديث في التعليق عليه؛ لما يحويه من الفوائد والحكم والأسرار، والمسلم يتأمل توجيهات النبي صلى الله عليه وسلم ووصاياه، فيقف عندها ليطبّق ما تحتوي عليه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب ١٠/٥١٨، ٥١٩.

٢- الغضب تلك الحالة النفسية التي تجعل ظاهر الجسد وباطنه في حالة غير طبيعية تنشأ عن أسباب معينة، ولها نتائج خطيرة، يقف منها الناس مواقف شتى، وللإسلام توجيهه وإرشاداته نحوها، ينبغي للمسلم تأملها والوقوف عندها.

٣- الغضب أنواع :

أ- محمود، وهو الغضب الذي يكون لله عز وجل، فإذا ما رأى محظوراً يرتكب غضباً حميماً لدين الله عز وجل، فهذا صاحبه مأجور مثاب؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمْ حُرْمَةَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ﴾^(١).

ب- مذموم؛ وهو الذي نهى عنه الرسول ﷺ، كمن ينتصر لنفسه بالباطل، وهذا صاحبه مأزور.

ج - غضب جبلي؛ من طبع الإنسان، كمن يغضب لأجل عدم تلبية أمره، ونحو ذلك، فهذا في أصله مباح، ولكن لنتائجه ينهى عنه، وهو داخل في نهى الرسول ﷺ عن الغضب.

٤ - للغضب أسباب، منها :

أ- الطبع والجبلة .

ب- التعالي والكبر على الناس .

ج- الأنانية وحبُّ الذات .

د- الجدل العقيم الذي لا طائل تحته ولا منفعة من ورائه .

هـ- تبادل التهم على سبيل المزاح .

و- السخرية والاستهزاء بالآخرين .

كل هذه أسباب تفتح أبواب الغضب ليلج الشيطان فيتلاعب بعقل الغضبان .

٥ - للغضب نتائج خطيرة، وآثار مذمومة، منها :

أ- يفقد العاقل تصرفاته السليمة، فتتحكم به عواطفه الهائجة، فيتصرف تصرفات سيئة يندم عليها إذا سكن غضبه، مثل أن يطلق زوجته، أو أن يضرب ابنه ضرباً مؤثراً، أو يضرب بزميله ضرراً بالغاً ونحو ذلك.

ب- ينفر الناس من الشخص الغضوب، فيتحاشاه الناس تقيّة لغضبه، فيكون مكروهاً عندهم غير محترم ولا محبوب.

(١) آية ٣٠ من سورة الحج .

ج- يفتح باباً للشيطان فيدخل منه لعقل هذا الغضبان فيتلاعب به .

د- الغضب باب للمعصية التي تُجرُّ آثاماً عظيمة وأوزاراً كبيرة.

هـ- الغضب يفكك المجتمع، ويخلخل علاقاته الأخوية، ويضر بتماسكه .

و- للغضب أضرار صحية وبدنية تؤثر على أعصاب المخ، الذي هو مصدر توزيع الوظائف على

الجسد كله، ومنها ارتفاع نسبة السكر وزيادة ضغط الدم والإثقال على القلب والشرابين المريضة .

ز- ما يترتب على الغضب من إتلاف ممتلكات أو تأثير على الأشخاص، فيضمنه الغضبان.

٦- الغضب - كما سبق - قد يكون طبعاً جبلياً وقد ينشأ لأسباب خارجة عن إرادة الإنسان، فمن وقع

في ذلك فليحرص على العلاج الشرعي، ومنه :

أ- تفادي الأسباب الموقعة في الغضب .

ب- ذكر الله تعالى باللسان والقلب؛ لأن الغضب من الشيطان، فإذا ذكر الله انخس، يقول تعالى :

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١).

ج- تذكّر ثواب من كظم غيظه، وعفا عن الناس، وفي ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ

مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣).

وقال ﷺ: « لا تغضب و لك الجنة » (٤).

د- تذكر الآثار السيئة المترتبة على الغضب، فلو أن الغضبان رأى نفسه في حال غضبه لسكن غضبه

حياء من قبح صورته واستحالة خلقته.

هـ- أن ينتقل من الحالة التي هو فيها إلى حالة غيرها، فإن الغضب يزول بتغير الأحوال والتنقل من

حال إلى حال. فإن كان قائماً فليجلس، فإن لم يذهب غضبه فليضطجع، وكذا إن لم يذهب غضبه

فليتوضأ أو ليغتسل (٤).

(١) آية ٢٨ من سورة الرعد .

(٢) آية ١٣٣ - ١٣٤ من سورة آل عمران .

(٣) رواه الطبراني في الكبير، والأوسط (انظر مجمع البحرين في زوائد المعجمين ٥/ ٢٩٣) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٧٠): أحد إسنادي الكبير رجاله ثقات، وقال

المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٤٤٦): رواه الطبراني بإسنادين أحدهما صحيح .

(٤) انظر الأحاديث في ذلك في جامع العلوم والحكم شرح الحديث (١٦) .

(٥) انظر مسند أحمد ٤/ ٢٢٦، وسنن أبي داود رقم (٤٧٨٤) وشرح السنة للبيهقي رقم (٣٥٨٣). وللإستزادة انظر جامع العلوم والحكم شرح الحديث رقم (١٦) .

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٦/ ٣٣٨ برقم (٣٢٨٢) .

و- أن يتوضأ إذا غضب؛ لأن الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من نار، والماء يطفى النار، كما ورد ذلك عن النبي ﷺ^(١).

ز- أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لأن الغضب من الشيطان، فإذا تعوذ منه المسلم انخس، روى البخاري وغيره أن رجلاً استبأ عند النبي ﷺ وأحدهما يسب صاحبه، قد احمرَّ وجهه، فقال النبي ﷺ: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»^(٢)...

٧- المؤمن حريص على ما ينفعه، فهذا الرجل استغل وجوده عند النبي ﷺ ليسدي له نصيحة تكون نبراساً لحياته كلها، ونحن في هذا الزمن هياً الله لنا معلّمين وموجهين، فينبغي للطالب أن يحرص على أن يستفيد من تعليمهم ونصائحهم وتوجيهاتهم.

الأسئلة

- س ١: ما أنواع الغضب، مع التمثيل لكل نوع؟
- س ٢: الغضب مرض خطير، يتسلل منه الشيطان ليخرج الغضب عن تصرفاته العادية، فما طرق الوقاية منه؟
- س ٣: متى يحمد الغضب؟ واذكر ثلاثة أمثلة من إنشائك.
- س ٤: قارن بين الغضب للنفس والغضب لله.

(١) انظر مسند أحمد ٤/٢٢٦، وسنن أبي داود رقم (٤٧٨٤) وشرح السنة للبغوي رقم (٣٥٨٣). وللإستزادة انظر جامع العلوم والحكم شرح الحديث رقم (١٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده ٦/٣٧٧ برقم (٣٢٨٢).

الحديث الثامن

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « ما حَقُّ امرئٍ مسلم له شيء يوصي فيه ، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده » متفق عليه (١) .
 زاد مسلم في روايته : قال ابن عمر رضي الله عنهما : ما مرَّت عليَّ ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ قال ذلك إلا وعندي وصيَّتي .

التعريف بالراوي :

سبق التعريف به في الحديث الثالث .

المباحث اللغوية

| معناها | الكلمة |
|--|--|
| ما الحزم والاحتياط للمسلم إلا أن تكون وصيته مكتوبة عنده . الوصية في اللغة : الأمر . وفي الشرع : الأمر بالتصرف بعد الموت ، كأن يوصي إلى إنسان برعاية ثلث ماله ، أو القيام على صغاره ، أو تزويج بناته ، وقضاء دينه ، ونحو ذلك ، فالموصي وصل ما كان له في حياته بما بعد موته . ذكر الليلة أو الليلتين للتقريب لا للتحديد ، فالمراد لا يمضي عليه وقت ولو كان قصيراً إلا ووصيته مكتوبة . | ما حَقُّ امرئٍ مسلم يوصي ليلة أو ليلتين |

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الوصايا ، باب الوصايا ، وقول النبي ﷺ وصية الرجل مكتوبة عنده رقم (٢٧٣٨) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الوصية ، ٣/ ١٢٤٩ برقم (١٢٢٧) .



١- الوصية - بمعناها السابق - أمر مستحب للرجال والنساء، ندب إليها الشرع، وحثَّ عليها، وإن كان له أو عليه حقوق وأمانات ونحوها وجبت الوصية ببيانها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا أَحْصَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ أَنْ تَرَكُوا خَيْرًا لَوَصِيَّتِهِ﴾^(١). وذلك لما يترتب عليها من إيصال كل ذي حقٍّ حَقَّهُ، وعدم بخس المتوفى أو غيره حقوقه.

٢- دلَّ الحديث الشريف على المبادرة إلى كتابة الوصية في أسرع وقت؛ لأن الإنسان لا يدري متى يفاجئه الأجل.

٣- الأولى أن تكون الوصية مكتوبة بخط صاحبها، فإن لم يمكن فبخط غيره، ويستحب الإشهاد عليها قطعاً للنزاع، ولأنه أحوط وأحفظ عليه، فلو لم يكتب الوصية ولكنه تلفظ بها وأشهد عليها لجاز.

٤- يستحب لمن كان لديه مال كثير عُرْفًا لا يحتاج إليه الورثة^(٢) أن يوصي بما لا يزيد عن الثلث^(٣) في أعمال الخير المتعددة من الصدقات الجارية، وبناء المساجد ودور العلم وغيرها؛ ليستمر عمله الصالح بعد موته، جاء في الصحيح مرفوعاً: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»^(٤).

ولما روى الشيخان، أن النبي ﷺ قال لسعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - حين قال: أوصي بمالي كله؟ قال: «لا»، قال: فالشطر؟ قال: «لا» قال الثلث؟ قال: «فالثلث، والثلث كثير»^(٥) لكن بشرط ألا تكون هذه الوصية لأحد الورثة: لما روى أحمد وغيره أن النبي ﷺ قال: «لا وصية لوارث»^(٦).

٥- الموت حق، وكل نفس ذائقة الموت، وكل من عليها فان، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام،

(١) آية ١٨٠ من سورة البقرة، والمراد بالخير هنا: المال، كما في قوله تعالى: ﴿رَبُّكَ يُنقِطُ الْقِرْنَائِمَ﴾ أي: المال.

(٢) إن كان المال قليلاً يحتاجه الورثة فهم أحق به من غيرهم. (انظر: حاشية الروض لابن قاسم ٤٢/٦)، المغني ٣٩٢/٨.

(٣) إن كان أقل من الثلث فهو أولى، كالربع أو الخمس مثلاً، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لو غَضَّ الناس إلى الربع؛ لأن النبي ﷺ قال «الثلث والثلث كثير» رواه البخاري، كتاب الوصايا، رقم (٢٧٤٣)، وانظر: المغني ٣٩٣/٨.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته ١٢٥٥/٣ برقم (١٦٣١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب الوصية بالثلث ٣٦٩/٥ برقم (٢٧٤٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث ١٢٥٠/٣ برقم (١٦٢٨).

(٦) أخرجه أبو داود، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الوصية للوارث ١٢٧/٢ برقم (٢٨٧٠)، ورواه الإمام أحمد في مسنده ٢٦٧/٥.

ولذا يشرع للمؤمن أن يستحضر ذلك اليوم، وأن يستعد له ولما بعده مادام في الوقت مهلة، وفي العمر فُسحة، قبل أن يندم حين لا ينفعه الندم.

٦- الصحابة - رضي الله عنهم - أسرع الناس استجابةً لأوامر الرسول ﷺ، وأكثرهم اقتداءً به وسيراً على مناجاه، فالمؤمن يراهم ويقتدي بهم في سرعة الاستجابة والامتثال. ولذا نرى سرعة استجابة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - لتطبيق هذه الوصية .

٧- من أعمال البر الخيرية : (الوقف) ، وهو ما يوقفه المسلم في حياته على أعمال البر المتعددة ، ويختلف الوقف عن الوصية بما يلي :

أ - الوقف يجري في الحياة ، أما الوصية فلا تنفذ إلا بعد الممات .

ب - الوقف يجوز بالثلث وأقل وأكثر ، والوصية لا تجوز بأكثر من الثلث .

ج - الوقف لا يوهب ولا يباع ولا يجوز تغييره ، أما الوصية فيجوز تغييرها وزيادتها ونقصها من حين كتابتها إلى موت الموصي .

الأسئلة



س ١: ماذا تعرف عن ابن عمر رضي الله عنهما ؟

س ٢: ما المراد بالوصية ؟ واذكر بعض حكم مشروعيته .

س ٣: لم لا تشرع الوصية لو ارث ؟

س ٤: ما الفرق بين الوصية والوقف ؟

س ٥: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ما أثر تذكريك للموت ؟

س ٦: اذكر الطرق التي يمكن توثيق الوصية بها في هذا العصر .

الحديث التاسع

عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أعقب قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أعقب قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت - والقدح على يدي - أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرت شيئاً لا يستطيعون الخروج».

قال النبي ﷺ: «وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها، فامتنعت مني حتى ألفت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فخرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرت الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها».

قال النبي ﷺ: «وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراً، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله، أد إليّ أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك، من الإبل، والبقر، والغنم، والرقيق، فقال: يا عبد الله، لا تستهزئ بي فقلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرت الصخرة، فخرجوا يمشون» متفق عليه^(١).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيراً فترك أجره ٤/٤٤٩، ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة ٤/٢٠٩٩ برقم (٢٧٤٣) ...

التعريف بالراوي :



سبق التعريف به في الحديث السادس .

المباحث اللغوية



| معناها | الكلمة |
|---|-------------------------------------|
| ما دون العشرة. | رهط |
| في رواية عند الطبراني في كتاب الدعاء : «ثلاثة نفر من بني إسرائيل» . | ممن كان قبلكم |
| أي : استقر بهم الأمر إلى غار لبييتوا فيه . | أووا المبيت إلى غار |
| أي : هبطت ونزلت، وفي رواية عند البخاري (فأووا إلى غار فانطبق عليهم) ^(١) . | فانحدرت |
| لا يخلصكم مما وقع عليكم . | لا ينجيكم |
| أي : توسلوا إلى الله تعالى وادعوه بأعمالكم الصالحة التي عملتموها . | أن تدعو الله بصالح أعمالكم |
| المراد : الأب والأم، وهو من باب التغليب، كما يقال : (القَمَران) للشمس والقمر . | أبوان |
| وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً : العَبُوق : هو الشرب آخر النهار، يقابل الصَّبُوح وهو الشرب أول النهار، والمقصود بالأهل : الزوجة والولد، والمقصود بالمال : الرقيق والخدم، والمعنى : لا أقدم عليهما أحداً في شرب نصيبهما من اللبن الذي يشربانه . | وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً |
| نأى : بَعُد ، والمراد : ذهبت أطلب أمراً بعيداً . | فنأى بي |
| أي : لم أرجع إلى أبوي حتى أخذهما النوم، والرَّواح : الرجوع آخر النهار، والغُدُّوُ : الذهاب أوّل النهار، وفي رواية للبخاري : « فأبطأت عنهما ليلة، فجئت وقد رقدا » ^(٢) . | فلم أرح عليهما حتى ناما |

(١) و(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء ، باب حديث الغار ٦/ ٥٠٥ برقم (٣٤٦٥) .

فحلبت لهما غبوقهما

القَدَح

برق

ابتغاء وجهك

فأردتها عن نفسها

ألمت بها سنة من السنين

لا أحل لك أن تُفَضَّ

الخاتم إلا بحقه

أُجْرَاء

فثَمَرْتُ أجره

فاستاقه

أي : مقدار ما يشربانه من اللبن .

هو الذي يشرب منه أو يؤكل فيه .

أضياء وأسفر .

أي : طلب مرضاتك، وفي رواية للبخاري : «أني فعلت ذلك من خشيتك»^(١)

يعني راودتها للزنى بها .

أي : نزلت بها سنة قحط وجذب فأحوجتها إلي .

المراد بذلك أنها طلبت منه ألا يجامعها إلا على الوجه الشرعي .

جمع أجير .

نَمَّيت أجره حتى صار كثيراً .

أي : ذهب به .

الأحكام والتوجيهات :



هذا الحديث مليء بالتوجيهات والأسرار، نعرض منها ما يلي :

١- في أخبار السابقين عظام وعبر، يشرع للمسلم الوقوف عندها وتدبرها والاستفادة منها في حياته، ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى قَصَّ علينا من أخبار الماضين من المرسلين وغيرهم الشيء الكثير، كل ذلك لأجل أن يستفيد اللاحق من السابق فيتعظ ويعتبر، وقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَاتِبْنَا فِي الْقُرْآنِ مِمَّا يَنْصَحُونَ﴾

عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرُونَ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ... ﴿الآية (٢)﴾.

٢- الأسلوب القصصي يجعل السامع والقارئ يهفو لسامع المطلوب، ويتقبله ويعمل به، ولهذا كان النبي ﷺ يورد مثل هذا بين الحين والآخر لصحابته، ومن ثمَّ للأمة بعده. والمعلم - وهو يلقي درسه على تلاميذه - ينبغي أن يسلك هذا المسلك إذا ما وجد فرصة لذلك، فله آثار طيبة على عقولهم وسلوكهم.

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء. باب حديث الغار ٦/٥٠٥ برقم (٣٤٦٥).

(٢) آية ١١١ من سورة يوسف .

٣ - سلامة العقيدة، وصفاء التوحيد أعظم عمل ينجي صاحبه من مصائب الدنيا وعذاب الآخرة، فهؤلاء الثلاثة اتفقوا على التوسل إلى الله تعالى بأفضل ما يرون أنهم قدموه لله تعالى بإخلاص، فكان أثر ذلك سريعاً في الدنيا.

٤ - مشروعية التوسل إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله تعالى، وأما التوسل بغير ذلك من الأشجار والقبور والأضرحة والأولياء ودعاؤهم من دون الله فهو شرك أكبر مخرج عن الملة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَبَآءٌ مُّثْقَلَةٌ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿١٦٦﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكٍَ وَلَا يَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أِذِنَ لَهُ﴾ (٢).

٥ - الدعاء عبادة، وهو من أفضل ما يتقرب به المؤمن إلى ربه، وفيه لجوء العبد إلى ربه، وشعوره بفقره وذلته وسكونه، وضعف قوته وحوله، وهؤلاء الثلاثة لجؤوا إلى الله تعالى؛ لينقذهم مما هم فيه بدعائه والتوسل إليه، يقول سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ (٣) وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٤).

٦ - دل الحديث على فضل برِّ الوالدين وطاعتهما والقيام بحقوقهما وخدمتهما وتحمل المشاق والصعاب من أجلهما.

ومن أنواع البر: تنفيذ أوامرهما ما لم تكن في معصية الله تعالى، والقيام بشؤونهما، ومساعدتهما بالجهد والمال، ومخاطبتهما بالقول اللين، وعدم عصيانهما، والدعاء لهما.

ومن برهما بعد موتهما: كثرة الدعاء لهما، وإجراء صدقة جارية عنهما، وتنفيذ وصيتهما، وصلة أرحامهما، وإكرام أصدقائهما، يقول تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا يَٰهٗ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا مَّا يَبْلُغُنَّ عَلَيْكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا فِئْتِنًا وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿١٧﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّانِي صَغِيرًا﴾ (٥).

(١) آية ١٩٤ من سورة الأعراف . (٢) آية ٢٢، ٢٣ من سورة سبأ .

(٣) آية ٦٠ من سورة غافر . (٤) آية ١٨٦ من سورة البقرة .

(٥) آية ٢٣، ٢٤ من سورة الإسراء .

٧- بر الوالدين سبب للخلاص من مشكلات الدنيا، والنجاة من عذاب الآخرة، فهذا الرجل البارُّ بوالديه كان بره سبباً لانفراج الصخرة عنهم، روى الترمذي وغيره، عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فحافظ على الباب أو صَيِّع»^(١) وكما أن البر سبب لدخول الجنة، فالعقوق سبب للعقوبة في الدنيا والآخرة، قال صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والدَّيُّوثُ، ورجلٌ النساء»^(٢).

٨- النظافة الحسية والطهارة المعنوية من أهم الأمور التي يسعى لها الإسلام ويرتب عليها آثاراً حميدة في حياة الإنسان وبعد مماته والمسلم ظاهره ينبئ عن باطنه، فهذا الرجل الذي امتنع من فعل الفاحشة لما ذكَّرتَه المرأة بربه جل وعلا، نال جزاءه في الدنيا بانفراج الصخرة، وما عند الله خير وأبقى.

٩- المؤمن الحق هو الذي يبتعد عن الفواحش والمنكرات، ولا يقترب من المعاصي والآثام، ويحرص أن يلقي الله تعالى على ذلك.

١٠- الأمانة عظيمة، وشأنها كبير عند الله تعالى وعند الناس، ولعظم شأنها فقد عرضها الله سبحانه وتعالى على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، ولكن الإنسان الضعيف حملها، فإذا قام بها استحق أجرها دنيا وأخرى، وإلا كانت وبالاً عليه، ومن صور الأمانة:

أ- القيام بتوحيد الله عز وجل.

ب- القيام بالأعمال الصالحة عموماً.

ج- القيام بحقوق الآخرين بعامة، والودائع والضمانات والالتزامات المالية بخاصة.

١١- العمل الصالح - بمختلف أنواعه - سبب للخروج من المآزق والصعاب، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا رِزْقًا زَائِدًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٣).

(١) رواه الترمذي في السنن، كتاب البر والصلة، باب ماجاء من الفضل في رضا الوالدين ٢٧٤/٤ رقم (١٨٩٩) ورواه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب بر الوالدين ١٢٠٦/٢ رقم (٣٦٦٣).

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ٧٢/١ وقال: صحيح الإسناد، والبخاري (كشف الأستار ٣٧٢/٢) وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب ٣/٣٢٧، ورواه الضياء في المختارة ١-٣٠٨، ورواه بنحوه النسائي ٥/٨٠، ٨١، انظر أيضاً: صحيح ابن حبان ١٦/٣٣٥، والمستدرک ٤/١٤٦-١٤٧، ومسند أحمد ٢/٦٩، ١٢٨، ١٣٤، والدُّيُوثُ: الذي يقر أهله على الزنا. والرَّجُلَةُ: المرأة المتشبهة بالرجال.

(٣) الآيات ٣، ٢ من سورة الطلاق.



- س ١: ما المراد بالغبوق؟ وماذا يقابله؟
- س ٢: تحدث عن أهمية بر الوالدين من خلال دراستك للحديث .
- س ٣: المحافظة على الأنساب من مقاصد الإسلام ، وضح ذلك من خلال الحديث .
- س ٤: ركّز الإسلام كثيراً على حقوق الآخرين ، كيف فهمت ذلك من الحديث؟
- س ٥: بم اشترك الثلاثة في دعوتهم التي سببت لهم النجاة؟
- س ٦: ما حكم التقرب إلى الله تعالى بالطواف على قبر وليٍّ من الأولياء؟ وضح ما تقول بالدليل .



ثانياً: الثقافة الإسلامية



صور من بطولة النبي وأصحابه رضي الله عنهم

من خصائص هذه البطولة :

١ - أنها بطولية لم تصنعها الأحداث، إنما صنعها الإيمان بالله تعالى، فأهل مكة، وأهل المدينة - الذين منهم أول حملة هذا الدين - لم يكن لهم في جاهليتهم بطولات مذكورة، فلما جاء الإسلام حوّلهم قادة للدنيا، ففتحو بلاد فارس والروم، والتي كانوا لا يجروون على القرب منها، ولهذا قال عمر رضي الله عنه : نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام، فلا نطلب بغير الله بديلاً^(١). وفي رواية أخرى عنه قال : « إنكم كنتم أدلّ الناس، وأحقّ الناس، وأقلّ الناس، فأعزّكم الله بالإسلام، فمهما تطلبوا العزة بغيره يُذلّكم الله »^(٢).

٢ - أنها ليست بطولات أرضية محضة، بل هي مؤيدة من قبل الله جل وعلا، تستمد قوتها من خلال دعائه والاستعانة به، واللجوء إليه، والتوكل عليه، فيمدّ أصحابها بتأييده ونصره، قال تعالى : ﴿ إِن تَصُرُّوْا اللّٰهَ يَصُرْكُمْ وَيُؤَيِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾^(٣).

ويقول عليه السلام يوم بدر : « اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لأتبعها في الأرض ». فما زال يهتف بربه، مادّاً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه^(٤).

٣ - هذه البطولات ليست لأجل الأرض والمادة، بل لأجل هدف أسمى، وغاية أنبل، حدّدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله »^(٥).

ومن هنا لعلك تلمس الحكمة من تسمية الانتصارات الإسلامية بالفتوح، وهي تسمية قرآنية، قال تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾^(٦)، لأنها فتح للقلوب لتلقّي نور الله، وفتح للبلاد لاستقبال هذا الدين العظيم. ٤ - أن غاية هذه البطولات غاية نبيلة، فإنك لا ترى فيها البطش والتنكيل عند التمكّن والنصر، بل إنك ترى العفو والمسامحة ما كان إلى ذلك سبيل، وما لم تدع المصلحة إلى خلافه.

(١) البداية والنهاية ٦١ / ٧ (أحداث سنة خمس عشرة، فتح بيت المقدس) وانظر مستدرك الحاكم ٨٢ / ٣.

(٢) آية ٧ من سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب الإمداد بالملائكة ٣ / ١٣٨٤ رقم (١٧٦٣).

(٤) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (الفتح ٦ / ٢٧) رقم (٢٨١٠).

(٥) آية ١ من سورة الفتح.

٥- أنها بطولات دائمة، لا يتخللها خضوع وذلٌّ، لأنها نابعة من الإيمان العميق، والمؤمن لا يذل ولا يخضع إلا لله، أو من أمره الله بالذل والخضوع له كالوالدين، وهذا غير منافٍ للبطولة، بل هو من كمالها.

بعض الصور:



١- كانت معركة أُحد من أشدِّ المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ وأصحابه، وأصيب فيها رسول الله ﷺ إصاباتٍ قويةً، أسالت دمه، وأضعفت قوته، حتى أشاع المشركون أنه ﷺ قد مات، وبينما هو على هذه الحال، وبعض أصحابه يحيطون به، إذ بأبي بن خلف يقبل قائلاً: أي محمد، لا نجوتُ إن نجوتَ، فقال الصحابة رضي الله عنهم: أيعطف عليه رجل منا، فقال ﷺ: دعوه، فلما دنا، تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصَّمَّة، وانتفض بها انتفاضة حتى تطاير عنه من حوله، ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعنه في عنقه طعنة جعل يتدحرج منها عن فرسه مراراً، فأثرت فيه حتى مات منها عند رجوعهم إلى مكة^(١).

٢- وكان حبيب بن زيد الأنصاري - رضي الله عنه - قد بعثه رسول الله ﷺ إلى مسيلمة الكذاب باليمامة، فكان مسيلمة إذا قال له: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال نعم، وإذا قال: أتشهد أني رسول الله قال: أنا أصم لا أسمع! ففعل ذلك مراراً، فقطَّعه مسيلمة عضواً عضواً، حتى مات شهيداً ﷺ^(٢).

٣- لما كان يوم اليمامة واشتد قتال بني حنيفة على الحديقة التي فيها مسيلمة، قال البراء بن مالك رضي الله عنه: يا معشر المسلمين، ألقوني عليهم، فاحتملوه حتى إذا أشرف على الجدار اقتحم، فقاتلهم على باب الحديقة حتى فتحه للمسلمين، فدخل المسلمون، فقتل الله مسيلمة، وجرح البراء يومئذٍ بضْعاً وثمانين جراحةً، ما بين رمية وضربة^(٣).

٤- قال ابن عباس رضي الله عنهما: أسرت الروم عبد الله بن حذافة السهمي صاحب النبي ﷺ فقال له الطاغية: تنصّر وإلا ألقيتك في البقرة^(٤) - لبقرة من نحاس - قال: ما أفعل، فدعا بالبقرة النحاس، فملئت زيتها وأغليت، ودعا برجل من أسرى المسلمين، فعرض عليه النصرانية، فأبى، فألقاه في البقرة، فإذا

(١) سيرة ابن هشام ٣/ ٨٤ والجهد لابن أبي عاصم ٢/ ٦٠١.

(٢) الاستيعاب (ترجمته)، وأسد الغابة ١- ٣٧٠.

(٣) أسد الغابة ١/ ١٧٢.

(٤) البقرة: قدر كبير واسعة، مأخوذة من التبقر، وهو التوسع، أو لأنها بقرة تامة (النهاية، واللسان).

عظامه تلوح، وقال لعبد الله : تَصَّرْ وإلا ألقيتك، قال: ما أفعل، فأمر به أن يلقي في البقرة، فبكى ! فقالوا: قد جزع ، قد بكى، قال : رُدُّوه ، فقال عبد الله : لا ترى أنني بكيت جزعاً مما تريد أن تصنع بي، لكن بكيت حيث ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله، كنت أُحِبُّ أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرةٍ فيّ، ثم تُسلِّط علي فتفعل بي هذا.

قال ابن عباس : فأعجب منه ، وأحب أن يطلقه، فقال له : قَبِّلْ رأسي وأطلقك، قال : ما أفعل، قال تنصَّرْ وأزوّجك بنتي، وأقاسمك ملكي، قال : ما أفعل، قال : قَبِّلْ رأسي وأطلقك، وأطلق معك ثمانين من المسلمين، قال: أما هذه فنعم، فقبل رأسه، وأطلقه وأطلق معه ثمانين من المسلمين. فلما قدموا على عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قام إليه عمر فقبَّل رأسه. قال ابن عباس : فكان أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم يمازحون عبد الله، فيقولون : قَبَّلْتَ رأس عُلجٍ؟! فيقول لهم : أطلق الله بتلك القُبلة ثمانين من المسلمين^(١).

الأسئلة



- س ١: من أين تَسْتَمِدُّ البطولات الإسلامية قُوَّتَها؟ استشهد لما تقول .
- س ٢: تسمى الانتصارات الإسلامية بالفتوح ، ما أصل هذه التسمية ؟ ولماذا ؟
- س ٣: اذكر موقفاً واحداً من بطولة النبي صلى الله عليه وسلم ، وموقفاً آخر من بطولة أصحابه رضي الله عنهم .

(١) أسد الغابة ١/ ١٧٢ .

صور من تحمل الأذى في الدعوة إلى الله تعالى

الابتلاء :

الابتلاء من سنن الله في كل دعوة، فكم من نبي قتل، وكم من نبي أُوذي، وكذلك أتباعهم معهم في هذا الطريق، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا إِنْ آمَنَّا بِهِمْ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۗ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

معاداة أهل الباطل :

ليس من دعوة للحق إلا ويقابلها دعاة للباطل، يحاولون إيقافها، والنيل منها بشتى الوسائل، وما على أصحاب الحق إلا أن يستعينوا بالله، ويعملوا، ويصبروا حتى يظهر الله دينه، ويعلي كلمته، كما قال النبي ﷺ في وصيته لابن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»^(٢).
وإنما يحصل العداء للدعوة؛ لأن شريعة الحق تخالف أهواء أهل الباطل، فالحق ثقيل عليهم، فذلك لا يقبلونه، وليسوا بتاركي الناس يتبعونه، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾^(٣).

صور من تحمل الأذى :

١- كان رسول الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا^(٤). جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فقام عقبة بن أبي مُعيط، وأخذ السلا، ووضعها على ظهر النبي ﷺ وهو ساجد، فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض، فلم يرفع النبي ﷺ رأسه من السجود حتى جاءت فاطمة وهي جويرية، فأخذت الأذى عن ظهره، فلما قضى النبي ﷺ صلاته رفع صوته

(١) الآيات ١-٣ من سورة العنكبوت ..

(٢) رواه الإمام أحمد ١/٣٠٧، وعبد بن حميد (المنتخب رقم: ٦٣٥)، وانظر: جامع العلوم والحكم، حديث رقم (١٩).

(٣) الآية ٢٦ من سورة الأنعام.

(٤) السلا: اللقافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي التي تسمى في الآدمية: المشيمة.

ودعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، فقال: «اللهم عليك بقريش» ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته، وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة، ثم دعا عليهم النبي ﷺ واحداً واحداً، وهم سبعة رجال، قال ابن مسعود ﷺ: «فو الذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صرعى في القليب، قليب بدر»^(١).

٢- عن جندب بن سفيان - ﷺ - قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثاً، فجاءته امرأة، فقالت: يا محمد، إنني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قريبك منذ ليلتين أو ثلاث، قال فأنزل الله عز وجل: ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣)﴾^(٢).

٣- وفي المدينة، قبل وقعة بدر، مر النبي ﷺ بمجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود، فيهم عبد الله بن أبيّ، وعبد الله بن رواحة ﷺ، فسلم النبي ﷺ عليهم، ثم وقف ودعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن. فقال عبد الله بن أبيّ: أيها المرء، لا أحسن من هذا، إن كان ما تقول حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا، وارجع إلى رحلك، فمن جاءك منا فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة ﷺ: اغشنا في مجالسنا، فإننا نحب ذلك، فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود، حتى هموا أن يتواثبوا، والرسول ﷺ يخفضهم «أي يسكنهم»^(٣).

٤- عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كُسرَت رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟» فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(٤).

وقال جندب بن سفيان ﷺ: دميت إصبع رسول الله ﷺ في بعض تلك المشاهد، فقال:
هل أنت إلا إصبعٌ دميتُ
وفي سبيل الله ما لقيت^(٥).

(١) الخبر مجموع من روايات في الصحيحين مع بعض اختصار، البخاري، كتاب الوضوء، باب إذا ألقى على ظهر المصلي قدر (الفتح ١/٣٤٩) رقم (٢٤٠)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين ٣/١٤١٨ رقم (١٧٩٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين ٣/١٤٢٢ رقم (١٧٩٧).

(٣) مختصر من خبر رواه البخاري في الاستئذان، باب التسليم على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين (الفتح ١١/٣٨)، رقم (٦٢٥٤) ومسلم، كتاب الجهاد، باب دعاء النبي ﷺ وصره على أذى المنافقين ٣/١٤٢٢ رقم (١٧٩٨).

(٤) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد ٣/١٤١٧ رقم (١٧٩١). والآية ١٢٨ من سورة آل عمران.

(٥) رواه مسلم، كتاب الجهاد، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين ٣/١٤٢١ رقم (١٧٩٦).

٥ - وقدّم أبو ذر الغفاري رضي الله عنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «ارجع إلى قومك، فأخبرهم حتى يأتيك أمري» فقال: والذي نفسي بيده لأصرخنّ بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكبّ عليه، قال: ويلكم، أستم تعلمون أنه من غفار، وأن طريق تجاركم إلى الشام، فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها، فضربوه وثاروا إليه، فأكب العباس عليه^(١).

٦ - كان حُيَيب بن عَدِيٍّ - رضي الله عنه - أحدَ العشرة في سرية عاصم بن ثابت بغزوة الرجيع، حيث تبعهم بنو لحيان، بين عُسفان ومكة بقرب من مئة رام، فاقتصوا آثارهم وقتلواهم. ووقع حبيب بن عدي أسيراً، فانطلقوا به، وباعوه بمكة لبني الحارث بن عامر بن نوفل، وكان حبيب قد قتل الحارث يوم بدر، فخرجوا به ليقتلوه، فلما همّوا قال: دعوني أصلي ركعتين، ثم انصرف إليهم، فقال: لولا أن تروا أنّ ما بي جزع من الموت لزدت، فكان أوّل من سن الركعتين عند القتل، ثم قال: اللهم أحصهم عدداً وقال:

على أيّ شقّ كان لله مصرعي
يبارك على أوصالٍ شلّو مُمزّع^(٢).

فلست أبالي حين أقتل مسلماً
وذلك في ذات الإله وإن يشأ

الأسئلة

- س ١: ما سبب معاداة أهل الباطل لدعوة الحق؟
- س ٢: اذكر ثلاثاً من الفوائد التي تأخذها من موقف أبي جهل وأصحابه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟
- س ٣: اذكر موقفاً مما حدث للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الأذى في المدينة.
- س ٤: يترك بعض المسلمين الدعوة إلى الله بحجة الخوف من الأذى، وجّه إليه نصيحة في ذلك.

(١) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (الفتح ٧/ ١٧٣)، رقم (٣٨٦١).
(٢) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع ورغل وذكوان (الفتح ٧/ ٣٧٩)، رقم (٤٠٨٦).

من خصائص الشريعة

للشريعة الإسلامية خصائص تميزها عن غيرها، ينبغي للمؤمن أن يتعرف عليها، ويستشعرها؛ لتوجد في نفسه شعوراً بعظمة دينه، وزيف ما سواه، وهذه الخصائص كثيرة، نذكر منها ما يلي :

١. الأهيبة المصدر والغاية :

فمصدرها من عند الله، وغايتها عبادة الله ورضاه، وبما أن مصدرها من عند الله، فإنه ليس لأحد من البشر أن يدخل فيها تشريعاً من عنده، حتى رسول الله ﷺ فإنه إنما يُبلغ رسالة ربه، كما قال تعالى : ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾^(١)، ويطبق شريعة الله في الأرض ليقتيدي به البشر : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾^(٢).

وبما أنها من عند الله فإنك لا تجد فيها تناقضاً، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(٣)، ولا تجد فيها تحييراً لغير الحق، ولا ميلاً لجنس دون آخر. وبما أن غايتها عبادة الله وحده، فإنك ترى المتمسك بها غايته واحدة، وهدفه واحد، لا تتجاذبه الاتجاهات، ولا تتقاذفه الأهواء، قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾^(٤).

ومن آثار ذلك أنها توجد في نفس المؤمن رقابة منه على نفسه، تدفعه إلى فعل الحسن، وترك القبيح.

٢. حفظ مصادرها :

للشريعة مصدران محفوظان من الضياع والتحريف، هما القرآن والسنة، فما دام هذان المصدران موجودين فالدين محفوظ وقائم بإذن الله تعالى، ولذلك قال ﷺ : « وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به : كتاب الله »^(٥)، وفي حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه قال : قال ﷺ : « فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ، المهديين ، عَضُّوا عليها بالنواجذ »^(٦).

(٤) آية ٢٩ من سورة الزمر .

(١) آية ٩٩ من سورة المائدة .

(٥) رواه مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ ٢ / ٨٩٠ ، رقم (١٢١٨) .

(٢) آية ٢١ من سورة الأحزاب .

(٦) رواه أبو داود رقم (٤٦٠٧) ، والترمذي رقم (٢٦٧٦) ، وقال : حسن صحيح .

(٣) آية ٨٢ من سورة النساء .



ويظهر ذلك في أمور ، منها :

أولاً : اشتغال القرآن والسنة على نوعين من النصوص :

أ- نصوص خاصة، وهي ما تدل على حكم مسألة بعينها، كوجوب الصلاة والزكاة، وتحريم الزنا، وغير ذلك.
ب- نصوص عامة، وهي أشبه ما تكون بالقواعد الكلية التي يدخل فيها ما لا حصر له من الأحكام، وهذا النوع من النصوص هو سر من أسرار بقاء الشريعة وصلاحتها لكل زمان ومكان، وذلك أن الذي وضع هذه الشريعة عالم بكل ما يكون عليه الزمان من تغير وتحول فلذلك ضَمَّن شرعه مثل هذه القواعد التي لا تتعلق بزمان أو مكان أو مسألة معينة ، ولذلك أمثلة كثيرة، منها :

١- قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾^(١).

وهذه آية عظيمة تدل على أن الأصل في الأشياء كلها الإباحة، إلا ما دل الدليل الشرعي على المنع منها، ويدخل في ذلك مئات الأحكام، بل أكثر.

٢- قال ﷺ: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ** »^(٢).

وهذا الحديث قاعدة عظيمة تبين كمال هذا الدين ، وأن كل زيادة فيه فهي مردودة.

ثانياً : في القرآن والسنة علاج لجميع جوانب الحياة : الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية ، وغير ذلك.

ثالثاً : فيها بيان النظرة الصحيحة لعلاقة العبد بربه، وعلاقته بالآخرين، على أساس من العدل والرحمة.

رابعاً : فيها بيان النظرة الصحيحة للكون، والحياة، والإنسان.

خامساً : فيها بيان لهدف الإنسان في الحياة، وكيفية تحقيقه، وماذا ينتظره بعد الموت.



لقد انتظمت الشريعة أحكام الحياة كلها، فلا يوجد شيء يمكن أن يخرج عن حكم الشريعة، سواء أكان في حياة الفرد أم كان في حياة المجتمع.

(١) آية ٢٩ من سورة البقرة .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحو على صلح جور فالصلح مردود (الفتح ٥ / ٣٠١) رقم (٢٦٩٧) ، ومسلم ، كتاب الأفضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ٣ / ١٣٤٣ رقم (١٧١٨) .

فاهتمت الشريعة ببيان ما ينظم حياة الفرد - الذي هو إحدى لبنات المجتمع - قبل ولادته وبعدها، في صغره وكبره، وفي جميع مراحل عمره، تنظيمًا دقيقاً لا يوجد له مثيل مطلقاً، ونظمت حياته في يومه وليلته، في نومه وقومته، في نفسه ومع غيره من قريب أو بعيد، ممن هو على دينه أو يخالفه، حتى قال بعض المشركين لسلمان الفارسي رضي الله عنه: «قد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخِزَاءَ»، فقال له سلمان رضي الله عنه - معتزاً بذلك: «أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول»^(١).

كما نظمت الشريعة حياة المجتمع، وما ينبغي أن يكون عليه من تعاون وإخاء، وما ينبغي أن يكون عليه الحاكم والمحكوم، وعلاقتهم بغيرهم من المجتمعات في السلم والحرب، وبيّنت الشريعة العقوبات الرادعة لمن لم يتمش مع شريعة الله، ونوّعت هذه العقوبات على حسب اختلاف الجرائم، إلى غير ذلك مما يصعب حصره.

٥. العدل والتوازن والتوسط :



الشريعة مبناها على العدالة والتوازن، توازنٌ بين طلب الدنيا والآخرة، فكما أن العمل للآخرة هو المطلوب الأسمى، فالعمل للدنيا من الكسب وطلب الولد وغير ذلك مطلوب شرعاً، وينقلب بالنية الصالحة، والموافقة للشريعة عملاً أخروياً.

وتوازنٌ بين الحقوق والواجبات، فكما أن لكل شخص حقوقاً، فعليه واجبات. وتوازنٌ بين حق الرجل والمرأة، وحق الصغير والكبير، وحق الروح وحق الجسد، وحق النفس، وحقوق الآخرين. **والوسطية هي:** اتباع الصراط المستقيم، الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط، وبين الغلو والتقصير: ﴿هُدًى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ۖ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٢).

٦. العالمية :



قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣)، فهي شريعة عالمية ليس لها حدود، لا تفرق بين جنس وآخر، أو بلد وآخر، لا يحدّها زمان ولا مكان، عامة للإنس والجن، الأسود والأبيض، الغني والفقير، العربي والعجمي.

(١) رواه مسلم كتاب الطهارة، باب الاستطابة ١/ ٢٢٣ رقم (٢٦٢).

(٢) الآيتان ٦، ٧ من سورة الفاتحة.

(٣) آية ١٠٧ من سورة الأنبياء.



شريعة الإسلام شريعة كاملة لا يعترها نقص، ولا تحتاج إلى زيادة أو تعديل، قدكملها الله تعالى عندما أنزل هذه الآية على رسوله ﷺ فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١).



الشريعة كلها مبناها على التيسير، كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (٢). فتشريعاتها وأحكامها ميسرة لا حرج فيها، وعندما يعرض للعبد بعض حالات الضعف أو المشقة، فإن الشريعة تخفف عنه من يسر إلى أيسر منه، كالمريض يشق عليه القيام فإنه يصلي جالساً، والمسافر يقصر الصلاة، ويفطر في رمضان، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٣). ولكن ليس لأحد أن يتهاون بأمر الشرع ونهيه، محتجاً بيسر الشريعة، فإن هذا تهاون وتفريط وفهم خاطئ للتيسير في الشريعة.

الأسئلة



- س ١ : ما معنى كون الشريعة إلهية المصدر والغاية؟
 س ٢ : تحدّث عن شمول الشريعة لجميع الجوانب.
 س ٣ : يحتج بعض الكسالى على تقصيره بأن الدين يسر، كيف يمكنك إفهامه المعنى الصحيح للشريعة؟

(١) آية ٣ من سورة المائدة .

(٢) آية ١٨٥ من سورة البقرة .

(٣) آية ٧٨ من سورة الحج .

الشخصية المتميزة للمسلم

أصل خلق الناس :

خلق الله سبحانه وتعالى الخلق من أصل واحد يرجعون إليه كلهم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَاءً خَالِقَةً مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾^(١) وقال رسول الله ﷺ في فتح مكة: «يا معشر قريش: إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب»^(٢).

خلق الإنسان على الفطرة :

خلق الله تعالى هذا الإنسان وفطره على معرفته وتوحيده، ومع ذلك فقد أوجد له الدلائل والبراهين الدالة على ربوبيته وألوهيته، وهذه الدلائل تخاطب عقله وحسه وروحه، ولم يجعل ذلك كافياً لمؤاخذة الإنسان على عدم معرفته، بل أرسل الرسل، وأنزل الكتب لمخاطبة الفطرة البشرية، وإرشادها إلى التصور الصحيح، والآيات حول هذه المعاني كثيرة جداً، يقول سبحانه مخاطباً الإنسان بالرجوع إلى فطرته :

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ مَنِيعِينَ إِلَيْهِ وَأَنْقَضُوا الْأَيْمَانَ وَأَقْبَمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٣).

هذا ما يريد الله سبحانه من الناس، ولكن الناس قد ينحرفون يمنة ويسرة بما تمليه عليهم عقولهم القاصرة أو شهواتهم البهيمية، أو عواطفهم ونزواتهم، لأن الله سبحانه وتعالى جعل للإنسان عقلاً وروحاً، فمن غلب جانباً على جانب زلَّ وحاد عن الطريق المستقيم، والله سبحانه شرع للناس ما يلبي هذه الجوانب باتساق وتوازن على التفصيل الآتي إن شاء الله تعالى :

(١) آية ١٣ من سورة الحجرات .

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة ٤١٢/٢ عن ابن إسحاق بهذا اللفظ، ورواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب ٣٣١/٤ برقم (٥١١٦) بلفظ (إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم، وآدم من تراب) ورواه الترمذي في كتاب التفسير باب ٤٩، ٣٦٣/٥، برقم (٣٢٧٠) بنحوه .

(٣) آية ٣٠، ٣١ من سورة الروم .



أ - أنه صاحب عقيدة :

المسلم يؤمن بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، ويؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، وباليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

ينطلق المسلم في نظرته إلى الحياة على أساس هذا الإيمان الذي يحدد له منطلقاته وأهدافه وسلوكه، ونظرته إلى هذا الكون، والحياة وتعامله فيها، وعلى هذا تقوم حياته، وتتحدد نظراته، وتسير أموره بوضوح وجلاء، فلا تَخْبُطُ ولا تيه، ولا تغيير ولا تبديل.

ولقد ركز الإسلام على هذا المعنى الكبير؛ لأنه هو الذي يحدد بداية مسار الإنسان في هذه الحياة ومنطلقه منها، يقول تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾^(١).

ويقول سبحانه: ﴿ءَامِنَ الرَّسُولَ إِذَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ كُلَّ ءَامِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بِحَدِّ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِمْ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٢).

ويقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾^(٣).

ب - أنه صاحب عبادة :

والمسلم كذلك حياته عبادة لله سبحانه وتعالى، تسير بنظام واتساق وتوازن، وهو ملتزم بهذه العبادة الجليلة التي تشمل جميع جوانب الحياة، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤).

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلِلَّهِ الْفُرْقَانُ ﴿١٦٧﴾ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٥).

وعليه فالمسلم يقوم بهذه العبادة، مخلصاً فيها لله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٦).

(٣) آية ٣٦ من سورة النحل .

(٦) آية ٥ من سورة البينة .

(٢) آية ٢٨٥ من سورة البقرة .

(٥) آية ١٦٢ - ١٦٣ من سورة الأنعام .

(١) آية ١٩ من سورة محمد ﷺ .

(٤) آية ٥٦ من سورة الذاريات .

ج - أنه صاحب أخلاق :

ومما تتميز به شخصية المسلم أنه رجل خلق كريم، وتعامل حسن، وسلوك حميد، مقتدياً في ذلك كله بقدوته الأولى محمد ﷺ الذي أثنى الله تعالى عليه في هذا الجانب، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١). وسئلت عائشة رضي - الله عنها - عنه فقالت: « كان خلقه القرآن »^(٢).

وزخرت سنته ﷺ بالحث على التزام الأخلاق والتأدب بآداب الإسلام، قال ﷺ: « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً »^(٣)، وقال ﷺ لمن طلب منه الوصية: « اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن »^(٤).

وربط الإسلام بين العبادة والأخلاق، فالعابد القانت لله هو الذي استفاد من عبادته بتقويم أخلاقه وسلوكه، يقول تعالى عن الصلاة: ﴿إِنَّكَ الصَّالِحُونَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٥)، ويقول الرسول ﷺ في شأن الصيام: « إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم »^(٦). ويقول تعالى في شأن الحج: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^(٧).

وهكذا نجد النصوص الشرعية متواترة في الحث على الأخلاق، والتمسك بها، والتزامها، فالمسلم الحق هو صاحب الخلق الكريم والسلوك المستقيم والصفات الحميدة، مثل: الصدق، والكرم، والتواضع، وغض البصر عن المحارم، والبعد عن الفواحش، والصبر والحياء، وغيرها.

د - المسلم صاحب علم وتعامل ودعوة :

وهذه ميزة أخرى لشخصية المسلم أنه يسير في الحياة على علم وبصيرة، ويتعامل مع الآخرين بما يجب أن يعاملوه به، فينطلق في تعامله من محبته لهم، وتمني الخير لهم، والدعاء لهم بكل ما يصلح حالهم ويسعدهم في دنياهم وأخراهم.

(١) آية ٤ من سورة القلم .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ١-٥١٣، كتاب صلا المسافرين، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، برقم (٧٤٦).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ٢/٦٣٢، برقم (٤٦٨٢)، وأخرجه الترمذي، كتاب الرضاع، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ٣/٤٦٦ برقم (١١٦٢).

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ماجاء في معاشره الناس ٤/٣١٣ برقم (١٩٨٧) ورواه الإمام أحمد في مسنده ٥/١٥٣، ١٥٨، ٢٢٨، والدارمي ٢/٣٢٣.

(٥) آية ٤٥ من سورة العنكبوت .

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم باب هل يقول إني صائم إذا شئت ٤/١١٨ برقم (١٩٠٤)، وأخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام ٢/٨٠٧، برقم (١١٥١).

(٧) آية ١٩٧ من سورة البقرة .

فالمسلم ليس أنانيًا لا يريد الخير إلا لنفسه، وليس حسودًا يتمنى زوال النعمة عن غيره، وليس حقودًا يتمنى الشر للآخرين. وهكذا كان رسول الله ﷺ، ودعوته قائمة على ذلك، والمسلم الحق من يكون كذلك فيوصل أعظم الخير إلى الناس، من هدايتهم وإرشادهم وتوجيههم، وخيرية هذه الأمة قائمة على أساس هذا المبدأ العظيم، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١)، وقال تعالى حاثًا على هذا الأمر: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

وهكذا عرفنا أن شخصية المسلم تكمن في عقيدته وعبادته وتعامله وسلوكه المبني على شمول نظره إلى الكون والإنسان والحياة، فإذا سار بين الناس ينظرون فيه الإسلام حيًا متحركًا، في آرائه وأفكاره، وأخلاقه وأحكامه، وسلوكه، وفي باطنه وظاهره، بعيدًا عن التشبه بغيره من الكفار.

ثمرات هذا التميز:



تكمن ثمرات هذا التميز للشخصية المسلمة فيما يلي:

أ- الاطمئنان القلبي والنفسي، فالإنسان معرض في هذه الدنيا لما يفرح ويترح، ففي كل أحواله يكون مطمئنًا هادئ البال، يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٣)، ويقول سبحانه: ﴿أَفَمَنْ صَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ وَاللَّسَانُ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٤). الآية، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَرُدَّادُوْا إِلَيْنَا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾^(٥).

ب- تحقيق عبودية الله في الأرض.

ج- الاستقرار والإنتاج، فبالسير على منهاج الله يحصل الأمن والاستقرار، وتحصل عمارة الأرض وتتحقق الغايات، وتبلغ الأماني، وبضد هذا المنهج يحصل خلاف ذلك.

د- العزة والنصر والتمكين في هذه الأرض، قال تعالى: ﴿إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٦).

(١) آية ١١٠ من سورة آل عمران . (٤) آية ٢٢ من سورة الزمر .

(٢) آية ٣٣ من سور فصلت . (٥) آية ٤ من سورة الفتح .

(٣) آية ٢٨ من سورة الرعد . (٦) آية ٧ من سورة محمد .

هـ- الغاية العظمى و الهدف الأسمى رضوان الله والجنة، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾^(١).

الأسئلة



- س ١ : خلق الله الإنسان على الفطرة، وضح ذلك .
- س ٢ : (المسلم رجل خلق كريم)، وضح ذلك ، مع ذكر بعض الأدلة مستشهداً بها على ما تقول .
- س ٣ : اذكر بعض ثمرات تميز الشخصية المسلمة .

(١) آيتا ١٠٧ . ١٠٨ من سورة الكهف .

الشباب

لماذا الحديث عن الشباب ؟

- مما لا شك فيه أن الشباب يتميز بخصائص لا توجد في غيره، ومن أهمها :
- ١ - أن فترة الشباب هي المرحلة التي يتمتع فيها الإنسان بكامل قواه الجسدية، فهو قد تعدى مرحلة الصعود (الطفولة)، ولم يبدأ مرحلة الانحدار (الشيخوخة) .
 - ٢ - أن الشباب هم رجال الغد، وآباء المستقبل، وعليهم مهمة تربية الأجيال القادمة، وإليهم تؤول قيادة الأمة في جميع مجالاتها.
 - ٣ - في صلاح الشباب صلاح للأمة، وفي فسادها فساد لها؛ لأنهم هم القوة المتحركة في المجتمع.
 - ٤ - الشباب لم يكتمل نضجه بعد، فهو قابل للتشكل والتغير، فإن كان توجيهه إلى الخير قبله ونفع الله به، وإن كان الأخرى فالدمار مصير، وقد قيل :

وينشأ ناشئ الفتيان منا
على ما كان عودُهُ أبوه

اهتمام الإسلام بالشباب :

أ- الشباب في القرآن :

يذكر الله تعالى في كتابه الكريم كل ما فيه هداية للبشر، فمن ذكره لقصص الأولين لناخذ منها العبرة، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنَّا فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾^(١) أو القدوة، كما قال تعالى بعد ذكر الأنبياء مخاطباً رسوله ﷺ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنَاهُمْ أَقْتَدِرْ ﴾^(٢) .
وقال تعالى : ﴿ قَدْ كُنَّا لَكُمْ أُسْوَةً حَسَنَةً فِي إِرْهَابِهِمُ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾^(٣) .
فيذكر ربنا قصص الأنبياء ، لحكم كثيرة، منها : القدوة بهم في إيمانهم ودعوتهم وصبرهم : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَأُولُوا الْعُرْسِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾^(٤) .

(١) آية ١١١ من سورة يوسف . (٣) آية ٤ من سورة الممتحنة .

(٢) آية ٩٠ من سورة الأنعام . (٤) آية ٣٥ من سورة الأحقاف .

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً إلا شاباً، ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب^(١)، ومن قصصهم ما يلي:

١ - قال تعالى في قصة إبراهيم - عليه السلام - يحكي ما قال قومه ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ﴾^(٢)، قال ابن كثير: أي شاباً.

٢ - ويذكر الله تعالى لنا قصة يوسف - عليه السلام - بتفاصيلها، وفيها من العبر والفوائد الشيء الكثير، وهو أحسن قدوة للشباب في العفة والطهر، وإيثار مرضاة الله، وإن ناله ما ناله في الدنيا من تعب وعناء.

٣ - ويذكر الله تعالى قصة الفتية: أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فَتْيَةٌ أَسْنَأُ بِرَبِّهِمْ وَرِذْنَهُمْ هُدًى﴾^(٣).
ومن مواضع الاقتداء فيها: الاعتزاز بالدين، والدعوة إليه، والاستعانة بالله، ودعاؤه، واعتزال أهل الباطل عند العجز عن إصلاحهم، وغير ذلك.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: فذكر الله تعالى أنهم فتية، وهم الشباب، وهم أقبل للحق، وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا، وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شباباً، وأما الشيوخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم، ولم يسلم منهم إلا القليل.

ب - الشباب في السنة :

أما رسول الهدى ﷺ فقد اشتد حرصه وتوجيهه للشباب، وظهرت عنايته الفائقة بهم، وإليك هذه النماذج اليسيرة:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **سبعة يُظِلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظله ...** » الحديث وفيه: « **وشابٌ نشأ في طاعة الله** »^(٤).

٢- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ شباب لا نجد شيئاً، فقال لنا رسول الله ﷺ: « **يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء** »^(٥).

(١) رواه ابن أبي حاتم، وذكره ابن كثير في تفسيره (آية ٦٠ من سورة الأنبياء). وقيل في تحديد سن الشباب: من سبع عشرة سنة إلى إحدى وخمسين سنة، ثم سن الشيخوخة إلى الموت، وقيل: الشاب البالغ إلى أن يكمل ثلاثين، وقيل غير ذلك (انظر: شرح كفاية المتحفظ ص ٢٢٨).

(٢) آية ٦٠ من الأنبياء.

(٣) آية ١٣ من سورة الكهف، وانظر تفسير ابن كثير لهذه الآية ج ٣.

(٤) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل الصلاة وفضل المساجد (الفتح ١٤٣/٢) رقم (٦٦٠)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة ٧١٥/٢ رقم (١٠٣١).

(٥) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، (الفتح ١١٢/٩) رقم (٥٠٦٦) ومسلم، كتاب النكاح، باب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ١٠١٨/٢، رقم (١٤٠٠).

- ٣- قال ﷺ لعمر بن أبي سلمة: « يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك »^(١).
- ٤- وقال لا بن عباس رضي الله عنهما: « يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك... »^(٢).

وغير ذلك كثير مما هو مسطر في كتب السنة، وتراجم الصحابة، وكتب السيرة.

حَمَلَةُ الْإِسْلَامِ الْأَوَائِلُ كَانُوا شَبَابًا :

وقد كان أكثر حملة الإسلام الأوائل في أول زمن البعثة من الشباب :
فهذا الصديق ﷺ لم يتجاوز السابعة والثلاثين، وهذا عمر ﷺ لم يتجاوز السابعة والعشرين، وهذا عثمان ﷺ لم يتجاوز الرابعة والثلاثين، وعلي ﷺ لم يكن تجاوز العاشرة، وكذلك بقية العشرة رضي الله عنهم : طلحة بن عبيدالله لم يتجاوز الرابعة عشرة، والزبير بن العوام لم يتجاوز السادسة عشرة، وسعد بن أبي وقاص لم يتجاوز السابعة عشرة، وسعيد بن زيد لم يتجاوز الخامسة عشرة، وأبو عبيدة لم يتجاوز سبعاً وعشرين، وعبد الرحمن بن عوف لم يتجاوز الثلاثين^(٣).
وجماعة كثيرة من أصحاب النبي ﷺ كانوا شباباً، قام عليهم الدين، وحملوه على أكتافهم حتى أعزهم الله ونصرهم.

صور من حال الشباب في عهد الرسول ﷺ :

- ١ - عن مالك بن الحويرث ﷺ قال : أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظننا أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا في أهلنا فأخبرنا، وكان رقيقاً رحيماً، فقال « ارجعوا إلى أهليكم، ومروهم، وصلوا كما رأيتموني أصلي، وإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، ثم ليؤمكم أكبركم »^(٤).
- ٢ - روى الإمام أحمد في مسنده ، عن أنس ﷺ قال: « كان شباب من الأنصار سبعين رجلاً يقال لهم القراء ، قال: كانوا يكونون في المسجد، فإذا أمسوا انتحوا ناحية من المدينة فيتدارسون ويصلون،

(١) رواه البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام، (الفتح ٩٥٢١) رقم (٥٣٧٦)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب ٣/١٥٩٩ رقم (٢٠٢٢).

(٢) رواه أحمد ١/٢٩٣، والترمذي، كتاب صفة القيامة، باب (٥٩) ح ٢٥١٦ وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) في بعض أعمارهم اختلاف يسير، تراجع سيرهم في كتاب: الإصابة، لابن حجر رحمه الله، وغيره.

(٤) رواه البخاري في مواضع، منها: كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (الفتح ٤٣٧/١٠) رقم (٦٠٠٨).

- يجسب أهلوههم أنهم في المسجد ويجسب أهل المسجد أنهم في أهليهم، حتى إذا كانوا في وجه الصبح، استعذبوا من الماء واحتطبوا من الحطب، فجاءوا به، فأسندوه إلى حجرة الرسول ﷺ، فبعثهم النبي ﷺ جميعاً فأصيبوا يوم بئر معونة، فدعا النبي ﷺ على قتلهم خمسة عشر يوماً في صلاة الغداة»^(١).
- ٣- وأسامة بن زيد رضي الله عنه يشاوره النبي ﷺ في حادثة الإفك^(٢)، ويسلمه قيادة الجيش الذاهب إلى الروم^(٣).
- ٤- وعتاب بن أسيد، يجعله أميراً على مكة^(٤).
- ٥- وعبد الله بن الزبير، يقود الغلمان لمبايعة النبي ﷺ^(٥).
- ٦- ومصعب بن عمير، يرسله داعية إلى أهل المدينة، فيسلم على يديه أكثر أهلها، ويدخل نور الإسلام كل بيت من بيوتها^(٦).
- ٧- وأسما بنت أبي بكر رضي الله عنها، وموقفها في الهجرة.
- ٨- وعائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها كانت عالمة فقيهة يرجع إليها الصحابة فيما أشكل عليهم.

توجيهات للشباب :



- إن الشباب بالإسلام خير وبناء، وبغير الإسلام تعاسة وبلاء، فالشباب طاقة يسخرها الإسلام في إصلاح البشرية، فإليك أخي الشاب هذه التوجيهات التي يملها عليك دينك :
- ١- على الشاب أن يعرف دينه، ويمثله في سلوكه وعمله، ويكون على قناعة تامة به، ولا يلتفت لأقوال الحاقدين والمشككين، وليعلم أن دينه أفضل دين، وأن كل ما سواه فهو زور وباطل، وأن عليه أن يسخر ما أودعه الله من قوة ونشاط في خدمة هذا الدين.
- ٢- على الشاب أن يعلم أن أمته هي خير أمة، وأن هذه الخيرية ثابتة لها ما دامت متمسكةً بدينها، وليعلم أن أمته بقيت دهرًا طويلاً رائدة للعالم، وأنه يجب أن تبقى لها هذه الريادة، وذلك لا يتحقق إلا بالالتزام بدين الإسلام.
- ٣- على الشاب أن تكون همته - بعد إصلاح نفسه - إصلاح الآخرين، وتعميد الناس لرب العالمين،

(٤) ترجمته في الإصابة.

(١) مسند الإمام أحمد ٣/ ٢٢٣٥، وأصله في الصحيحين، لكن ليس فيه موضع الشاهد.

(٥) ترجمة ابن الزبير في الإصابة.

(٢) البخاري، كتاب الشهادات، باب إذا عدل رجل أحداً، (الفتح ٥/ ٢٤٨) رقم (٢٦٣٧).

(٦) ترجمة مصعب في الإصابة.

(٣) ترجمة أسامة في الإصابة.

وليحذر أن يكون داعيةً سوء، يكون عليه وزرٌ نفسه، ووزرٌ غيره.

٤- على الشاب أن يعرف ما لوطنه وولادة أمره من الحق، فهو بلد الإسلام الذي ولد فيه، وعلى أرضه نشأ، وأن عليه لولادة أمره الطاعة في المعروف، وليحذر أن يكون آلة يستخدمها الأعداء لهدم الأمة من داخلها، والإفساد في الوطن.

٥- على الشاب أن يكون دائم الارتباط بالله تعالى، من خلال أداء الصلاة في وقتها، وكثرة الذكر والدعاء، والاستعانة به في جميع الأمور، والتوكل عليه، والمحافظة على الأوراد المشروعة كأذكار الصباح والمساء، والدخول والخروج، والركوب، ونزول المكان، وغير ذلك.

٦- على الشاب أن يعلم أن قدوته الحقيقية هو محمد ﷺ، وليحذر من التقليد الأعمى الذي يفقده شخصيته وتميزه.

٧- على الشاب أن يحافظ على رجولته، ويتجنب كل ما من شأنه أن يضعفها من ميوعة وتكسر وتشبه بالنساء، وغير ذلك.

٨- على الشاب أن يصبر على مشقة فعل الطاعة، وترك المعصية، حتى تستقيم نفسه على ذلك وتستلذ به ففي الحديث «الخير عادة»^(١) و عليه أن لا يتأثر بمن يسخر منه أو يلمزه، فقد قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ الآيات^(٢).

٩- على الشباب أن يستشعروا بأنهم آباء المستقبل، فلا بد أن يعدُّوا أنفسهم لتربية أبنائهم التربية الصحيحة، فيسلحوا أنفسهم بالعلم والأدب.

١٠ - على الشاب - إذا أراد أن يروِّح عن نفسه، أن يلتزم الحلال، ويتجنب الحرام، فإن في الحلال غنية عن غيره، وإن عاقبة الحرام وخيمة، وليكن من دعائه « اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمَّن سواك »^(٣).

١١- على الشباب أن يكونوا حذرين من الأفكار الهدامة حتى ولو كان ظاهرها الصلاح والإصلاح فلا يقبلوا فكرةً إلا بعد عرضها على العلماء والأساتذة حتى لا يقعوا فريسة في أيدي دعاة الباطل.

(١) جزء من حديث رواه ابن ماجه في المقدمة، باب فضل العلماء (٢٢١)، وابن حبان في صحيحه (٨/٢) وغيرهم .

(٢) آية ٢٩ من سورة المطففين .

(٣) رواه الترمذي رقم (٣٦٣٤)، وقال : حديث حسن .

الأسئلة



- س ١ : ما سبب التركيز على الشباب؟
- س ٢ : اذكر صورتين من حال الشباب في عهد النبي ﷺ مع التعليق على كل واحدة منهما بما تراه.
- س ٣ : اذكر أربعة من الأغلاط التي تراها على شبابنا اليوم، وما رأيك أنت في ذلك؟
- س ٤ : اذكر إحدى مشاكل الشباب، وكيف ترى علاجها؟

الشجاعة والرجولة

الشجاعة من أعظم الصفات التي يتميز بها الرجال، وهنا نتعرض لبيانها ثم نذكر بعض ما ينبغي أن يتميز به المسلم من صفات الرجولة.

الشجاعة، والتهور، والجبن :

الشجاعة: الإقدام على قولٍ أو فعلٍ فيه مخاطرة، لتحصيل خير أو دفع شر، بقوة قلب وثباته^(١).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: الشجاعة ليست هي قوة البدن، وإنما قوة القلب وثباته، وقد يكون الرجل قويَّ البدن ضعيفَ القلب^(٢).
والجبن: ضد الشجاعة.

والتهور: إقدام بلا تفكير في العواقب، ولا تمييز بين الفعل المحمود والمذموم.
فالشجاعة خلق فاضل متوسط بين خلقين رذيلين: الجبن والتهور^(٣).

مدح الشجاعة، وذم الجبن :

كل ما في القرآن الكريم والسنة النبوية من الأمر بالجهاد والترغيب فيه، وذم التاركين له، كل ذلك مدح للشجاعة وذم للجبن^(٤)، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥).
وكان ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجَبَنِ»^(٦).

(١) ينظر: الأخلاق الإسلامية، للميداني ٥٨٦/٢، ومجموع مؤلفات العلامة السعدي، المجلد الأول ٤٠٠/٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١٥٨/٢٨ بتصرف.

(٣) ينظر الكتب الثلاثة المقدمة، وانظر الأخلاق والسير لابن حزم الظاهري ص ٣٢، والروح، لابن القيم ص ٢٣٦.

(٤) مجموع الفتاوى ١٥٧/٢٨ وما قبلها وما بعدها. (٥) آية ٣٨ من سورة التوبة.

(٦) رواه البخاري، كتاب الجهاد، باب ما يتعوذ من الجبن (الفتح ٦/٣٥)، رقم (٢٨٢٢).

مراتب الناس :



قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : الناس على أربعة أقسام : أعلاهم الدِّينُ الشجاعُ، ثم الدِّينُ بلا شجاعة، ثم عكسه، ثم العَرِيُّ منها^(١).

أنواع الشجاعة من حيث أصلها ، وسبل تقويتها^(٢) :



أ- نوع محمود : وهي التي يكون بها نصر الحق، وردُّ الباطل، وتحصيل المنافع للخلق، وكمال هذا النوع والثواب عليه متعلق بكون ذلك في سبيل الله تعالى، ولأجل مرضاته.
ب- نوع مذموم : وهي التي تكون في حظوظ النفس الدنيئة، لافي حقوق الله تعالى، ولالتحقيق مصالح خلقه.

أنواع الشجاعة من حيث ما تتعلق به^(٣) :



الشجاعة نوعان : فطري، ومكتسب، كلاهما تحصل الزيادة فيه بأمور ، منها :
١- الاستعانة بالله، والتوكل عليه، ودعاؤه، والثقة بنصره وتأييده، قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُخْرِجْ أَعْدَاءَكُمْ﴾^(٤).

٢- ترسيخ عقيدة الإيثار بالقضاء والقدر، وأن ما يصيب الإنسان فهو مقدر عليه، لا يمكن أن يخطئه.
٣- أن يدرك المسلم أن غاية ما يمكن أن يصل إليه بسبب الشجاعة هو الموت؛ والموت سبيل كل الناس سالكه.
مَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بغيره تعددت الأسباب ، والموت واحد

٤- التمسك بطاعة الله، والقرب منه، فإن ذلك أعظم عون على تقوية روح الشجاعة في الإنسان.
٥- أن يقنع نفسه بأن مثيرات الجبن أكثرها أوهام وتخييلات لا أصل لها، وأن الشيطان قد يثيرها في نفسه ليحجم عن الإقدام على فعل الخير، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٥). والمعنى : يثير في أنفسكم الخوف من أوليائه.

(٤) آية ٧ من سورة محمد ﷺ .

(١) مجموع الفتاوي ٢٨/٢٦ ، وانظر أيضًا ص ١٦٤ .

(٢) ينظر : مؤلفات العلامة السعدي ، المجلد الأول ٤٠٣/٥ . (٥) آية ١٧٥ من سورة آل عمران .

(٣) ينظر : المواضع المتقدمة من المراجع السابقة .

٦- التدريب على الشجاعة شيئاً فشيئاً، حتى تكون خُلُقاً راسخاً في النفس، وقد كان الزبير بن العوام رضي الله عنه يصطحب معه ولده عبد الله وهو صغير، ويحضره ميدان المعركة لتعود نفسه على الشجاعة^(١)، والكلمة تحتاج إلى شجاعة، فالذي يريد أن يكون خطيباً أو متحدثاً، لا يبدأ بخطبة على عدد كثير، لعله أن يحجم بعدها عن دخول هذا الميدان من أصله.

٧- إخلاص العمل لله، وعدم مراعاة الناس عند فعل ما يحتاج إلى إقدام وشجاعة، وعدم المبالاة بمدحهم وذمهم.

٨- استحضار عظمة الله عند فعل ما يحتاج إلى شجاعة وإقدام، واستحضار أمره تعالى بذلك وإثابته عليه، وأنه يعاقب على ترك الإقدام على هذا العمل أو القول.

٩- مطالعة سير الأبطال والشجعان، خاصة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وعلماء الأمة وقادتها الكبار.

من صفات الرجولة التي تميز بها المسلم :



- ١- الجهاد في سبيل الله، بالسنان واللسان، والدعوة إليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- ٢- الشجاعة في قول كلمة الحق، وردّ الباطل، والتخلي عنه بالقول والفعل.
- ٣- التحليّ بالعلم والعمل، والخلق الفاضل، والأدب الكامل.
- ٤- وضوح الهدف والغاية التي يسعى الإنسان لتحقيقها، وتسخير طاقته لأجلها.
- ٥- احتمال الأذى، وملك النفس عند الغضب، والحلم على السفيه، فلا تستثيره توافه الأمور فتخرجه عن حد العقل إلى الجنون، قال صلى الله عليه وسلم: « ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب »^(٢).
- ٦- الدفاع عن الدين والمحارم، والغيرة عليها.
- ٧- علوُّ الهمة، والترفع عن الدنيا، وقوة الإرادة التي يخضع بها نفسه لأجل مرضاة ربه، فهو يتغلب بها على نفسه حين تأمره بالكسل والتهاون في طاعة مولاه.

(١) انظر صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل الحديث رقم (٣٩٧٥).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (الفتح ١٠/٥١٨)، ومسلم، كتاب البر، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب (٤/٢٠١٤)، رقم (٢٦٠٩).

مظاهر خاطئة للرجولة والشجاعة :



- أ- إلقاء الرجل نفسه في المهالك دون غرض صحيح، كالتهور في قيادة السيارة مثلاً.
- ب- الغلظة على الأطفال والنساء من أولاد وزوجات وغيرهم.
- ج- معاونة الظالم على ظلمه، والقيام مع الصاحب دون معرفة وجه الحق الذي له^(١).

الأسئلة



- س ١: ما الفرق بين الشجاعة، والتهور، والجبن؟ واذكر مثلاً على كل منها من إنشائك.
- س ٢: اذكر أربعة من العوامل المساعدة لتقوية روح الشجاعة عند الرجل.
- س ٣: اذكر أربعاً من سمات الرجولة الحقة.
- س ٤: اذكر أربعاً من المظاهر الخاطئة للرجولة (اثنين من الكتاب، واثنين من إنشائك).

(١) انظر في هذا: فتاوى شيخ الإسلام ١٦/٢٨، ١٧.

٣ للاستزادة في موضوع الشجاعة، انظر - غير ما تقدم - كتاب: مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، ومثير الغرام إلى دار السلام (في فضائل الجهاد) لأبي زكريا أحمد ابن إبراهيم الدمياطي، المشهور بابن النحاس ١٠١٥-٩٥١/٢.



المال في الإسلام

تمهيد :

خلق الله تعالى الإنسان في هذه الحياة، وجعل له عوامل تقوم بها حياته الفردية والجماعية، والإنسان - أي إنسان - ينطلق في حياته بناء على تصوره الاعتقادي، فيوجه نشاطه السياسي والاقتصادي والاجتماعي وغيرها، بناءً على هذا الاعتقاد.

وللمسلم نظرتة الخاصة نحو المال ، النظرة التي فصلها الشرع المطهر ، تلك النظرة المتميزة عن سائر النظم المالية في عالم اليوم ، والتي يمكن تقسيمها إلى أقسام ثلاثة :-

- ١ - النظام الإسلامي .
- ٢ - النظام الرأسمالي .
- ٣ - النظام الاشتراكي .

أولاً : النظام الإسلامي :

من الصعب تلخيص نظرة الإسلام إلى المال في كلمات يسيرة، ولكن يمكن الاقتصار على بعض الأصول الضرورية التي تحيط بالموضوع :

١ - المال مال الله :

بين الله تعالى أن الأرض وما عليها ملك له عز وجل، فقال تعالى : ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾^(١)، خلق فيها آدميين ليعمروها ، وأعد لها لانتفاعهم، يقول سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ

جَمِيعًا﴾^(٢)، ويقول سبحانه ﴿وَمَا نُوهِكُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾^(٣). وعليه فالمال مال الله تعالى، والناس مستخلفون فيه، كما قال تعالى : ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ﴾^(٤). فيتصرف المسلم فيه بناء

(١) آية ١٢٠ من سورة المائدة . (٢) آية ٣٣ من سورة النور .

(٣) آية ٢٩ من سورة البقرة . (٤) آية ٧ من سورة الحديد .

على هذا الأصل الاعتقادي العظيم.

٢- للإنسان حق التملك :

من غرائز الإنسان حب التملك، والإسلام لبي هذه الغريزة، وأمر المسلم بتنميته، قال تعالى :

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١) وقال فيما حكى عن قارون وقومه : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(٢)، وغيرها من النصوص كثير.

ولكن الإسلام حدد طرق ووسائل هذا التملك، ومنها :

أ- التجارة والسعي لكسب الرزق.

يقول تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾^(٣)

ب- التملك عن طريق الوصية والإرث.

ج- التملك عن طريق الجهاد في سبيل الله من الغنيمة والفياء.

د- التملك عن طريق إحياء الأرض الموات التي لا تكون ملكاً لأحد، فيحييها بالسقي أو الزرع أو البناء، جاء في الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - مرفوعاً: « من أعمار أرضاً ليست لأحد فهو أحق »^(٤).

ولكن في الوقت الحاضر لا بد من إذن ولي الأمر.

هـ- التملك عن طريق الهبات والهدايا والعطايا.

٣- أصول التعامل المالي في الإسلام :

١- سلامة النية والقصد في التعامل المالي، قال رسول الله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى** »^(٥). فيقصد بمعاملاته الرزق الحلال، والاستعفاف عن السؤال، والتقرب به إلى الله تعالى.

٢- الأمانة والصدق، قال رسول الله ﷺ : « **البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في**

(١) آية ١٠ من سورة الجمعة . (٢) آية ٧٧ من سورة القصص . (٣) آية ١٥ من سورة الملك .

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الحرث والمزراعة، باب من أحيا أرضاً مواتاً ١٨/٥ رقم (٢٣٣٥)، وهذا لفظه، قال الحافظ، زاد الإسماعيلي (فهو أحق بها).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي ٩/١ برقم ١، ومسلم، كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ :

« **إنما الأعمال بالنية** » ٣/١٥١٥ برقم (١٩٠٧).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتب ٤/٣٠٩ برقم (٢٠٧٩)، ومسلم، كتاب البيوع، باب الصدق في البيع والبيان ٣/١١٦٤

رقم الحديث (١٥٣٢).

بيعها، وإن كذبا وكتبا مُحقت بركة بيعها»^(٦).

٣- أن لا يلهي المال عن طاعة الله تعالى ، وأن لا يؤدي إلى معصيته سبحانه ، قال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامُوا لَأَنْفَهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١).

٤- اتقاء المعاملات المشتبهة لثلا يقع في الحرام، قال ﷺ « الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرض، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه» الحديث^(٢).

٥- تجنُّب المعاملات المحرَّمة : الأصل في التعامل المالي الحلُّ إلا ما دلَّ الشرع على تحريمه، ويمكن جمع ذلك في القواعد العامة الآتية :

أ- الربا، وقد ثبت في الكتاب والسنة تحريم الربا، وهو مقتضى العدل والرحمة بالخلق، قال تعالى :
﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^(٣).

ب- المعاملات التي فيها غرر، ويدخل فيها الميسر، والمجهول، وبيع الثمر قبل بدو صلاحه، ونحو ذلك .
ج- ما فيه غش وتدليس، قال رسول ﷺ : « من غشنا فليس منا »^(٤).

د- أن يترتب على المعاملة ضرر أو إضرار، قال رسول الله ﷺ : « لا ضرر ولا ضرار »^(٥).
٦- أن يؤدي الحق المشروع فيه، مثل :

أ- الزكاة المفروضة المعيّنة مقاديرها في الشرع، بحسب نوع المال وقدره، وهذا حق مفروض .
ب- النفقات الواجبة، كالنفقة على الزوجة والأولاد، وكذا عند حاجة المسلمين إذا لم يتمكن بيت المال من تحقيقها .
ج- الصدقات والتبرعات والهبات وأنواع البر المتعددة، وهذه مستحبة ندب إليها الإسلام وعظم أجر صاحبها، وضاعف مثوبته؛ لما يورثه من المحبة والمودة وسدِّ الحاجة، ومواساة الفقير والمسكين وغير ذلك، قال تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٦).

(١) آية ٩ من سورة المنافقون .

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإبان، باب فضل من استبرأ لدينه ١/١٢٦ رقم الحديث (٥٢)، ومسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣/١٢١٩ رقم الحديث (١٥٩٩).

(٣) آية ٢٧٥ من سورة البقرة.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الإبان، باب قول النبي ﷺ : « من غشنا فليس منا » ١/١٩٩ برقم (١٠).

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره ٢/٧٨٤ برقم (٢٢٤٠)، وأخرجه الإمام أحمد ١/٣١٣، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٠).

(٦) آية ٢٦١ من سورة البقرة .

ثانياً : النظام الرأسمالي :



يقوم النظام الرأسمالي على وجهة الاقتصاد الحرّ، ودعامته الأساسية وفلسفته الفكرية تقوم على المذهب الفردي.

أهم أسس النظام الرأسمالي :

- ١ - الملكية الفردية لأدوات الإنتاج، وحماية الدولة لها، فالملكية الفردية في المذهب الفردي حقٌّ مطلق من كل قيد.
- ٢ - عدم تدخُّل الدولة في النشاط الاقتصادي، وتركه حرّاً للتنافس الأفراد.
- ٣ - حافز الربح والمصلحة الشخصية، والمنفعة الذاتية هي الأمور المحركة للنشاط الاقتصادي والباعثة له.
- ٤ - انقسام المجتمع إلى مُلأك وغير مُلأك.
- ٥ - (الربا) المسمى عندهم : (الفائدة) دعامة أساسية في النظام الرأسمالي.
- ٦ - ليس لأي كائن حقٌّ في المال سوى مالكة.

الآثار المترتبة على هذا النظام :

- ١ - تؤدي هذه المبادئ إلى سلوك سبيل يوصل إلى المال ويزيد من الأرباح، وبناء عليه تعددت وسائل الكسب غير الشريف، فانتشر الاحتكار والقمار وتجارة الخمر والمخدّرات، وأسلحة الدمار، وغيرها.
- ٢ - انتشر الربا انتشاراً واسعاً، ووقع ضحيته ملايين الأفراد؛ لأن المال انحصر في بنوك ربوية رأسمالية.
- ٣ - ليس للضعفاء والفقراء أو الحريصين على المثل العليا والأخلاق الحميدة أي دور في هذا النظام.
- ٤ - سيطرة الأغنياء وأصحاب الجاه على المجتمع، والتحكُّم فيه.

ثالثاً : النظام الاشتراكي (الشيوعي) :



يقوم النظام الاشتراكي (الشيوعي) على ضد نظرية المذهب الفردي ، حيث يرى أن مصلحة الجماعة هي الحاكمة ، أما المصلحة الفردية فملغاة.

أهمّ أسس النظام الاشتراكي :

- ١ - إلغاء الملكية الفردية.

٢ - الدولة هي المالكة للمال، والموجهة للاقتصاد كله، فلا حَقَّ للفرد إلا بقدر حاجته، وعليه أن يبذل للدولة جميع طاقته.

٣ - زعم توزيع الثروة على الجميع.

الآثار المترتبة عليه :

١ - مصادمة الفطرة الإنسانية لحب التملك التي غرزها الله سبحانه وتعالى في الإنسان.

٢ - القضاء على حوافز الجد والاجتهاد؛ لأن الإنسان يعمل لغيره.

٣ - القضاء على المواهب والإبداعات، فلا سبيل لتنميتها.

٤ - الطبقة المسيطرة في الدولة تعيش برخاء ورفاهية، وتسكن ما تشاء من المساكن، وتغدق المال على نفسها، وبقية المجتمع يعيش عكس هؤلاء تماماً من الشقاء والتعاسة.

ولذا لم يتمكن هذا المذهب الفاسد من البقاء، وثار عليه أهله، وتفككت دولته في مطلع هذا القرن الهجري .

الأسئلة



س ١ : (المال نعمة من الله) ما أثر ذلك على المسلم ؟

س ٢ : (المال مال الله) وضح معنى هذه العبارة ؟

س ٣ : ينظر الإسلام إلى المال بأنه ملك لله تعالى منح الإنسان حق التملك فيه، اذكر بعض الأدلة على ذلك موضحاً بعض سبل التملك المشروعة .

س ٤ : لم حرم الإسلام الربا والمعاملات التي فيها ضرر ؟

س ٥ : لكي يتمتع المسلم بالمال، ويثمر في الدنيا والآخرة لا بد وأن يتعامل بضوابط، تحدث عما يتعلق بالمعاملات المشتبهة.

س ٦ : قارن بين نظام الإسلام المالي، والنظام الرأسمالي، والنظام الاشتراكي، فيما يلي :

١- النظرة إلى أصل المال.

٢- أحقيّة التملك.

٣- النتائج.

الإنفاق وآدابه

نعمة المال :

نعم الله سبحانه وتعالى كثيرة لا تُعدُّ ولا تحصى : ﴿ وَإِنْ نَعَدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾^(١). ومن أعظم النعم : نعمة المال والرزق، هذه النعمة التي تؤدي من خلالها كثير من العبادات، ولا يستغني عنها مخلوق حي حتى الطيور تبحث عن أرزاقها في عُدُوها ورواحها.

وهذا المال مال الله تعالى يودعه عباده؛ ليبثليهم أيشكرونه أم يكفرونه، قال تعالى :

﴿ وَأَمَّا دَنَّاكُمْ بِأَمْوَالِ رَبَّيْكُمْ ﴾^(٢)، وقال سبحانه : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّا كَافِرُونَ ﴾^(٣)

وقال جل وعلا : ﴿ لَيْسَ سَعْيَكُمْ لِإِزْدَادِكُمْ وَلَيْسَ كُفْرُكُمْ إِذْ عَدَّيْ لَشَدِيدٌ ﴾^(٤).

أنواع الإنفاق المشروع وصوره :

ومن حقوق المال إنفاقه في الأوجه المشروعة، وهي نوعان :

أ- واجب : كالإنفاق على النفس والولد والزوجة، وأداء الزكاة المفروضة ونحو ذلك.

ب- مستحب : كصدقة التطوع، والإنفاق في أوجه البر المتنوعة كالنفقة على اليتامى والأرامل والفقراء والمساكين، وكالهبات والهدايا، والتبرع لمؤسسات البر والإغاثة ونحو ذلك، وإنفاق الزوجة الغنية على زوجها الفقير.

من ثمرات الإنفاق المشروع :

١- دخول الجنة، يقول تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(٥) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْحِكْمَاطِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(٥).

(١) آية ٣٤ من سورة إبراهيم .

(٤) آية ٧ من سورة إبراهيم .

(٢) آية ٦ من سورة الإسراء .

(٥) آيتا ١٣٣، ١٣٤ من سورة آل عمران .

(٣) آية ٦٠ من سورة العنكبوت .

٢- الوقاية من النار ، وتكفير السيئات ، روى الشيخان أن النبي ﷺ قال : « اتقوا النار ولو بشق تمرة »^(١) ، ويقول ﷺ : « والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفىء الماء النار »^(٢) .

٣- تكثير الحسنات، ومضاعفة الأجر أضعافاً مضاعفة، يقول تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٣) ويقول سبحانه : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقْرِضُوا لِنَفْسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ حَظًّا كَثِيرًا وَبَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَاقِبُونَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٤) .

٤- طهارة للمنفق، وتزكية لقلبه، وتنمية للمال، وسلامة له من الآفات، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾^(٥) .

آداب الإنفاق :



لكي يؤدي الإنفاق تلك الثمار العظيمة والفوائد الجليلة لا بد أن يكون المنفق مستحضراً آداباً مهمة فيه، وهي :

١- الإخلاص :

الإخلاص يعني : تجريد العبودية لله تعالى لا يشوبها شائبة رياء أو سمعة أو غيرهما، فإذا أنفق على نفسه وأسرته ينفق شاكراً لله تعالى على ما أعطاه من هذا المال، حامداً له على هذه النعمة، وإذا أنفق على الفقراء والمساكين، أو مشاريع الخير وأعمال البر يريد الأجر والثواب من هذا الإنفاق، يقول الرسول ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى** »^(٦) .

فمن أنفق يبتغي الأجر فله ذلك، ومن أنفق رياء أو سمعة أخذ حظه من ثناء الناس في الدنيا، وليس له حظ في الآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول الناس يُقضى**

(١) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة ٢٨٣/٣ برقم (١٤١٧)، ومسلم ٧٠٣/٢ برقم (١٠١٦)، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة .
(٢) أخرجه الترمذي ، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة ١٣/٥ ، رقم الحديث (٢٦١٦) ، وأخرجه النسائي في الكبرى ٤٢٨/٦ ، برقم (١١٣٩٤) ، كتاب التفسير .
(٣) آية ٢٦١ من سورة البقرة .
(٤) آية رقم ٢٠ من سورة المزمل .
(٥) آية رقم ١٠٣ من سورة التوبة .
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي ٩/١ برقم (١) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنية** » (١٩٠٧) .

عليه يوم القيامة ثلاثة ..» ومنهم : «رجل وَسَّعَ اللهُ عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فَأُتِيَ به فَعَرَّفَهُ نعمه فعرَّفها، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال : كذبت، ولكنك فعلت ليقال جواد، فقد قيل، فَسُحِبَ على وجهه، ثم أُلقِيَ في النار»^(١).

٢- عدم المَنِّ والأذى :

المَنُّ هو : التحدث بما أعطى حتى يبلغ ذلك المُعْطَى فيؤذيه.
والأذى هو : السبُّ والتطاول والتشكِّي.

وعدم المَنِّ والأذى هو الأدب الثاني الذي يتفق مع ما فطر الله تعالى النفس الإنسانية عليه من الكرامة والعزَّة، فتلك النفس تأبى أن يكون هذا العطاء مقروناً بَمَنٍّ أو أذى، إذ أن هذا المَنَّ يחדش كرامة النفوس الكريمة ويجرح مشاعرها، ويستذلها بمنتته، ويشعرها بالصَّغار والهوان.

ومن هنا جعل الله سبحانه الصدقات المقرونة بالمَنِّ والأذى باطلة غير مقبولة، يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَكَسَبَهُ صَلَدًا لَا يُغْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾^(٢).

ولِحَسَّةِ نفس المنان بعطيَّته، ولؤم طبعه ورغبته في الاستعلاء الكاذب، وتطلعه إلى إذلال الناس، جعله الرسول ﷺ من الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، وهم - كما في الحديث :- « المُسْبِلُ ، والمَمْتَنُّ ، والمُنْتَفِقُ سلعته بالحلف الكاذب »^(٣).

٣- الإنفاق من المال الطيب :

لأن الله تعالى طيِّبٌ لا يقبل إلا طيِّباً، فقد أمر سبحانه بالإنفاق من الطيب المحبوب للنفس، فأَحَبُّ لأخيك ما تحب لنفسك، يقول تعالى - أمراً بالإنفاق من الطيبات :- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ مِنَ
طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَرْجَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَيْبَةَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِأَخِيهِ إِلَّا أَنْ
تُعْرَضُوا فِيهِ وَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ عَنِ حَكِيمٍ ﴾^(٤).

(١) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب : من قاتل للرياء والسمعة استحق النار ٣/ ١٥١٤، برقم (١٩٠٥).

(٢) آية ٢٦٤ من سورة البقرة.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية ١/ ١٠٢، برقم ١٠٦.

(٤) آية ٢٦٧ من سورة البقرة.

والبر والأجر إنما ينال بالإنفاق من المال الطيب المحبوب، يقول تعالى :

﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى نُنْفِقُوا مِمَّا مَحَبَّبْنَا ﴾ (١)

٤ - الاعتدال في الإنفاق :

لأن المال أمانة عند صاحبه ، فهو مال الله تعالى، رزقه هذا الإنسان؛ ليتعامل به وفق منهج الله تعالى ، فلا يتعالى فيه فيبذّر ويُسرف ويتجاوز القصد والاعتدال، ولا يُقتَرّ فيشح ويبخل ويمسك، قال تعالى - مادحاً المؤمنين الذين يسلكون هذا المنهج -:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٢)

الأسئلة

- س ١: يقول تعالى: ﴿لَيْنَ شَعْرَتُهُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ما علاقة هذه الآية بنهائ المال ونقصانه ؟
- س ٢: الإنفاق المشروع له عدة صور ، اذكر بعضاً من صور الإنفاق الواجبة.
- س ٣: (الإنفاق المشروع طهرة للمنفق وللمال) وضح ذلك.
- س ٤: من آداب الإنفاق : عدم المَنِّ ، كيف يطبق المسلم ذلك عملياً.
- س ٥: بيّن ما هو مشروع وما هو غير مشروع مع التعليل في كل مما يلي :
- أ- رجل اشترى لأولاده ملابس شتوية.
- ب- رجل ينفق على أسرته ما يزيد على أكلهم ضعفين ، ويرمي بقية الأكل .
- ج- رجل خصص من راتبه (٢٪) لليتامى .
- د- رجل اشترى من ماله الخاص ساعة بـ(١٠،٠٠٠) ريال.
- هـ- فستان سهرة يلبس لمرة واحدة بـ(٥٠٠٠) ريال.
- و- رجل ينفق أمام أصدقائه على الفقراء ، وإذا خلا لوحده أمسك عن الإنفاق.

(١) آية ٩٢ من سورة آل عمران.

(٢) آية ٦٧ من سورة الفرقان.

المسجد وآدابه

مكانة المسجد :

للمسجد في حياة الأمة مكانة عالية ، لعلنا نوجزها في النقاط التالية:

- ١ - المساجد بيوت الله تعالى ، قال ﷺ : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله »^(١) . وقال تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾^(٢) . وقال العلماء : وهذه الإضافة إضافة تشريف .
- ٢ - المساجد أفضل البقاع في الأرض ، قال ﷺ : « أحب البلاد إلى الله مساجدها ، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها »^(٣) .
- ٣ - المساجد موضع أداء الصلاة المفروضة ، التي هي الركن الثاني من أركان الإسلام .
- ٤ - المساجد موضع لاجتماع المسلمين وتعارفهم وتآلفهم ، وفيها تقام دروس العلم وحلق القرآن الكريم .
- ٥ - ومما يدل على عظم مكانة المسجد وأهميته أيضاً أن النبي ﷺ بادر ببناء مسجده أول ما هاجر إلى المدينة ، وكان ذلك من أول الأعمال التي قام بها عليه الصلاة والسلام .

فضل عمارته :

عمارة المسجد نوعان :

- أ - العمارة المادية ، والمراد بناؤه ، وفيه فضل عظيم ، يقول ﷺ : « من بنى مسجداً بيتني به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة »^(٤) .
- وفي الحديث بشارة بدخول الجنة لمن بنى لله مسجداً ، مخلصاً في ذلك ؛ لأن بناء الله له بيتاً في الجنة يقتضي نزوله وسكناه فيه .

(١) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن / ٤ / ٢٠٧٤ ، رقم (٢٦٩٩) ،

(٢) آية ١٨ من سورة الجن .

(٣) رواه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد / ١ / ٤٦٤ (رقم ٦٧١) .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب من بنى مسجداً (الفتح / ١ / ٥٤٤) رقم (٤٥٠) .

ب - العمارة المعنوية : والمراد : الصلاة فيه، والذكر، وقراءة القرآن، ونحو ذلك من الطاعات، وورد في فضل ذلك نصوص كثيرة، منها قوله ﷺ : « من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أو راح »^(١).

ويجمع هذين النوعين قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنِ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَوْ يَخْشَى إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾^(٢).

بعض الأحكام والآداب المتعلقة بالمسجد :

١ - إحسان بنائها، وترك زخرفتها، لأن زخرفتها أمر محدث، وفيه إشغال للمصلي، وفتح باب للمباهاة بها والمفاخرة . عن ابن عباس رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أمرت بتشييد المساجد » قال ابن عباس : لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى^(٣).

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى : وأمر عمر ببناء المساجد، وقال : أكنَّ الناس من المطر، وإياك أن تحمَّر أو تُصَفَّر فتفتن الناس، وقال أنس ؓ : يتباهون بها ثم لا يعمرونها إلا قليلاً^(٤).

٢ - يحرم بناء المساجد على القبور، أو وضع القبور في المساجد؛ لأن ذلك وسيلة إلى الشرك بتعظيم القبور وعبادتها من دون الله تعالى.

قال ﷺ : « لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد »^(٥).

وفي حديث جندب بن عبد الله البجلي ؓ أنه سمع النبي ﷺ قبل موته بخمس وهو يقول : « ... وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك »^(٦). ولا تجوز أيضاً الصلاة في المقبرة، إلا صلاة الجنائز.

(١) رواه مسلم، كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة تحمى به الخطايا وترفع به الدرجات ١- ٤٦٣ رقم (٦٦٩)

(٢) الآية ١٨ من سورة التوبة . (٣) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد رقم (٤٤٨)، وقول ابن عباس قد علقه البخاري مجزوماً به، قبل رقم (٤٤٦)

(٤) علقها البخاري هكذا بالجزم، كتاب الصلاة ن باب بنیان المسجد (الفتح ١/ ٥٣٩).

(٥) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور (الفتح ٣/ ٢٠٠)، رقم (١٣٣٠) ومسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد

على القبور ١/ ٣٧٦، رقم (٥٣٠).

(٦) رواه مسلم، الموضوع السابق، رقم (٥٣٢)، والأحاديث في الباب متواترة. (انظر : نظم المتناثر ص ٧١).

٣- تجب العناية بتنظيف المسجد، ويحرم تقديره، ووضع الأذى فيه، وقد قال ﷺ « **البصاق في المسجد خطيئة، وكفارتها دفنها** »^(١). وحيث لا يمكن الدفن فالكفارة إزالة ذلك القدر، كما حكَّ النبي ﷺ البصاق من جدار المسجد^(٢).

٤- المشي إلى المسجد بهدوء وطمأنينة، فلا يشتد في المشي، ولا يهرول، فقد قال ﷺ: « **إذا أتيتم الصلاة فعليكم بالسكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا** »^(٣). وصلاة الجماعة في المسجد واجبة على الرجال، أما المرأة فالأفضل في حقها صلاتها في بيتها، ولا تمنع من الصلاة في المسجد.

٥- أن يقدم رجله اليمنى في الدخول، واليسرى في الخروج، قال أنس رضي الله عنه: من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى^(٤).

ويقول عند الدخول والخروج مارود، ومنه ما أمر به النبي ﷺ بقوله: « **إذا دخل أحدكم المسجد، فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك** »^(٥).

٦- التبكير في الذهاب إلى المسجد، والحرص على الصلاة في الصف الأول، فقد حث النبي ﷺ على ذلك فقال: « **لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا على ذلك، ولو يعلمون ما في التهجير: لاستبقوا إليه** »^(٦)، و التهجير: التبكير.

ولا ينبغي لمن جاء مبكراً أن يتأخر عن الصف الأول إلا لعذر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: « **فمن جاء أول الناس وصف في غير الأول، فقد خالف الشريعة** »^(٧).

وهو بتأخره يحرم نفسه من خير عظيم، وقد قال ﷺ: « **تقدموا فأتمموا بي، وليأتكم بكم من بعدكم، لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله** »^(٨).

وفي التبكير فوائد، منها: إدراك الصلاة من أولها، وأداء النافلة، وقراءة القرآن، وحصول استغفار الملائكة

(١) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب كفارة البزاق في المسجد (الفتح ٥١١/١) رقم ٤١٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد (الفتح ٥٠٧/١) رقم ٤٠٥.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب قول الرجل: فاتتنا الصلاة (الفتح ١١٦/٢) رقم (٦٣٥)، ومسلم، كتاب المساجد، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة ٤٢٢/١ رقم (٦٠٣).

(٤) رواه الحاكم ٢١٨/١، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٥) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب ما يقول إذا دخل المسجد ٤٩٤/١ رقم (٧١٣).

(٦) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب الاستفهام في الأذان (الفتح ٩٦/٢) رقم (٦١٥) ومسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف ٣٢٥/١ رقم (٤٣٧).

(٧) مجموع الفتاوى ٢٦٢/٢٢.

(٨) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف ٣٢٥/١ رقم (٤٣٨).

- له، وأنه لا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة، وإدراك الصف الأول، وغير ذلك.
- ٧- ألا يجلس الداخل إلى المسجد حتى يصلي ركعتين تحية المسجد، فعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين** »^(١).
- وحكمها: سنة مؤكدة، ويصليها الداخل ولو كان حال خطبة الإمام يوم الجمعة، ولكن يخففها، فعن جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « **إذا دخل أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليصل ركعتين ويتجوز فيهما** »^(٢).
- ٨- ويكره رفع الصوت في المسجد، والتشويش على المصلين أو القارئ، سواء أكان ذلك بكلام معتاد ومحادثة، أم كان ذلك برفع الصوت بالقراءة بحيث يؤدي من بجانبه. قال صلى الله عليه وسلم: « **إن المصلي يناجي ربه، فلينظر بما يناجيه، ولا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن** »^(٣).
- ٩- ومما يتعلق بما تقدم حكم الاقتداء بالإمام، فالمأموم عليه أن يتابع إمامه، فلا يتقدم عليه ولا يوافقه ولا يتأخر عنه كثيراً، قال صلى الله عليه وسلم: « **إنما جعل الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه، فإذا كبر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده، فقولوا: اللهم ربنا ولك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى جالساً فصلوا جالساً أجمعون** »^(٤).
- وفي تحريم مسابقة الإمام قال صلى الله عليه وسلم: « **أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار، وصورته صورة حمار** »^(٥).

(١) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى (الفتح ٤٨/٣) رقم (١١٦٣).

(٢) رواه البخاري، في التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى (٤٩/٣)، رقم (١١٦٦)، ورواه مسلم، كتاب الجمعة، باب التحية والإمام يخطب ٥٩٦/٢ رقم (٨٧٥)، وهذا لفظه.

(٣) رواه مالك في الموطأ، كتاب الصلاة، باب العمل في القراءة ٨٠/١، وبنحوه أبو داود رقم (١٣٣٢)، وأحمد في مواضع من المسند منها ٩٤/٣، وصححه الحافظ ابن حجر كما في المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٣٦١.

(٤) رواه البخاري في الأذان، باب إقامة الصف من تمام الصلاة (الفتح ٢٠٩/٢) رقم (٧٢٢)، ومسلم، في الصلاة، باب اتمام المأموم بالإمام ٣٠٩/١ رقم (٤١٤) وهذا لفظه.

(٥) رواه البخاري، كتاب الأذان، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام (الفتح ١٨٢/٢) رقم (٦٩١)، ومسلم، كتاب الصلاة، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ونحوهما ٣٢٠/١ رقم (٤٢٧).

الأسئلة



- س ١: اذكر ثلاثة أمور تدل على مكانة المسجد في الإسلام، مستدلاً على واحد منها .
- س ٢: اذكر فضل بناء المساجد، وما شرط حصول هذا الفضل؟ مع الدليل.
- س ٣: ما الدليل على فضل التبكير في الذهاب إلى الصلاة؟ واذكر بعض الفوائد التي يحصلها المبكر.

الجار وحقوقه

الجار واهتمام الإسلام به :

الجار في الأصل : هو المجاور في الدار، وقد يطلق على الصاحب في السفر، أو العمل، ونحو ذلك، وهو من أقرب الناس التصاقاً بالإنسان ومعرفة لأحواله.

ولقد اهتم الشرع بالجار وعظّم حقّه، قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِالْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^(١).

وقال ﷺ: « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه »^(٢).

أي : أنه يكون له حق في الميراث. ولعل من الحكم في اهتمام الشرع بالجار ما يلي :

- ١ - أن تسود المحبة والألفة بين المسلمين، ومن أولى الناس بذلك الجيران.
- ٢ - أن الجار أولى الناس بإعانة جاره ومساعدته؛ لقربه منه ومعرفته بمشاكله وأحواله.
- ٣ - أن يحصل للمسلم الأمان على نفسه وولده وأهله وماله.

حدود الجيران :

اختلف العلماء في تحديد الجار الذي جاءت النصوص بالاهتمام به -فقيل : حد الجوار أربعون داراً من كل جانب، وقيل أربعون من جميع الجوانب، وقيل : من صلى معك الفجر فهو جار، وقيل غير ذلك. وكل هذه الأقوال ليس عليها دليل صحيح، ولعل أحسن الأقوال وأعد لها قول من قال : الجار هو من قاربت داره دار جاره، ويُرْجع في تحديده إلى العرف، فمن كان في عرف الناس جار فهو جار، وذلك لأن الأسماء التي ورد بها الشرع ولم يحدد معناها فإنه يُرْجع في معناها إلى العرف الصحيح، وقد اختار هذا القول جماعة من

(١) آية ٣٦ من سورة النساء، والجار ذي القربى : القريب، إما نسباً، أو موضعاً، والجار الجنب، البعيد، إما نسباً أو موضعاً، والصاحب بالجنب، الرفيق في السفر ونحوه (انظر : تفسير ابن كثير، والقرطبي).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الوصية بالجار (الفتح ١٠/٤٤١)، رقم (٦٠١٤، ٤٠١٥)، ومسلم، كتاب البر، باب الوصية بالجار ٤/٢٠٢٥، رقم (٢٦٢٤)، (٢٦٢٥).

العلماء المحققين، منهم الإمام ابن قدامة، صاحب المغني، والإمام المرداوي صاحب الإنصاف، وغيرهم^(١).

مراتب الجيران :



تختلف مراتب الجيران بحسب قربهم وبعدهم، فالأقرب أولى بالبر والإكرام من الأبعد، ودليل ذلك أن عائشة - رضي الله عنها - سألت النبي ﷺ فقالت: إن لي جارتين، فإلى أيهما أهدي؟ قال ﷺ: «إلى أقربهما منك باباً»^(٢).

وتختلف مراتبهم أيضاً باختلاف أنواعهم:

- ١- فنوع له ثلاثة حقوق، وهو الجار المسلم القريب، فله حق الجوار والإسلام والقربة.
- ٢- ونوع له حقان، وهو الجار المسلم، فله حق الجوار، والإسلام.
- ٣- ونوع له حق واحد، وهو الجار الكافر، فله حق الجوار فقط، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا صنع أهله طعاماً قال: هل أهديتم إلى جارنا اليهودي.

أهمية اختيار الجار :



والمسلم يحرص على اختيار الجار الصالح الذي يؤدي له حقوقه ولا يؤذيه، ويحفظه ويعاونه، والناس يقولون: (الجار قبل الدار)، وهذا معنى صحيح، ومما يشهد له في القرآن الكريم قوله تعالى - عن امرأة فرعون -: ﴿رَبِّ أَنْ لِي عِنْدَكَ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ﴾^(٣).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى: قالت العلماء: اختارت الجار قبل الدار، وقد ورد شيء من ذلك في حديث مرفوع. اهـ^(٤).

وتتضح أهمية ذلك بمعرفة أن الجار يؤثر في جاره وأولاده بسبب المخالطة، فإن كان صالحاً آمنه على أهله

(١) المغني ٥٣٧/٨، وقال بعد أن ذكر حديث: (الجار أربعون)، وإن لم يثبت الخبر فالجار هو المقارب، ويرجع في ذلك إلى العرف ١-هـ- وقال في الإنصاف ٢٢٤/٧: وقيل: يرجع فيه إلى العرف، قلت، وهو الصواب إن لم يصح الحديث. اهـ.

(٢) رواه البخاري في الأدب، باب حق الجوار في قرب الأبواب (الفتح ٤٤٧/١٠) رقم (٦٠٢٠).

(٣) آية ١١ من سورة التحريم.

(٤) تفسير ابن كثير عن هذه الآية، ونحوه في تفسير الألويسي: (روح المعاني) والحديث الذي أشار إليه ابن كثير ((الجار قبل الدار)) رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي ولا يصح (وانظر الجامع الصغير حرف الجيم).

وبيته ، وإن كان فاسداً فإنه لا يأمنه على أهله وبيته، والجار الصالح يحفظ ما قد يطلع عليه من أسرار جاره، وأحواله الخاصة ، والفاسد قد يشيع ذلك ويظهره ، والصالح يعين جاره على فعل الخير ويناصحه، والفاسد قد يثبته ويغويه .

من حقوق الجار على جاره :



١ - ترك أذيته :

وسواء أكانت الأذية بالقول : كَسَبَّهُ، والتكلم عليه بالكلام الفاحش، وغيبته، وغير ذلك، أم كانت بالفعل، كاللقاء الوسخ أمام منزله، أو مضايقته بالسيارة، أو بترك الأولاد يفسدون شيئاً من بيته، أو سيارته، أو غير ذلك : قال ﷺ : « **والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن** » قيل : ومن يا رسول الله ؟ قال : « **الذي لا يأمن جاره بوائقه** »^(١) .

وقال : « **لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه** »^(٢) . وقال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره** »^(٣) . ومن أشد أنواع الأذية للجار : أذيته في عرضه، وخيانتة في محارمه بالتعرض لهم بالنظر، أو الكلام المباشر، أو عن طريق الهاتف أو بالإفساد، وفعل الفاحشة .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبي ﷺ : أي الذنب عند الله أكبر؟ قال : « **أن تجعل لله نداً وهو خلقك** » قلت : ثم أي؟ قال : « **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك** » قلت : ثم أي؟ قال : « **أن تزاني بحليلة جارك** »^(٤) .

(وتزاني) : صيغة مفاعلة، فتفيد أن الزنا حاصل من الطرفين، والمراد أنه يفسد زوجة جاره ويستميلها إلى فعل الفاحشة برضاها، وهو أشد من مجرد الزنا بغير رضاها .

وفي حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره** »^(٥) .

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (الفتح ٤٤٣/١٠)، رقم (٦٠١٦) والبواقي: جمع بائقة، وهي الشيء المهلك والأمر الشديد الذي يوافي بغتة .

(٢) رواه مسلم ٦٨/١ رقم (٤٦) .

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (الفتح ٤٤٥/١٠) رقم (٦٠١٨)، ومسلم ٦٨/١ رقم (٤٧) .

(٤) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب الذين لا يدعون مع الله الهاً آخر (الفتح ٤٩٢/٨)، رقم (٤٧٦١)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقيح الذنوب ٩٠/١ (٨٦) .

(٥) رواه أحمد ٨/٦، والبخاري في الأدب المفرد رقم (١٠٣)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/١٦٨ : ورواه أحمد، والطبراني في الكبير والأوسط، ورجاله ثقات .

وسبب تعظيم ذلك على غيره :

(أ) أن الجار مأمون على جاره، فخان هذه الأمانة.

(ب) أن الجار عارف بأحوال جاره ووقت وجوده من عدمه بخلاف غيره.

(ج) سهولة وصول أذاه لجاره؛ لقربه منه ، ومدخلته له.

(د) أنه لا يشكّ فيه أحد، أو يشعر به.

٢- إكرامه والإحسان إليه : قال ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره »^(١).

وهذا حقّ عام يتضمن أنواعاً كثيرة، منها :

(أ) إعانته على قضاء حاجته، وإعارته ما يطلب ، فإن الجار لا يكاد يستغني عن جاره ، وقد ذمّ الله تعالى الذين يمنعون الماعون ، فقال في سياق الذم لهم : ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾^(٢).

(ب) الإهداء إليه ، من الطعام وغيره، وقد تقدم حديث عائشة رضي الله عنها ، وعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصاه : « إذا طبخت مرقة فأكثر ماء ، ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف »^(٣).

وقال ﷺ : « يانساء المسلمات لا تحقرن جارة جاريتها ولو بفرسن شاة »^(٤).

(ج) إقراضه إذا استقرض ، وتعهده بالإحسان إليه إذا افتقر ، قال ﷺ : « ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع »^(٥).

(د) تهنئته وإظهار الفرح لفرحه، فإذا تزوّج أو رزق بمولود، أو نجح أولاده، هنّأه بذلك، وبارك له.

٣- أن تؤدي إليه الحقوق العامة بين المسلمين، فهو من أولى الناس بها كالسلام عليه، وردّه، وعيادته إذا مرض، وإجابة دعوته، والنصح له عند رؤيته مقصراً في أداء ما افترضه الله عليه، وغير ذلك^(٦).

(١) رواه البخاري ، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (الفتح ١٠ / ٤٤٥) رقم (٦٠١٩). ومسلم ، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار ٦٨ / ١ رقم (٤٧).

(٢) آية ٧ من سورة الماعون.

(٣) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة، باب الوصية بالجار ٤ / ٢٠٢٥ رقم (٢٦٢٥).

(٤) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب لا تحقرن جارة لجارتها ٦٠١٧ والفرسُنُ : بكسر الفاء كراع الشاة.

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد ، رقم (٢١١٢) ، والحاكم في المستدرک ٤ / ٦٧ وصححه، ووافقه الذهبي ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ١٦٧ : رواه الطبراني ، وأبو يعلى ، ورجاله ثقات ، وذكر نصوصاً أخرى بالمعنى ، فراجعها للزيادة .

(٦) للزيادة راجع : شروح الأحاديث المذكورة من فتح الباري ، وأيضاً جامع العلوم والحكم حديث (١٥).

الأسئلة



- س ١: ما الحكمة من مشروعية الاهتمام بالجار؟ واذكر دليلاً من السنة يبين عظمة حقه .
- س ٢: تحدث عن أهمية اختيار الجار .
- س ٣: لقد عظمَّ الشرع أذية الجار في عرضه ، ما الدليل على ذلك ؟ ولماذا ؟

التحية وآدابها

التحية :

التحية : مصدر حيَّاه يُحييه تحية ، ومعناه في اللغة : الدعاء بالحياة ، فيقال : حياك الله ، أي : أبقاك ، ثم توسَّع في إطلاق التحية على كل ما هو في معناها من الدعاء الذي يقال عند الالتقاء ونحوه ، والتحية أعم من السلام ، فالسلام نوع من أنواع التحية .

تحية الإسلام :

قد شرع الله ورسوله ﷺ لنا تحية تميزنا عن غيرنا ، ورتَّب على فعلها الثواب ، وجعلها حقاً من حقوق المسلم على أخيه ، فتحوّلت هذه التحية من عادة من العادات المجردة إلى عمل يفعله العبد تقرباً إلى الله تعالى ، واستجابة لأمر رسوله ﷺ ، فلا يصح أن تبدل هذه التحية العظيمة بعبارات أخرى لا تؤدي ما تؤدِّيه تحية الإسلام المباركة^(١) . مثل صباح الخير ، أو مساء الخير أو مرحباً ، أو غير ذلك ، مما قد يستعمله بعض الناس جهلاً أو إعراضاً^(٢) .

وتحية الإسلام هي : (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) هذا أكملها ، وأقلها : (السلام عليكم)^(٣) .

من فضائل السلام وخصائصه :

١ - أنه من خير أمور الإسلام ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أيُّ الإسلام خيرٌ ؟ قال : « **تُطْعَمُ الطَّعَامُ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامُ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ** »^(٤) .

٢ - أنه من أسباب المودة والمحبة بين المسلمين ، والتي هي من أسباب دخول الجنة ، قال ﷺ : « **لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا ، أو لا أدلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم** »^(٥) .

(١) انظر في بعض معانيها كتاب أحكام أهل الذمة ، لابن القيم ١-١٩٣ وما بعدها .

(٢) للنووي - رحمه الله - كلام جيد حول هذا المعنى في كتاب الأذكار ، أول باب : مسائل تتفرع على السلام .

(٣) انظر : الآداب الشرعية ١-٣٦٠ .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب ، إفشاء السلام من الإسلام (الفتح ١/ ٨٢) رقم (٢٨) ، ومسلم ، في الإيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام ١/ ٦٥ رقم (٣٩) .

(٥) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ١/ ٧٤ رقم (٥٤) .

٣- أن كل جملة منه بعشر حسنات ، وهو ثلاث جمل ، فلمن جاء به كاملاً ثلاثون حسنة ، عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : السلام عليكم ، فرد عليه ، ثم جلس ، فقال النبي ﷺ : « عشر » ثم جاء رجل آخر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد عليه ثم جلس ، فقال : « عشرون » ثم جاء آخر ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد عليه ، وجلس ، فقال : « ثلاثون »^(١) .

حكم السلام ورده :



السلام سنة مؤكدة^(٢) ، ورده واجب عيناً ، إذا قصد به شخص واحد ، وعلى الكفاية إن قصد جماعة ، فإن رد جميعهم فهو أفضل .

صفة رد السلام :



الواجب في الرد أن يكون مثل السلام ، وإن زاد عليه فهو أفضل ، لكن لا ينقص عنه ، فمن سلم فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فجوابه الواجب : وعليكم السلام ورحمة الله ، وإن زاد : وبركاته ، فهذا أفضل ، لكن لا يجوز الاقتصار في الجواب : (وعليكم السلام) فقط؛ لأنها دون السلام ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾^(٣) .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : أي : إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه أفضل مما سلم ، أو ردوا عليه بمثل ما سلم ، فالزيادة مندوبة ، والمماثلة مفروضة .

ومما يعتبر جواباً غير سائغ شرعاً أن يرد بقوله : أهلاً ومرحباً ، أو نحوها ، مكتفياً بها ، وذلك لأنها ليست بجواب شرعي للسلام ، ولأنها أنقص من السلام بكثير ، فإن قوله : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وما تحمله من معان عظيمة أفضل من قول القائل : أهلاً ومرحباً ، ولكن لا بأس بقولها لا على أنها رد السلام ، لكن يرد السلام ، ثم يقولها بعد ذلك ، فقد ثبت قول النبي ﷺ : « مرحباً بأمر هانيء »^(٤) . وغير ذلك .

(١) رواه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب كيف السلام ٣٧٩/٥ رقم (٥١٩٥) ، والترمذي في الاستئذان ، باب ما ذكر في فضل السلام ٥٢/٥ رقم (٢٦٨٩) ، وقال : حديث صحيح ، وقال الحافظ في الفتح ٦/١١ : إسناده قوي ، وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية : بإسناد جيد .

(٢) غذاء الألباب ١/٢٧٥ .

(٣) آية ٨٦ من سورة النساء ، وكلام ابن كثير في تفسيرها ، ونحوها ما ذكره القرطبي في تفسير هذه الآية ٢٩٩/٥ مع بعض زيادات .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة بثوب واحد ملتحفاً به (الفتح ٤٦٩/١) رقم (٣٥٧) ، ومسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب استحباب صلاة الضحى ٤٩٨/١ رقم (٣٣٦) .

التلفظ بالسلام :

السنة في السلام والجواب الجهر ؛ لأن السلام هو التلفظ بقولك : (السلام عليكم) ، والإشارة باليد وغيرها لا تعتبر سلاماً ، والجهر بالجواب حتى يسمعه المسلم ؛ لأنه إن لم يُسمعه فكأنه لم يجبه ، إلا أن يكون عذر يمنع سماعه .

من أحكام السلام وآدابه :



١- إفشاؤه وإظهاره وإعلانه بين الناس، حتى يكون شعاراً ظاهراً بين المسلمين، لا يخص به فئة دون أخرى، أو كبيراً دون صغير، ولا من يعرف دون من لا يعرف، وتقدم حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وتقدم أيضاً قول النبي ﷺ: « أفشوا السلام بينكم ». وقال عمار بن ياسر رضي الله عنهما: « ثلاثٌ من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار »^(١).

ومما ورد في ذم من ترك التسليم قول النبي ﷺ: « أبخل الناس من بخل بالسلام »^(٢).

٢- يشترع تبليغ السلام، وتحمله، وعلى المبلغ أن يرد السلام، فعن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال لها: « إن جبريل يقرأ عليك السلام » فقالت: وعليه السلام ورحمة الله^(٣).

٣- الأفضل في الابتداء بالسلام أن يسلم الصغير على الكبير، والماشي على الجالس، والراكب على الماشي، والقليل على الكثير، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، مرفوعاً: « يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ »^(٤).

٤- من السنة إعادة السلام إذا افرق الشخصان ثم تقابلا، بدخول أو خروج، أو حال بينهما حائل ثم تقابلا، ونحو ذلك، ويدل عليه قول النبي ﷺ: « إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه ، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ، ثم لقيه فليسلم عليه أيضاً »^(٥).

(١) ذكره البخاري معلقاً بصيغة الجزم، كتاب الإيمان، باب إفشاء السلام من الإسلام (الفتح ٨٢/١) قبل حديث (٢٨).

(٢) عزاه في غذاء الأبواب ٢٧٦/١ للطبراني في الأوسط، عن أبي هريرة، وجود إسناد، وعزاه للطبراني في المعجم الثلاثة عن عبد الله بن معقل، وجود إسناد أيضاً، ولأحمد معناه (الفتح الرباني ٢٥٢/١٩) عن جابر، وقال في الغذاء إسناد أحمد لا بأس به.

(٣) رواه البخاري في الاستئذان، باب إذا قال: فلان يقرئك السلام (الفتح الرباني ٣٨/١١) رقم (٦٢٥٣)، وانظر في المسألة شرحه وأيضاً: الفتح ١٣٩/٧ شرح الحديث رقم (٣٨٢٠).

(٤) رواه البخاري في الاستئذان، باب تسليم القليل على الكثير ((الفتح ١٤/١١) رقم (٦٢٣١).

(٥) رواه أبو داود في الأدب، باب في الرجل يفارق الرجل ثم يلقاه ٣٨١/٥ رقم (٥٢٠٠)، قال في الآداب الشرعية ٣٩٧/١: وإسناده جيد.

وفي حديث المسيء صلاته أنه كلما ذهب ورجع سلم وردَّ عليه النبي ﷺ السلام ، فعَل ذلك ثلاث مرات (١) .
وقال أنس رضي الله عنه : كان أصحاب رسول الله ﷺ : « يتماشون ، فإذا استقبلتهم شجرة أو أكمة فتفرقوا يمينا
وشمالاً ، ثم التقوا من ورائها سلم بعضهم على بعض » (٢) .

٥- حكم السلام على الكافر ، ورد سلامه إذا سلم (٣) :

السلام تحية للمؤمنين ، خاصة ، فلا يجوز إلقاؤه على غيرهم ، قال ﷺ : « لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى
بالسلام ، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه » (٤) .

إما إن حضر موضعاً فيه أخلاط من المسلمين والكافرين ، فيسلم ويقصد المسلمين ، ففي حديث أسامة بن زيد -
رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ مرَّ على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان ، فسلم عليهم (٥) .

وإذا سلم الكافر فإنه يرد عليه بمثل ما روى أنس رضي الله عنه أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبي ﷺ : « إن
أهل الكتاب يسلمون علينا ، فكيف نرد عليهم ؟ قال : قولوا : وعليكم » (٦) . ولا يزيد على ذلك (٧) .

٦- السلام على النساء :

يجوز السلام على النساء المحارم ، أما غيرهن : فيجوز إذا أمنت الفتنة بهن وعليهن ، وهذا يختلف باختلاف
النساء ، والأحوال ، والمواضع ، فليست الشابة كالعجوز ، ولا من دخل بيته فوجد فيه نسوة فسلم عليهن
كمن مر بنساء لا يعرفهن في الطريق ، وأما المصافحة للنساء الأجانب فلا تجوز مطلقاً ، ومن أدلة ذلك :

١- قوله ﷺ : « لا أصافح النساء » (٨) .

(١) رواه البخاري في الأذان ، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها (الفتح ٢/٢٣٧) رقم (٧٥٧) .

(٢) رواه ابن السني رقم (٢٤٥) ، وابن أبي شيبة في مصنفه : كتاب الأدب ، والبخاري في الأدب المفرد رقم (١٠١١) نحوه ، وعزاه المنذري في الترغيب والترهيب
٣/٢٦٨ والهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٣٤ : للطبراني في الأوسط ، وحسنا إسناده .

(٣) للاستزادة انظر فتح الباري ١١/٣٩ والآداب الشرعية ١/٣٨٧ ، وأحكام أهل الذمة لابن القيم ١/١٩١ .

(٤) رواه مسلم ، كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام ٤/١٧٠٧ رقم (٢١٦٧) . ومعنى : (اضطروهم إلى أضيقه) لا تتنحوا لهم عن الطريق الضيق
إكراماً لهم واحتراماً ، وليس المعنى : إذا لقيتوهم في طريق واسع فضيقوا عليهم لأن هذا أذى لهم ، وقد نهينا عن أذاهم بغير سبب (مختصراً من فتح الباري ١١/٤٠) .

(٥) رواه البخاري كتاب الاستئذان ، باب التسليم في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين (الفتح ١١/٣٨) رقم (٦٢٥٤) ، ومسلم ، كتاب الجهاد ، باب دعاء
النبي ﷺ وصره على أذى المنافقين ٣/١٤٢٢ رقم (١٧٩٨) .

(٦) رواه مسلم ، كتاب الاستئذان ، باب كيف الرد على أهل الذمة (الفتح ١١/٤٢) ، رقم (٦٢٥٧) ، وهو أيضاً في البخاري نحوه دون ذكر السؤال ، كتاب الاستئذان ،
باب كيف الرد على أهل الذمة (الفتح ١١/٤٢) رقم (٦٢٥٧) .

(٧) هذا الذي عليه الجمهور ، (انظر : تفسير ابن كثير والقرطبي ، آية ٨٦ من سورة النساء) والآداب الشرعية لابن مفلح (١/٣٨٩) ، وللإمام ابن القيم تفصيل في
المسألة ، انظر أحكام أهل الذمة ١/١٩٩ .

(٨) يأتي تخرجه في موضوع : (العفة) إن شاء الله .

- ٢- قول عائشة رضي الله عنها : « ما مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يد امرأة، إلا امرأة يملكها »^(١) .
- ٣- قوله ﷺ : « لَأَنْ يُطَعَنَ فِي رَأْسِ أَحَدِكُمْ بِمَخِيطٍ مِنْ حَدِيدٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَمَسَّ امْرَأَةٌ لَاتَحِلُّ لَهُ »^(٢) .

الأسئلة

- س ١ : ما المراد بالتحية ؟ وما العلاقة بينها وبين السلام ؟
- س ٢ : ما أقل السلام وأكمله ؟ وما فضيلة إتمامه ؟ مع ذكر الدليل .
- س ٣ : ما صفة رد السلام ؟ وضح ذلك بالتفصيل مستدلاً على ما تقول .
- س ٤ : ما حكم الاكتفاء في رد السلام بقول القائل : (مرحباً) ، (أهلاً وسهلاً) ؟ مع التعليل لما تقول .

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب بيعة النساء (الفتح ١٣/٢٠٣) رقم (٧٢١٤) .

(٢) رواه الطبراني في الكبير ٢٠/٢١١، ٢١٢، قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٤/٣٢٦) والرويان في مسنده ٢/٣٢٣ رقم (١٢٨٣)، من حديث معقل بن يسار، السلسلة الصحيحة رقم (٢٢٦) .

الزيارة وآدابها

أنواع الزيارة :

أ- زيارة مشروعة محمودة :

وهي كل زيارة ترتب عليها منفعة شرعية، أو مصلحة للأمة، ونحو ذلك، وقد تكون واجبة كزيارة الأرحام، أو مستحبة كزيارة العلماء وكل زيارة في الله، وعلى محبة الله. وقد ورد في بعض أمثلة هذه الزيارة نصوص تدل على فضلها، فمن ذلك ماورد في فضل الزيارة في الله، من قوله ﷺ: « **من عاد مريضاً، أو زار أخاه في الله، ناداه مناد أن طيب وطاب ممشاك، وتبوات من الجنة منزلاً** »^(١).

ب- زيارة مذمومة، ممنوعة شرعاً :

وهي كل زيارة ترتب عليها ضرر في دين أو خلق، ونحو ذلك، كزيارة لأجل فعل محرم، أو لاجتماع على لهو باطل.

ج- زيارة مباحة :

وهي الزيارة التي لا يترتب عليها منفعة أو مضرة، ولا تشتمل على محرم، كالزيارة لمجرد قضاء الوقت، وتبادل الأحاديث المباحة.

وقد تكون الزيارة في أصلها محمودة أو مباحة، لكن يعرض لها ما يغير حكمها، كأن تشتمل على منكر، فهنا يجب إزالة هذا المنكر، وتبقى الزيارة على أصلها، فإن لم يمكن إزالة المنكر تتحول الزيارة إلى الذم، فيلزم تركها.

من آداب الزيارة :

١- أن يحسن نيته في مقصد هذه الزيارة، كأن ينوي بها صلة رحمه، وأداء حقوقهم، أو ينوي بها زيادة المحبة في الله، أو اكتساب الثواب الحاصل من الزيارة، أو التناصح، والاستفادة من الوقت، ونحو ذلك.

(١) رواه الترمذي، كتاب البر، باب ما جاء في زيارة الإخوان ٤/ ٣٦٥ (٢٠٠٨)، وقال: حسن غريب، ورواه أحمد ٢/ ٣٢٦، والبخاري في الأدب المفرد (٣٤٥).

٢- اختيار الوقت المناسب للزيارة، فليس من المناسب الزيارة في أوقات الراحة والنوم، أو أوقات الطعام، وقد يكون لبعض الناس أوقات معينة لا يجوبون أن يأتيهم فيها أحد، فلا ينبغي الإثقال عليهم بالزيارة فيها.

٣- ترك الإثقال على المزور بطول البقاء أو غير ذلك، إلا إن علم الزائر أن صاحبه يجب بقاءه لمدة أطول. وينبغي للزائر أن يراعي حال المزور، فلعله مرتبط بموعد، أو مشغول، ونحو ذلك، وهذا غالباً يتبين من حال الشخص، كأن تبدو عليه علامات الملل، أو يكرر النظر إلى الساعة، أو يكثر الدخول والخروج، وقد يصرح أحياناً بكونه مشغولاً، فعندها على الزائر أن يستأذن ويخرج.

٤- أن يتجمل، ويحسن ملبسه وهيئته، ويزيل عن نفسه الروائح الكريهة، قال أبو العالية - رحمه الله - : « كان المسلمون إذا تزاوروا تجملوا »^(١).

٥- من حق صاحب الدار أن يعتذر عن استقبال أي شخص، وعلى من اعتذر إليه أن يقبل العذر طيبة به نفسه، ويرجع سمح الخاطر، ولا يحمل في نفسه على أخيه شيئاً بسبب ذلك، بل يقدر له اعتذاره، فربما كان الوقت غير مناسب، قال تعالى: ﴿وَلَنْ قِيلَ لَكُمْ ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم﴾^(٢).

قال قتادة - رحمه الله - : قال بعض المهاجرين : لقد طلبت عمري هذه الآية فما أدركتها ، أن أستأذن على بعض إخواني فيقول لي : ارجع ، فأرجع ، وأنا مغتبط^(٣).

٦- على الزائر إذا دخل الدار أن يَغُضَّ بصره، ويحفظ سمعه، ولا يسأل عما لا يعنيه، ويجلس حيث يجلسه صاحب الدار، ولا يخرج حتى يستأذن، وإذا خرج فليسلم.

-١٧ الاستئذان :

لا يجوز لأحد أن يدخل بيت غيره حتى يؤذن له، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَنَا غَيْرَ يُؤذَنَ لَكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾^(٤).

ومعنى : تستأنسوا : تستأذنوا وقال ﷺ : « إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع »^(٥).

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم (٣٤٨). (٢) آية ٢٨ من سورة النور.

(٣) عن تفسير ابن كثير (الآية نفسها) (٤) آية ٢٧ من سورة النور.

(٥) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب التسليم ثلاثاً (الفتح ٢٧/١١) رقم (٦٢٤٥)، ومسلم، كتاب الأدب، باب الاستئذان (٣/١٦٩٤)، رقم (٢١٥٣).

حكمة مشروعية الاستئذان :



- أ - أن أهل البيت قد لا يناسبهم دخول أحد في هذا الوقت .
- ب - فيه حفظ لعورات البيوت ، وستر على أهلها .
- ج - فيه أمن لفرع أهل البيت من الدخول المفاجئ ، وغير ذلك .

أحكام وآداب الاستئذان :



للاستئذان آداب وأحكام، نوجز أهمها فيما يلي :

أ- الاستئذان المشروع ثلاث مرات ، فإن أذن له وإلا فليرجع، كما تقدم في الحديث، وليجعل بين كل مرة وأخرى وقتاً يسيراً .

ب - ينبغي أن يكون طرقة للباب ، أو مناداته من بالبيت برفق وأدب، قال ﷺ : « **إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه** »^(١).

ج - إذا قيل له : من بالباب ؟ فليقل : فلان بن فلان ، يسمي نفسه بما يعرف به ، ولا يقل : (أنا)، لأن هذه الكلمة تصدق على كل أحد ، فلا يعرف من هو الطارق . وفي حديث جابر أنه طرق على النبي ﷺ الباب، فقال له « من ذا » ؟ فقلت : أنا ، فقال : « أنا أنا » ! كأنه كرهها^(٢).

د- لا يقف المستأذن مقابل الباب، بل يتنحى عنه يميناً أو يساراً، حتى لا يطلع على داخل الدار إذا فتح الباب .

هـ- يستأذن الرجل إذا أراد الدخول على غرفة أبيه، أو أمه، أو أخته ، ونحو ذلك .

و- المرأة في الاستئذان كالرجل، وبعض النساء يتساهلن في ذلك فيدخلن البيوت بلا استئذان، وهذا من الأخطاء الشائعة.

(١) رواه مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الرفق ، ٤ / ٢٠٠٤ ، رقم (٢٥٩٤) .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب إذا قال : من ذا ؟ فقال : أنا . (الفتح ٣٥ / ١١) ، رقم (٦٢٥٠) ، ومسلم ، كتاب الأدب ، باب كراهة قول المستأذن : أنا ، رقم (١٦٩٧) ، رقم (٢١٥٥) .

الأسئلة



- س ١: ما أنواع الزيارة؟ مع التوضيح والتمثيل لكل نوع .
- س ٢: اذكر ثلاثاً من آداب الزيارة ، مستشهداً على واحد منها .
- س ٣: اذكر ثلاثاً من آداب الاستئذان ، مستشهداً على واحد منها .
- س ٤: قلّ في هذا الزمان زيارة الأقارب بعضهم لبعض ، ما الوسائل التي تقترحها لتقوية صلة الرحم ؟

الضيافة وآدابها

مكائنها وحكمها :

الضيافة من مكارم الأخلاق التي حث عليها الإسلام، ودعا إليها، قال ﷺ: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه »^(١).

وقال أيضاً لعبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - : « **وإن لزورك عليك حقاً** »^(٢). يعني : الضيف الذي يزورك. والأصل فيها أنها سنة، وتجب الضيافة لمسلم مسافر نزل على مقيم، ومقدار الواجب في هذه الحالة يومٌ و ليلة، وما زاد فمستحب إلى ثلاثة أيام، ثم ما زاد فهو صدقة على الضيف.

ودليل ذلك حديث أبي شريح الكعبي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته، يوم و ليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما بعد ذلك فهو صدقة، ولا يحل له أن يثوي عنده حتى يجرجه » وفي لفظ مسلم « حتى يؤثمه » قالوا : وكيف يؤثمه ؟ قال : « يقيم عنده ولا شيء له يقريه به »^(٣).

من أحكام وآداب الضيافة :

أولاً : ما يتعلق بالمضيف :

١- البعد عن الإسراف في الضيافة، ولا بأس بالتكلف الذي لا يُخرج إلى حد الإسراف، ويكون بقدر الحاجة، وقد قال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام : ﴿ **فَجَاءَهُ بِعِجْلٍ سَمِينٍ** ﴾^(٤) قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : « جاء بعجل كامل، ولم يأت ببعضه، وهذا من تمام كرمه ﷺ، ثم إنه جاء به سميناً لا هزيباً، ومعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم، ومثله يتخذ للاقتناء والتربية، فأثر به ضيفانه »^(٥).

(١) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب إكرام الضيف ٥٣٣/١٠ رقم (٦١٣٦)، وأيضاً رقم (٦٠١٨)، (٦٠١٩)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ٦٨/١ رقم (٤٧)، (٤٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب حق الضيف (الفتح ١٠-٥٣١) رقم (٦١٣٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الضيف (الفتح ١٠/٥٣١) رقم (٦١٣٥)، ومسلم، كتاب اللقطة، باب الضيافة ٣/١٣٥٢ واللفظ له، وينظر في المسألة : المغني ١٣/٣٥٢ أواخر الصيد والذبائح، والمبدع ٩/٢١١ آخر الأطعمة، وجامع العلوم والحكم شرح حديث (١٥) ونيل الأوطار ٩/٣٦ وغيرها.

(٤) آية ٢٦ من سورة الذاريات.

(٥) جلاء الأفهام ص ١٤٧ بتصرف يسير.

٢- الترحيب بالضيف، وحسن استقباله، والبشاشة في وجهه، وإشعاره بالسرور لمجيئه، ففي حديث الأنصاري الذي قدم إليه النبي ﷺ وأبو بكر وعمر - رضي الله عنهما، أنه لما نظر إليهم قال: الحمد لله، ما أحد اليوم أكرم أضيافاً مني^(١). وقال الشاعر:

إذا المرء وافى منزلاً منك طالباً
فكن باسمًا في وجهه متهللاً
قراك وأرمته إليك المسالك
وقل مرحباً أهلاً، ويومٌ مبارك

وقيل: البشاشة خير من القرى^(٢). وفي هذا يقول الشاعر:

بشاشة وجه المرء خير من القرى
٣- سرعة إحضار الطعام للضيف، ولا يؤخره؛ لاحتمال كونه جائعاً، ولا يشعره بذلك أو يستشير؛ لأنه ربما استحمياً فادعى عدم الحاجة، وفي قصة إبراهيم - عليه السلام - مع أضيافه يقول الله تعالى:

﴿فَرَأَى إِلَيْكَ أَهْلِيكَ فَجَاءَ يَعْبُلُ سَمِينًا﴾^(٣).

والروغان: الذهاب بسرعة وخفية حتى لا يشعر به الضيف، فإنه ربما يثنيه عن تقديم ما يريد.

٤- أن يخدم الإنسان ضيفه بنفسه، ويقدم له الطعام والشراب، ويدعوه إلى تناوله، وفي قصة إبراهيم - عليه السلام - مع أضيافه يقول تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾^(٤) قال ابن القيم - رحمه الله - تعالى: «هو الذي ذهب وجاء به بنفسه، ولم يبعثه مع خادمه، وهذا أبلغ في إكرام الضيف»^(٥).

ثانياً: ما يتعلق بالضيف:

١- ألا يطيل الإقامة حتى يمل منه صاحب الدار، ويكره بقاءه، وقد حدّد الشرع مدة الإقامة، فإنه كما أمر المضيف بحسن الضيافة أمر الضيف بعدم الإطالة حتى لا يخرج صاحبه.

أ- فإن كان الضيف قادماً من سفر، فمدة ضيافته ثلاثة أيام، كما تقدم في حديث أبي شريح الكعبي رضي الله عنه.

ب- وإن كان الضيف من أهل البلد، فمدة بقاءه إلى الانتهاء من الطعام، قال تعالى:

﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مَسْكِينِينَ يَخُودِيكُمْ﴾^(٦).

(١) رواه مسلم، كتابه الأشربة، باب جواز استنباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك ٣/ ١٦٠٩، رقم (٢٠٣٨).

(٢) عن غذاء الألباب ٢/ ١٥٠، ١٥١.

(٣)، (٤) آية ٢٦. ٢٧ من سورة الذاريات.

(٥) جلاء الأفهام ص ١٤٦، وذكر فوائد أخرى من قصة إبراهيم عليه السلام، وغذاء الألباب ٢/ ١٤٩.

(٦) آية ٥٣ من سورة الأحزاب.

وفي كلتا الحالتين فإن للضيف أن يبقى مدة أطول متى ما علم من صاحب الدار صدق الرغبة في ذلك .
 ٢- أن يبادر لموافقة مضيفه ، إذا قدم له الطعام ، ولا يعتذر بشعب أو غيره .
 ٣- الدعاء للمضيف ، وهذا من الشكر والمكافأة المأمور بها^(١) . ومما ورد في ذلك من الدعاء أن النبي ﷺ
 لما أكل عند سعد بن عبادة رضي الله عنه قال : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم
 الملائكة »^(٢) .

وفي حديث عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ لما أكل عندهم وطلبوا منه الدعاء ، قال :
 « اللهم بارك لهم فيما رزقتهم ، واغفر لهم ، وارحمهم »^(٣) .

الأسئلة

- س ١ : ما مكانة الضيافة ؟ وما حكمها ؟ ومتى تجب ؟ اذكر الدليل .
- س ٢ : اذكر ثلاثة من الآداب المتعلقة بالمضيف .
- س ٣ : اذكر ثلاثة من الآداب المتعلقة بالضيف .
- س ٤ : اذكر أحد الأدعية التي تقال للمضيف .

(١) انظر بعض النصوص الواردة في المكافأة في شرح الأذكار النووية ، لابن علان ٢٤٨/٥ .

(٢) رواه أبو داود ، كتاب الأطعمة ، باب الدعاء لرب الطعام ١٨٩/٤ رقم (٣٨٥٤) ، وصحح إسناده النووي في الأذكار ص ١٦٢ ، ٢٠٣ وتعقبه الحافظ ابن حجر بأن في إسناده مقالاً ، ثم قوّاه بمجموع طرقه (انظر : شرح ابن علان على الأذكار ٣/٤٣٣) ورواه أحمد في مسنده ٣/١٣٨ .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الاشربة ، باب استحباب وضع النوى خارج التمر ٣/١٦١٥ رقم (٢٠٤٢) .

النوم والاستيقاظ وآدابهما

نعمة النوم :

المسلم يستشعر أن النوم نعمة من الله تعالى امتن بها على عباده، ويسرّها لهم، ومن حقّ النعمة الشكر، قال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَشْكُرُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(١)، وقال: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ مَسَاءً﴾^(٢).

فسكون الجسم بالليل بعد حركة النهار الدائبة مما يساعد على حياة الجسم، ونمائه ونشاطه؛ ليؤدي وظائفه التي خلقه الله من أجلها.

النوم عبادة :

النوم ضرورة من ضرورات الحياة، فإذا قصد به المؤمن أن يريح بدنه وعقله ليكون أقوى له في طاعة الله تعالى، ثم حاول أن يستعمل فيه ما ورد من السنة والآداب الشرعية، فإن ذلك يعتبر له عبادة يثاب عليها. كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: أما أنا فأنام وأقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي^(٣). قال ابن حجر رحمه الله: معناه أنه يطلب الثواب في الراحة كما يطلبه في التعب؛ لأن الراحة إذا قصد بها الإعانة على العبادة حصل بها الثواب، والمراد بقومته هنا: قيامه الليل وصلاته.

من أحكام النوم وآدابه :

١- النوم مبكراً، وترك السهر، فقد كان صلى الله عليه وسلم يكره النوم قبل صلاة العشاء، والحديث بعدها^(٤)، ولا بأس بالسهر بعد العشاء لعمل صالح، كمحادثة ضيف، أو مذاكرة علم، أو مؤانسة أهل، ونحو ذلك، على ألا يترتب عليه مفسدة كتضييع صلاة الفجر مثلاً.

(١) آية ٧٣ من سورة القصص . (٢) آية ٩ من سورة النبأ .

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن (الفتح ٨/٦٠) رقم (٤٣٤١)، ومسلم، كتاب الإمامة، باب النهي عن طلب الإمامة والحرص عليها ٣/١٤٥٧.

(٤) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت العصر (الفتح ٢/٢٦)، رقم (٥٤٧)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالصبح في أول وقتها ١/٤٤٧ رقم (٦٤٧).

ومن المصالح المترتبة على النوم مبكراً :
أ- اتباع السنة.

ب- راحة الجسم لأن نوم الليل لا يمكن أن يعوضه نوم النهار.

ج- القدرة على القيام لصلاة الفجر بسهولة، وفي حال نشاط وقوة.

د- فيه عون لمن أراد قيام آخر الليل لصلاة التهجد.

٢- أن يجتهد المسلم ألا ينام إلا على وضوء، لقول النبي ﷺ للبراء بن عازب رضي الله عنهما: « **إذا أخذت مضجعت فتوضأ وضوءك للصلاة** »^(١)

٣- أن يضطجع على شقه الأيمن؛ لقوله في حديث البراء المتقدم: « ثم اضطجع على شقك الأيمن ».

٤- يكره الاضطجاع على البطن، لقوله ﷺ: « **إن هذه ضجعة يبغضها الله** »^(٢).

٥- أن يقرأ ما تيسر من الأذكار الواردة عند النوم، ويكره له أن ينام دون أن يذكر الله تعالى، فعن أبي هريرة رضي الله عنه - مرفوعاً « ... ومن اضطجع مضجعاً لم يذكر الله تعالى فيه إلا كان عليه من الله ترة يوم القيامة »^(٣) ومن الأذكار الواردة :

أ - قراءة آية الكرسي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكُنني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام ... وذكر الحديث، وفيه أن هذا الآتي قال له: إذا أويت إلى فراشك فاقراً آية الكرسي، فإنه لن يزال معك من الله تعالى حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال رضي الله عنه: « **صَدَقَكَ، وهو كذوب، ذاك شيطان** »^(٤).

ب - قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين؛ لحديث عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه - كل ليلة - جمع كفيه ثم نفث فيهما، وقرأ فيهما « **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** »، و « **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** » و « **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** »، ثم مسح بهما ما استطاع من جسده، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات^(٥).

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٢٠٨١/٤ رقم (٢٧١٠)

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرجل ينطح على بطنه ٢٩٤/٥ رقم (٥٠٤٠)، وبنحوه ابن ماجه، في الأدب، باب النهي عن الاضطجاع على الوجه رقم (٣٧٢٣)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (١١٨٧).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب ماذا يقول عند النوم ٣٠٥/٥ رقم (٥٠٥٩)، والتر: النقص.

(٤) رواه البخاري، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازته الموكل فهو جائز (الفتح ٤/٤٨٧) رقم ٢٣١١.

(٥) رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ والقراءة عند المنام (الفتح ١١/١٢٥)، رقم (٦٣١٩).

ج- يقول: « اللهم باسمك أحيا وأموت »^(١) .

د- يقول: « اللهم أسلمت نفسي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت »^(٢) .

٦- مَنْ رَأَى فِي مَنَامِهِ مَا يَكْرَهُ ، فَقَدْ أُرْشِدُهُ ﷺ إِلَى فِعْلِ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ :

أ- أَنْ يَنْفِثَ عَنِ يَسَارِهِ ثَلَاثًا .

ب- أَنْ يَسْتَعِذَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ .

ج- أَنْ لَا يَخْبِرَ بِهَا أَحَدًا

د- أَنْ يَتَحَوَّلَ عَنِ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ .

هـ- أَنْ يَقُومَ يَصَلِّي .

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - بعد ذكر هذه الخمسة : ومتى فعل ذلك لم تضره الرؤيا المكروهة، بل هذا يدفع شرها . اهـ^(٣) .

٧- يجب التفريق في المضاجع بين الإخوة وغيرهم إذا بلغوا عشر سنين ، قال ﷺ: « **مروا أولادكم بالصلاة**

وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع »^(٤)

٨- يجب أن يكون استيقاظ المسلم دائماً قبل صلاة الفجر؛ ليؤديها في وقتها مع الجماعة، ويجب أن يجاهد نفسه في ذلك، ويتخذ الأسباب المعينة عليه، سئل النبي ﷺ عن رجل نام حتى أصبح؟ قال « ذاك رجل بال الشيطان في أذنيه »^(٥) .

٩- إذا استيقظ من النوم قال : « الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور »^(٦) .

« الحمد لله الذي ردَّ علي رُوحِي وعافاني في جسدي، وأذن لي بذكره »^(٧) .

ثم يتسوك، اقتداءً بالنبي ﷺ^(٨) .

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى (الفتح ١٣/ ٣٧٨)، رقم (٧٣٩٤)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٢٠٨٣/٤ رقم (٢٧١١).

(٢) ثبت هذا من حديث البراء المتقدم في آخره، قال : فإن مِتَّ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، واجعلهن آخر ماتقول .

(٣) زاد المعاد ٢/ ٤٥٨، وأدلة هذه المسألة مذكورة هناك، وللاستفادة ينظر فتح الباري شرح الحديث رقم (٦٩٨٥) .

(٤) رواه أبو داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ١/ ٣٣٤ رقم ٤٩٥ .

(٥) رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده (الفتح ٦/ ٣٣٥)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ١/ ٥٣٧ رقم (٧٧٤).

(٦) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها ١٣/ ٣٧٩ رقم (٧٣٩٥)، ومسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم ٢٠٨٣/٤ رقم (٢٧١١).

(٧) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، باب (٢٠)، ٥/ ٤٧٣، قال النووي في الأذكار : بإسناد صحيح، ورواه ابن السني رقم (٩) .

(٨) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب طول القيام في صلاة الليل (الفتح ٣/ ١٩) رقم (١١٣٦)، ومسلم، في الطهارة، باب السواك ١/ ٢٢٠ رقم (٢٥٥) .

الأسئلة



- س ١ : وضح متى يكون النوم عبادة يثاب عليها ، مستشهداً لما تقول .
- س ٢ : قد عرفنا بعض المصالح المترتبة على النوم مبكراً ، اذكر ما يمكنك ذكره من المفاسد المترتبة على السهر .
- س ٣ : ماذا يشرع للمسلم أن يفعله إذا رأى في نومه ما يكره ؟
- س ٤ : اذكر بعض الأذكار التي تقال عند النوم والاستيقاظ .

الكون والإنسان والحياة في نظر الإسلام

هذه من القضايا الكبرى التي حدّد الإسلام نظرته الدقيقة إليها بكل وضوح وشمول، وهنا نذكر بشيء من الإيجاز نظرة الإسلام إلى هذه القضايا وعمق الترابط والتناسب بينها :

أولاً : الكون :

الكون : ذلك العالم الفسيح مما نشاهده ونحسه، ومما لا ندركه من السماوات، والأرض، والجبال، والحيوانات، والماء، والهواء، والنجوم، والأفلاك، وغيرها، مما لا يحيط به عقل بشري، ينظر إليه الإسلام نظرة دقيقة لم يستطع مذهب ولا ملة أن يحدد مثل تلك النظرة :

أ - هذا الكون من خلق الله تعالى، أَرَادَهُ اللهُ تَعَالَى فَكَانَ، وليس لكائنٍ أو مخلوقٍ أي أثارة من الخلق أو التدبير أو الهيمنة فيه، يقول تعالى مقررًا هذه الحقيقة :

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (١).

ويقول سبحانه : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (٢). ويقول : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ نَقْدِيرٍ﴾ (٣).

وعليه فكل ما يكون في هذا الكون من الحياة والموت والرزق وتصريف الرياح والسحاب، ونزول المطر، وحركة الأفلاك، ونمو المخلوقات، كل هذا ونظائره خاضع لإرادة الله وقدرته.

ب - هذا الكون المكوّن من هذه الأجزاء المذكورة وغيرها بينها تناسق عجيب في حركتها، وفي وظائفها وأعمالها، يقول تعالى :

﴿وَأَيُّ آيَةٍ لَهُمُ الْآيَاتُ فَسَاحَ مِنْهُ النَّهَارُ إِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٤) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَلْبَغِيهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الْآيَاتُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (٤).

(١) آية ٥٤ من سورة الأعراف . (٢) آية ٢ من سورة الفرقان .

(٣) آية ٤٩ من سورة القمر . (٤) الآيات ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠ من سورة يس .

ج- الكون وأجزاؤه دليل عظيم على وحدانية الله تعالى وقدرته الباهرة، التي تجعل الإنسان العاقل يتأمل ويتفكر؛ ليقول بعد تأمله وتفكيره: آمنت بالله تعالى، ومن ثمَّ يحقق وظيفته في هذه الحياة، والله سبحانه تعالى

دعا إلى هذا التأمل في الكون، فقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ يَتفَكَّرُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾^(١).

ويقول سبحانه ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا سُبْحَانَكَ قَبْلًا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢).

د- من خلال الآيات السابقة وغيرها يتبين أن هذا الكون لم يكن وجوده صدفة لا يعرف كيف وجد، بل هو من خلق الخالق العليم القائل للشيء كن فيكون.

والتأمل العاقل يدرك هذا تمام الإدراك مما يرى من نظرتة القريبة، فضلاً عن التعمق في جزئيات الكون، فلو نظر الناظر إلى هذه السماوات وما فيها، وهذه الأرض وما فيها، وما بينهما من مخلوقات عجيبة يعجز عن تصوورها وإدراكها، لعلم أن لهذا الكون موجدًا، بل لو نظر إلى نفسه من تكوينه وخلقته في أحسن تقويم، وعقله وإدراكه، وسمعه وبصره، لعلم أن لهذا المخلوق خالقًا، سبحانه وتعالى، أفلا يؤمنون؟

ثانياً : الإنسان :



ذلك المخلوق الحيّ، الذي خلقه الله تعالى فأحسن خلقه، حدد الإسلام نظرتة إليه، والتي يمكن إجمالها في النقاط الآتية :

أ- الإنسان كائن مخلوق، ضمن المخلوقات في هذا الكون، خلقه ربه في أحسن تقويم، وصوّره فأحسن صورته،

وكرّمه، وفضّله على سائر المخلوقات، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٣).

ويقول سبحانه: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٤).

(١) آية ٨ من سورة الروم.

(٣) آية ٧٠ من سورة الإسراء.

(٢) آية ١٩٠، ١٩١ من سورة آل عمران . (٤) آية ٤ من سورة التين .

ب- منح الله سبحانه وتعالى الإنسان نعمة عظيمة في خلقه وتكوينه، من أهمها : نعمة العقل والتفكير والإدراك ، التي فضل بها على سائر المخلوقات، وحَمَلَه من خلالها المسؤولية والتكليف، وجعله أهلاً لذلك، واتَّمَّنه على هذه المسؤولية العظيمة التي هي محل السعادة والشقاوة في الدنيا والآخرة، يقول تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١) .

ج- من فضل الله تعالى على الإنسان أن سخر له ما في السموات وما في الأرض جميعاً، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وجعله مستخلفاً في الأرض، يقول تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٢) وكونه خليفة الله في الأرض يقتضي أن يقوم بالغاية التي أوجد من أجلها، وهي عبادة الله تعالى وإقامة شرعه في هذه الأرض، يقول تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٣) .

وهذا يعني أن يقوم الإنسان بتنفيذ أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، والتوجه إليه في كل أمور الحياة صغيرها وكبيرها، وأن يوجه الإنسان نشاطه في هذه الحياة وفق دين الله تعالى .

د- الإنسان في نظر الإسلام مخلوق من طين، وأبو البشرية هو آدم عليه السلام، فأصل الناس واحد، والمفاضلة بينهم إنما تكون بحسب قيامهم بوظيفتهم التي كلفوا بها، يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (٤) .

وعليه ، فالنسب والمال واللون والجنس والطبقة ونحوها من القيم الأرضية ليس لها قيمة في التفاضل بين البشر إذا لم تكن مقرونة بالميزان الشرعي : التقوى .

ثالثاً : الحياة :



وهي الفترة التي يعيشها الإنسان في هذا الكون، ينظر إليها الإسلام نظرة إحياء واستثمار، يمكن إنجازها في النقاط الآتية :

أ- من حكمة الله تعالى - كما سبق - أن جعل أجزاء الكون متناسقة، يخدم بعضها بعضاً، ويكمل بعضها بعضاً ، فلو تأمل متأملاً في حال الليل والنهار وتعاقبهما، لَعَلِمَ يقيناً أن الإنسان لا يمكن أن يعيش في ظلام

(١) آية ٧٢ من سورة الأحزاب . (٣) آية ٥٦ من سورة الذاريات .

(٢) آية ٣٠ من سورة البقرة . (٤) آية ١٣ من سورة الحجرات .

دائم، أو نهار دائم، فعمارة هذا الكون قائمة على تكامل أجزائه، وعليه فينبغي إحياء هذا الكون وعمارته باستخدام ذلك التناسق العجيب وفق ما أراد الله تعالى .

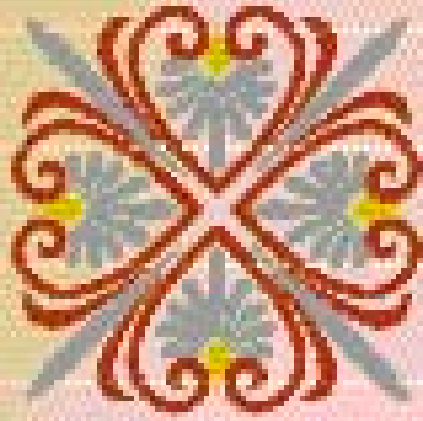
ب - الغاية من هذه الحياة أن تُحَقَّقَ فيها عبودية الله تعالى، فالإنسان يستغل ما أوجد فيها لتحقيق هذه الغاية الجليلة، وعلى هذا الاعتقاد يبغي أن يسير الإنسان ليعمر هذه الأرض، ولم يرسل الله تعالى الرسل وينزل الكتب إلا لتحقيق هذه الغاية، وكل الآيات السابقة التي ذكرناها في التصور عن الكون تدل دلالة واضحة على هذه الحقيقة.

ج - لعمارة هذا الكون، وإقامة الحياة فيه يوجّه الإسلام إلى أن تكون جميع النشاطات الممارسة في هذه الحياة وفق دين الله تعالى، سواء في الشؤون الفردية أو الجماعية، وفي أمور البيع والشراء، وفي شؤون الأسرة، وفي شؤون المآكل والمشرب، وحياة السلم والحرب، وغيرها من ضروب الحياة، كلها يبغي أن تكون قائمة على شرع الله عز وجل، وإذا ما اختل هذا الميزان فلا شك أن هذه الحياة تختل، فمثلاً: تنظيم الأسرة القائم ابتداءً على الزواج الشرعي، كم من المفاسد في هذه الحياة تحصل لو كانت العلاقة بين الرجل والمرأة علاقة فوضوية لا أنساب ولا تزواج، فضلاً عن الأمراض والبلايا والمحن التي لا حصر لها، فسبحانك ربي من حكيم خبير. وخلاصة الأمر: أن الحياة في نظر الإسلام استثمار ما أودعه الله في المخلوقات من طاقات استثماراً صالحاً وفق دين الله عز وجل.

الأسئلة



- س ١: الكون دليل عظيم على وحدانية الله تعالى وربوبيته، وضح ذلك .
- س ٢: ما علاقة الإنسان بالكون؟
- س ٣: ينظر الإسلام إلى الإنسان بأنه مخلوق حيّ مكلف في هذه الحياة، قارن هذه النظرة بما تعرفه من ثقافتك العامة عن بعض المذاهب الفاسدة.
- س ٤: ما الغاية من الحياة؟ وكيف يعمرها الإنسان؟



الفصل الدراسي الثاني

أولاً: الحديث



الحديث العاشر

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيةً قبِلت الماء فأُنبتت الكَلأَ والعُشبَ الكثير، وكانت منها أجادِبٌ أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنبتُ الكَلأَ، فذلك مثَلٌ من فُقّه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وعَلَّمَ، ومثَلٌ من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به» متفق عليه. (١)

التعريف بالراوي :

هو الصحابي الجليل، الإمام الكبير، عبد الله بن قيس بن سليم، أبو موسى الأشعري، الفقيه، المقرئ أقرأ أهل البصرة، وفقههم في الدين، ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلاً كريماً» (٢) أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى ناحية في اليمن، يدعو الناس ويعلمهم ويفقههم في الدين، هاجر إلى الحبشة وقدم منها ليالي خيبر، وشارك فيما بعدها من الغزوات، قال الذهبي : وقد كان أبو موسى صَوَّامًا قَوَّامًا رَبَّانِيًّا زَاهِدًا عَابِدًا، ممن جمع العلم والعمل والجهاد وسلامة الصدر، لم تغيره الإمارة ولا اغتر بالدنيا - مات - رضي الله عنه - سنة اثنتين وأربعين، وقيل سنة ثلاث وأربعين (٣) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من عِلِمَ وَعَلَّمَ ١/١٧٥، أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم في ٤/٧٨٧ برقم (٢٢٨٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه باب غزاة أوطاس ٨/٤١ ومسلم باب فضائل أبي موسى برقم ٢٤٩٨ .

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء ٢/٣٨٠ وتهذيب التهذيب ٥/٢٤٩ .



| معناها | الكلمة |
|---|-------------------------------|
| بفتح الميم والثاء، قال ابن حجر : المراد به الصفة العجيبة، لا القول السائر. الدلالة الموصلة إلى المطلوب. | مَثَلٌ الهُدَى |
| بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء، والمراد: سهلة طيبة . | نَقِيَّةٌ |
| بالمهززة بلا مد، وهو النبات الرطب واليابس، أما العشب فهو الرطب دون اليابس. | الكَأَلُ |
| الجَدْبُ: ضد الخِصْبِ، والأجَادِب: هي الأراضي التي لانبات فيها لاحتماس المطر عنها. | أجَادِب |
| أي بالأرض الأجَادِب التي أمسكت الماء. | فَنَفَعَ اللهُ بِهَا |
| وفي رواية: (وَرَعَوْا) : من الرعي، : قال النووي : كلاهما صحيح. | وَزَرَعُوا |
| بكسر القاف جمع قاع، وهي الأرض المستوية الملساء التي لا تنبت. | قِيَعَان |
| كناية عمّن جاءه العلم فلم يحفظه ولم يعمل به ولم ينقله إلى غيره. | ومثل من لم يرفع بذلك رأساً |

الأحكام والتوجيهات :



١- العلم الشرعي - وهو العلم المستنبط من الكتاب والسنة وما يتعلق بهما رأس العلوم وأفضلها، حري بأن يتسابق إليه الجادون والحريصون استجابة لترغيب الرسول ﷺ في هذا الحديث، فجعل أهل الفقه في الدين كالغيث الذي نفع الأرض فاستفاد منه الناس، يقول تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١) ويقول سبحانه مادحاً أهل العلم الذين هم أهل خشية الله: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾^(٢) ويقول ﷺ « **فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب** »^(٣).

(١) آية ٩ من سورة الزمر .

(٢) آية ٢٨ من سورة فاطر .

(٣) رواه أبو داود في السنن، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم ٣٤١/٢، رقم الحديث (٣٦٤١)، والترمذي، كتاب العلم، باب ماجاء في فضل الفقه ٤٦/٥،

رقم الحديث (٢٦٨١) .

٢- لا غنى لأيّ مسلم عن العلم، إذ به يعرف دينه، وكيف يؤدي عبادة ربه، وكيف تقوم علاقته مع الناس، فحاجة الناس للعلم أشد من حاجتهم إلى المطر، وما ارتفع فرد أو أفراد إلا بالعلم، وقد تضافرت النصوص الشرعية على ذلك.

٣- الرسول ﷺ - معلّم البشرية وإمام المعلمين - يعطي درساً في أسلوب التعليم، ذلكم هو ضرب الأمثال لتقريب الفكرة لدى السامعين، فالرسول ﷺ هنا يشبه الناس بالأرض، ويشبه العلم بالغيث والناس يعرفون عمل الغيث في الأرض ويعيشونه. فعلى المعلم والمربي أن يسلك الأساليب المقرّبة للعلم لأبنائه وطلابه.

٤- قدرات الناس مختلفة، وتقبلهم متفاوت، ولذلك كانوا أقساماً في تقبلهم للعلم، وعلى المسلم أن يحرص أن يكون من القسم الأعلى يستقبل العلم ويعمل به وينشره بين الناس.

٥- جعل الرسول ﷺ الناس في تقبلهم للعلم ثلاث درجات :

أ- الدرجة الأولى : من تقبل ما جاء به الرسول ﷺ وعلمه وعمل بما فيه، وعلم الناس، فهؤلاء هم أفضل الناس؛ لأنهم انتفعوا في أنفسهم وبنفعوا غيرهم.

ب- الدرجة الثانية : من تقبل ما جاء به الرسول ﷺ وحمله إلى الناس فانتفعوا به، لكنه لم يتفقه فيه، وقلّ اجتهاده في العمل به.

ج- الدرجة الثالثة : من لم يستفد مما جاء به الرسول ﷺ ولم يعمل به أو ينقله إلى الناس وهؤلاء مذمومون على لسان الرسول ﷺ.

الأسئلة

س ١ : بين معاني الكلمات الآتية :

نقيّة ، أجادب ، قيعان .

س ٢ : الناس أقسام في تقبلهم العلم، وضح ذلك من خلال دراستك لهذا الحديث .

س ٣ : للعلم أهمية كبرى، فما هذه الأهمية ؟

الحديث الحادي عشر

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم » رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح^(١).

التعريف بالراوي :

أبو بكرة هو الصحابي الجليل: نُفيع بن الحارث، مولى النبي صلى الله عليه وسلم، تدلَّى في حصار الطائف ببكرة، وفرَّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يده، وأخبره أنه عبد فأعتقه، روى جملة أحاديث، وكان من فقهاء الصحابة، مات رضي الله عنه في خلافة معاوية بن أبي سفيان بالبصرة^(٢).

المباحث اللغوية

| معناها | الكلمة |
|--|---|
| أحق وأولى وأحرى . أي : مع ما يؤجله له من العقوبة في الآخرة . الظلم . الرحم هم : ذوو الأرحام والأقارب، كالعم، والخال، والعممة، والخالة، وأبنائهم، وبناتهم، وقطيعة الرحم : عدم وصلهم وزيارتهم والسلام عليهم . | أجدر مع ما يدخره في الآخرة البغي قطيعة الرحم |

(١) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في النهي عن البغي ٦٩٣/٢ برقم (٤٩٠٢)، والترمذي، كتاب صفة القيامة، باب رقم (٥٧) ٦٦٤/٤ رقم (٢٥١١)، وابن ماجه في الزهد، باب البغي ١٤٠٨/٢، ورقم (٤٢١١).
(٢) ينظر: سير أعلام النبلاء ٥/٣، وتهذيب التهذيب ٤٦٩/١٠.



١- الظلم ظلمات في الدنيا والآخرة، يستحق صاحبه العقوبة العاجلة في الدنيا فيراها قبل موته، وقد تضافرت الآيات والأحاديث في التحذير من الظلم فلا يجوز ظلم أحد سواء أكان مسلماً أم كافراً، يقول تعالى: ﴿ مَا الظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا سَفِيحٍ يُطَاعُ ﴾^(١) ويقول سبحانه ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٢) ويقول سبحانه: ﴿ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴾^(٣).

وروى الشيخان عن أبي موسى - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ» ثم قرأ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقَرْيَ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلَمٌ شَدِيدٌ ﴾^(٤) ^(٥).

٢- الظلم أنواع، ورأسه الإشراف بالله تعالى، قال تعالى في ذكر وصايا لقمان لابنه -: ﴿ يٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾^(٦).

ومن الظلم: ظلم الأسرة والأولاد بعدم تربيتهم التربية الإسلامية الحقة. ومنه أيضاً: ظلم الناس بعامه، بالاعتداء عليهم، أو بنسخهم حقوقهم، أو النيل من أعراضهم. ومنه أيضاً: الظلم بالتقصير في أداء المصالح العامة، كعدم الإيفاء بمتطلبات الأعمال، أو تأخير مصالح الناس ونحو ذلك.

ومنه أيضاً: الظلم الواقع على الخدم والعمال والأجراء بنسخهم حقوقهم، أو تكليفهم ما لا يطيقون. ٣- للرحم في دين الله شأن عظيم، يجب وصلها، وتحرم قطيعتها، روى البخاري وغيره عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَّغَ قَامَتِ الرَّحْمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مِنْ وَصْلِكَ، وَأَقْطَعُ مِنْ قَطْعِكَ، قَالَتْ بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ لَكَ» ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ» ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾^(٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى) ٨/ ٣٥٤ رقم (٤٦٨٦) ورواه مسلم، كتاب البر

والصلة، باب تحريم الظلم ٤/ ١٩٧٧ برقم (٢٥٨٣).

(٦) آية ١٣ من سورة لقمان.

(٧) آية ٢٢، ٢٣ من سورة محمد صلى الله عليه وسلم، والحديث رواه البخاري، كتاب التفسير، باب (وتقطعوا أرحامكم) ٨/ ٥٧٩ برقم:

(٤٨٣٠)، ومسلم، كتاب البر والصلة ٤/ ١٩٨٠ برقم (٢٥٥٤).

- ٤ - صلة الرحم تكون : بالزيارة، والسؤال عن الحال، والاطمئنان على القريب، والتلطف في الخطاب، كما تكون بإهداء الهدايا المناسبة، والتهنئة فيما يحصل من الخير، ومساعدة المدين المعسر في سداد شيء من دينه، والسعي له في سداده، وبذل الجاه، وقضاء الحاجات، والدعاء بالتوفيق والمغفرة، وغير ذلك.
- ٥- صلة الرحم تزيد في العمر، وتبارك فيه، كما تزيد المال وتنميه، بالإضافة إلى تكفير السيئات، ومضاعفة الحسنات، وإرضاء الخالق جل وعلا، روى البخاري وغيره عن أنس - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « **مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسِطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيَسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَيَلْصِقَ رَحْمَهُ** »^(١). ومعنى ينسأ له في أثره : يؤجل له في عمره.
- ٦- المسلم الحق هو الذي يجب للآخرين ما يجب لنفسه، فيؤدي حقوقهم ولا يتعدى عليهم أو يظلمهم، أو يتناول عليهم حسياً أو معنوياً.
- ٧- العقوبات التي يسلمها الله تعالى على بعض عباده قد تكون في الدنيا وقد تؤجل في الآخرة، فليتبه المسلم نفسه فلا يحقر شيئاً من الذنوب أو المعاصي عندما لا يرى أثرها في الدنيا.

الأسئلة

- س ١ : وضح معاني الكلمات الآتية : أجدر، البغي، قطيعة الرحم.
- س ٢ : الظلم أنواع، اذكر بعضاً منها.
- س ٣ : لصلة الرحم فوائد، اذكر بعضاً منها.
- س ٤ : بين كيف اهتم الإسلام بمنع الظلم.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم ١٠ / ٤١٥ برقم (٥٩٨٦)، ورواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها ٤ / ١٩٨٢ برقم (٢٥٥٧).

الحديث الثاني عشر

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا مع رسول صلى الله عليه وسلم في سفر، فمنا الصائم ومنا المفطر، قال: فنزلنا منزلاً في يوم حارٍّ، أكثرنا ظلاً صاحب الكساء، ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصوَّام، وقام المفطرون فضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال رسول صلى الله عليه وسلم: « ذهب المفطرون اليوم بالأجر » رواه البخاري ومسلم^(١).

التعريف بالراوي :

سبق التعريف به في الحديث الأول .

المباحث اللغوية

| معناها | الكلمة |
|---|-----------------|
| الصوم في اللغة : الإمساك والكف والامتناع ، يقال للساكت : صائم؛ لإمساكه عن الكلام، وفي الشرع : إمساك بنية عن أشياء مخصوصة، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. | منا الصائم |
| أي : صاحب الثوب الذي يستظل بثوبه. | صاحب الكساء |
| أي : يتخذ يده وقاية له عن الشمس. | يتقي الشمس بيده |
| الأبنية جمع بناء، وهي البيوت التي تسكنها العرب في الصحراء، والمراد : أن المفطرين أقاموا هذه الأبنية. | فضربوا الأبنية |
| الرواحل من الإبل، أو هي ما يركب من كل دابة. | الركاب |

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الجهاد ، باب فضل الخدمة في الغزو ٦ / ٨٤ برقم (٢٨٩٠) ، وأخرجه مسلم ، كتاب الصيام ، باب أجر المفطر في السفر ٢ / ٧٨٨ برقم (١١١٩) ، واللفظ له .



١- صوم رمضان ركن من أركان الإسلام، وفرض من فرائضه، دل عليه الكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١)، ومعنى كُتِبَ : فرض، وهو واجب على كل مسلم بالغ عاقل قادر .

٢- من رحمة الله تعالى بالأمة أن رخص للمسافرين بأن يفطروا في رمضان ، ويقضوا ما أفطروا فيه بعد رمضان، دل على هذا قوله تعالى : ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٢) . وعليه فيجوز للمسافر الفطر والصيام في السفر .

٣- ذهب جمهور أهل العلم إلى أن الصوم أفضل للمسافر إذا كان يطيق ذلك بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر، فإن كان هناك مشقة أو ضرر فالفطر أفضل من الصوم .

دل على هذا الحكم هذا الحديث، حيث ذكر الرسول ﷺ أن المفطرين الذين خدموا صاروا أكثر أجرًا من الصائمين . ويدل عليه أيضاً ما رواه البخاري وغيره ، عن جابر رضي الله عنه : قال : كان رسول الله ﷺ في سفر، فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : صائم، فقال : « ليس من البر الصوم في السفر »^(٣) . أما في حال عدم المشقة فالأمر جائز، والصوم أولى كما سبق : لصوم النبي ﷺ وأصحابه، فقد روى البخاري وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنا نسافر مع النبي ﷺ فلم يعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم^(٤) .

٤- يدل الحديث على جواز الصيام في السفر حتى ولو ترتب على الصائم مشقة ظاهرة، ولكنه خلاف الأولى .

٥- بني هذا الدين على التيسير والتسهيل، فهذا المسافر يلحقه ما يلحقه من الضرر والمشقة، وبخاصة السفر الطويل، أو في الأوقات التي يكون فيها الجو حاراً، ونحو ذلك، ولذا قال الله تعالى بعد بيان أحكام المريض والمسافر : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ يَخَفِيكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ يَكْفِيكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٥) . وقالت عائشة رضي الله عنها : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه^(٦) .

(١) آية ١٨٣ من سورة البقرة . (٢) آية ١٨٤ من سورة البقرة .

(٣) أخرجه البخاري ، كتاب الصوم ، باب قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه ١٨٣ / ٤٠٠ ، برقم (١٩٤٦) ، وأخرجه مسلم ، كتاب الصيام ، باب بيان أن الدخول في الصوم ، يحصل بطلوع الفجر ٧٨٦ / ٢ برقم (١١١٥) .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب الصوم ، باب لم يُعَب أصحاب النبي ﷺ بعضهم بعضاً في الصوم والإفطار ١٨٦ / ٤ برقم (١٩٤٧) . وأخرجه مسلم ، كتاب الصيام ، باب بيان أن الدخول في الصوم يحصل بطلوع الفجر ٧٨٦ / ٢ برقم (١١١٨) .

(٥) آية ١٨٥ من سورة البقرة

(٦) أخرجه البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ٥٦٦ / ٦ برقم (٣٥٦٠) ، وأخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب مباحثته ﷺ للأمام ١٨١٣ / ٤ برقم (٢٣٢٧) .

٦- هذه الأحكام خاصة في السفر المباح، أما إذا كان السفر لمجرد أن يفطر فيحرم السفر والفطر .
٧- من أفضل الأعمال ما فيه نفع متعدد للآخرين، فقد دل الحديث على أن هؤلاء الذين أفطروا وقاموا بخدمة إخوانهم الصائمين كانوا أكثر أجراً وثواباً، وعليه فكل عمل يتعدى نفعه للآخرين يعظم فيه الأجر، ويزداد فيه الثواب، مثل تعليم العلم، وإقراء القرآن، والبر والإحسان، وإعانة المحتاج ، وخدمة الآخرين ، والشفاعة لهم، وغير ذلك .

٨- الإسلام دين الحركة والنشاط والعمل، لا دين الكسل والخمول والفتور ، فإذا زاد العمل وترتب عليه نشاط في غير معصية الله زاد الفضل فيه، فهؤلاء الذين أخذوا برخصة الفطر وخدموا إخوانهم ونصبوا بيوتهم وسقوا ركبهم ذهبوا بالأجر والثواب، قال رسول ﷺ : « **المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير** »^(١) .

٩- المؤمن الحق هو الذي يبحث عما يسعده في الدنيا والآخرة، فلا يكون خاملاً كسولاً، بل يسعى جاداً ليستثمر جميع لحظات عمره، وحينئذ تكون حياته كلها عبادة لله عز وجل يثاب عليها .
١٠- الإسلام دين شامل، فليس فيه فصل لأموال الدنيا عن الآخرة، وهذا العمل المذكور في الحديث عمل دنيوي محض، قد رتب الله تعالى على فعله الأجر والثوبة؛ لما فيه من خدمة الآخرين، والتعاون على الخير، فصار قرابة يتقرب بها العبد إلى الله تعالى .

الأسئلة

- س ١: اشرح قوله « فنزلنا منزلاً في يوم حار ، وأكثرنا ظلاً صاحب الكساء ، ومنا من يتقي الشمس بيده » .
- س ٢: لم ذهب المفطرون بالأجر ؟
- س ٣: الإسلام دين العمل والجد والنشاط ، بين كيف استفدت ذلك من هذا الحديث .
- س ٤: الإسلام دين اليسر والساحة ، كيف عرفت هذا من الحديث ؟

(١) أخرجه مسلم ، كتاب القدر ، باب في الأمر بالقوة وترك العجز ٤ / ٢٠٥٢ برقم (٢٦٦٤) .

الحديث الثالث عشر

عن صفية بنت حيي - رضي الله عنها - قالت : كان النبي ﷺ معتكفاً ، فأتيته أزوره ليلاً ، فحدثته ، ثم قمت لأنقلب ، فقام معي ليقبلني ، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد ، فمر رجلان من الأنصار ، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرع ، فقال النبي ﷺ : « على رسلِكُما ، إنها صفية بنت حيي » ، فقالا : سبحان الله يا رسول الله ، قال : « إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرّاً » أو قال : « شيئاً » رواه البخاري ومسلم^(١) .

التعريف بالراوي :

هي أم المؤمنين صفية بنت حُيي بن أخطب ، من بني النضير ، تزوجها - قبل إسلامها - سَلام بن أبي الحقيق ، ثم خلفه عليها كنانة بن أبي الحقيق وكانا من شعراء اليهود ، وقتل كنانة يوم خيبر عنها ، وسُبيت صفية ، ثم تزوجها النبي ﷺ وجعل عتقها صداقها ، وكانت رضي الله عنها - ذات حسب ودين وحلم ووقار ، توفيت في رمضان سنة خمسين للهجرة ، رضي الله عنها وأرضاها^(٢) .

المباحث اللغوية

| معناها | الكلمة |
|--|---------|
| الاعتكاف لغة : لزوم الشيء ، وحبس النفس عليه : وشرعاً : لزوم المسجد لطاعة الله عز وجل . | معتكفاً |
| أي : لأرجع إلى بيتي . | لأنقلب |
| أي : يردني إلى بيتي . | ليقبلني |

(١) أخرجه البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنوده ٦/٣٣٦ برقم (٣٢٨١) ، وأخرجه مسلم ، كتاب السلام ، باب بيان أنه يستحب لمن روي خالياً ٤/١٧١٢ ، واللفظ له .

(٢) ينظر : سير أعلام النبلاء ٢/٢٣١ وتهذيب التهذيب ١٢/٤٢٩ .

رسلكما
يقذف في قلوبكما شراً

بكسر الرءاء، ويجوز فتحها، أي: على هيئتكما في المشي، فليس هنا شيء تکرهانه.
وفي رواية عند البخاري «سوءاً»، والمراد أنه خشي عليها أن يوسوس لهما
الشیطان عن رسول الله ﷺ بما لا ينبغي.

الأحكام والتوجيهات :

- ١- الاعتكاف سنة، ويتأكد في العشر الأواخر من شهر رمضان، تحريماً لموافقة ليلة القدر لما ورد أن اعتكافه ﷺ كان في العشر الأواخر^(١).
- ٢- الاعتكاف عمل مشروع يؤجر عليه صاحبه إذ إنه قد فرغ نفسه من مشاغل الدنيا كلها ليشغل بطاعة الله تعالى وعبادته. وعليه فقد ذكر أهل العلم أن على المعتكف أن يشغل وقته بالذكر، وقراءة القرآن، والصلاة، والدعاء، ويتأكد عليه أن يبتعد عن كل ما يلهيه عن ذلك من أمور الدنيا من القول والفعل، ومن باب أولى وأحرى أن يتجنب المعاصي صغيرها وكبيرها.
- ٣- من أحكام الاعتكاف :
 - أ- لزوم المسجد وعدم الخروج منه إلا لحاجة، كالوضوء ونحوه.
 - ب- لا يجوز مباشرة النساء بجماع أو ما دونه، يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا يَنْبِئُكُمْ عَنْهَا﴾^(٢). وهذا لا يعني عدم الخلوة بالزوجة أو محادثتها، فالرسول ﷺ حدث زوجته صفية - رضي الله عنها - كما في هذا الحديث.
 - ج- لا يجوز البيع والشراء والتكسب أثناء اعتكافه؛ لأنه في المسجد، وهذه الأمور لا تصح فيه .
 - ٤- من أخطاء المعتكفين : كثرة النوم في المسجد، وكثرة التحدث في أمور الدنيا، ولو كانت مباحة، أو عدم قضاء الوقت في أنواع الطاعات والقرب.
 - ٥- في هذا الحديث حُسن خلق النبي ﷺ مع أهله، ولا غرابة في ذلك، فقد قال ﷺ : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي »^(٣).

(١) رواه البخاري في كتاب الاعتكاف برقم ٢٠٢٥ ، ومسلم كتاب الاعتكاف برقم (١١٧٢) .

(٢) آية ١٨٧ من سورة البقرة .

(٣) رواه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فضل أزواج النبي ﷺ ٦٦٦/٥ برقم (٣٨٩٥) وقال : حسن غريب صحيح ، ورواه ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب حسن معاشره النساء ٦٣٦/٢ برقم (١٩٧٧) .

- ٦- في هذا الحديث بيان شفقة النبي ﷺ على أمته، وإرشادهم إلى ما يدفع عنهم الإثم.
- ٧- على المسلم ألا يضع نفسه في مواضع الشك والريب؛ لئلا تلحقه التهمة من الناس، فإذا كان وضعه يثير التهمة فليزِلها، لئلا يظن به ظن سيء وهو بريء منه.
- ٨- للإنسان أعداء، ومن أشدهم عداوة الشيطان الذي أخذ العهد على نفسه أن يغوي من استطاع من بني آدم، فله قدرة على الوسوسة في صدورهم في كل باب يستطيع، فإن استطاع أن يزين المعصية لبني آدم وإلا أتى من أبواب الزيادة في الطاعة وبها لا يشرع، ولذا حذرنا الله تعالى منه في مواضع عديدة من كتابه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَلَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(١).
- وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾^(٢).

الأسئلة

- س ١: عرف براوية الحديث .
- س ٢: ما المراد بالاعتكاف؟ وما حكمه؟
- س ٣: (الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم) وضح ذلك ، وما الأشياء التي يستعين بها المسلم لدفع أذى الشيطان؟
- س ٤: بين بعض أخطاء المعتكفين .

(١) آية ٥٠ من سورة الكهف .

(٢) آية ٥ من سورة يوسف .

الحديث الرابع عشر

عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال إن النبي ﷺ وُقِّت لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يَلْمَم، هنّ هنّ، ولمن أتى عليهن من غيرهن ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة. متفق عليه (١).

التعريف بالراوي :

هو الصحابي الجليل، حبر الأمة وإمام التفسير، أبو العباس، عبد الله بن عمّ النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي رضي الله عنهما، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، انتقل مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، دعا له الرسول ﷺ بسعة العلم والفقهِ في الدين، روى البخاري عنه ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ المخرج وخرج - فإذا تور (٢) مغطّى، فقال: « من صنع هذا؟ » فقلت: أنا، فقال « اللهم علمه تأويل القرآن » (٣)، وفي رواية أنه قال « اللهم علمه التأويل وفقهه في الدين » (٤).

قال مسروق: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدث قلت: أعلم الناس.

من أكثر الصحابة رواية للحديث، وأعلمهم بالتفسير، وأقدرهم على الاستنباط، توفي سنة ثمان وستين للهجرة النبوية، وعاش إحدى وسبعين سنة (٥).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب مهل أهل مكة للحج والعمرة ٣/ ٣٨٤، وهذا لفظه، وأخرجه مسلم، كتاب الحج، باب مواقيت الحج والعمرة ٢/ ٨٣٨ رقم (١١٨١).

(٢) التور: إناء من صفر أو حجارة يتوضأ منه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع، منها: في كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ « اللهم علمه الكتاب » ١/ ١٦٩. والحاكم في المستدرک ٣/ ٦١٨ واللفظ له.

(٤) رواه الطبراني في الكبير ١٠/ ٢٣٨ برقم (١٠٥٨٧).

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣١، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢٧٦.



| معناها | الكلمة |
|--|------------------------|
| بتشديد القاف، أي : حدّد . والتوقيت في الأصل : ذكر الوقت، والمراد هنا : أن الرسول ﷺ وقت هذه الأماكن لمريد الحج والعمرة، فلا يجوز له تجاوزتها بدون إحرام . | وَقَّتَ |
| بضم الحاء وفتح اللام، وهو مكان قرب المدينة يبعد عنها قريب من اثني عشر كيلاً جنوباً، ويبعد عن مكة قريباً من أربعمئة كيلاً، ويعرف الآن بأبيار علي . | ذو الحليفة |
| بضم الجيم وسكون الحاء، سميت بذلك لأن السيل اجتحفها في بعض الزمان، وهي الآن قريبة من مدينة رابع، وهي تبعد عن مكة قريباً من مائة وستة وثمانين كيلاً . | الجحفة |
| بفتح القاف وسكون الراء، ويقال له : (قرن الثعالب) ويسمى الآن : السيل الكبير، وهو واد كبير أعلاه في منطقة الهدا غربي الطائف، ويسمى الميقات فيه : ميقات وادي محرم، فالذي يأتي من نجد يحرم من السيل الكبير، والذي يأتي من أعلى يحرم من وادي محرم، وكلاهما ميقات، ومسافتها عن مكة متقاربة في حدود خمسة وسبعين كيلاً . | قرن المنازل |
| بفتح الياء واللام وسكون الميم، وهو واد يحرم منه أهل اليمن، يبعد عن مكة قريباً من اثنين وتسعين كيلاً . | يَلْمَلَمَ |
| أي : المواقيت . | هن |
| أي : هذه المواقيت لأهلها، فأهل المدينة النبوية - مثلاً - يرمون من ذي الحليفة . | لهن |
| المعنى من أتى على هذه المواقيت من غير أهلها فيحرم منها، فإذا أتى الشامي عن طريق المدينة مثلاً يحرم من ذي الحليفة . | ولن أتى عليهن من غيرهن |
| من كان دون المواقيت من جهة مكة . | ومن كان دون ذلك |
| أي من حيث ابتداء العمرة أو الحج، فأهل الشرائع ^(١) مثلاً يرمون منها . | أنشأ |

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العمرة، باب عمرة التعميم ٦٠٦/٣ .



١ - دل الحديث على عظمة البيت الحرام وقداسته ، إذ جعل له هذا الحمى الذي لا يجوز لمن قصده بالعمرة أو الحج إلا أن يدخل إليه على هيئة مخصوصة خاشعا ومعظماً ، وعليه فلا يحل لمن أراد الحج أو العمرة أن يتجاوز الميقات إلا بإحرام .

٢ - هذه المواقيت لأهلها ، فأهل اليمن - مثلاً - يجرمون من يَلْملم ، وكذا من مرّ على هذا الميقات من غير أهل اليمن ، فلو مرّ أهل مصر والشام من هذا الميقات أحرّموا منه .

٣ - من جاء إلى مكة وهو لا يريد العمرة أو الحج ، كأن يكون قصده التجارة ، أو العمل ، ونحو ذلك ، فليس عليه إحرام على الصحيح لقوله ﷺ في هذا الحديث : « ممن أراد الحج والعمرة » ، فالإحرام خاصة بمن أراد ذلك .

٤ - من كان مسكنه دون المواقيت ، من جهة مكة ، فأحرامه من مكانه الذي هو فيه ، كما قال الرسول ﷺ : « فمن حيث أنشأ » سواء كان للعمرة أو للحج .

٥ - أهل مكة لهم ميقتان : أحدهما للحج ، وهو مكة ، فيحرمون من مكة ، والثاني للعمرة ، وهو الحل ، فإذا أراد المكي أن يحرم للعمرة يخرج إلى الحل خارج حدود الحرم من أي جهة من الجهات فيحرم منه ، كما فعلت عائشة - رضي الله عنها - عندما أرادت العمرة بعد الحج ، روى البخاري عن عبد الرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ أمره أن يردف عائشة ويعمرها من التنعيم^(١) .
والتنعيم : مكان خارج حدود الحرم على طريق المدينة النبوية .

هذا الحكم يتعلق بأهل مكة ، وكذلك غيرهم ممن أنشأ العمرة وهو في مكة ، فيحرم كذلك من الحلّ .

٦ - من كان طريقه لا يمر على أحد هذه المواقيت ، وأراد أن يحرم بعمرة أو حج ، فيحرم إذا حاذى أقرب المواقيت إليه ، وكذا إذا كان المسافر بالطائرة فيحرم إذا حاذى الميقات ، وعليه أن يستعد قبل محاذاته حتى لا يتجاوزها بدون إحرام .

٧ - بين الحديث أنه لا يجوز لمن أراد الحج أو العمرة أن يتجاوز الميقات بدون إحرام ، ولو تجاوزه وهو يريد الحج أو العمرة ، وقبل أن يتلبس بالإحرام فعليه أن يرجع إلى الميقات ليحرم منه ، فإن لم يرجع صح

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العمرة ، باب عمرة التنعيم ٦٠٦/٣ .

إحرامه وعليه دم جُبران يذبحه في الحرم ويوزعه على مساكين الحرم ولا يأكل منه شيئاً .
٨- هذه الأحكام كلها رحمة من الله تعالى بعباده المؤمنين حيث جعل الإحرام من المواقيت متعددة ، ولم يشق عليهم بجعل ذلك من ميقات واحد أو في جهة واحدة .

الأسئلة

- س ١: ما معنى : (وَّقَتَ) ؟ وأين موقع : يَلْمَلَمَ ؟
- س ٢: وضح المراد بقوله : (هن هن ولمن أتى عليهن من غيرهن ممن أراد الحج أو العمرة)
- س ٣: من أين يجرم المكّي للحج والعمرة ؟
- س ٤ : دل الحديث على رحمة الله بعباده ، وضح ذلك من خلال دراستك للحديث .

الحديث الخامس عشر

عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : قال رسول الله ﷺ يوم الفتح فتح مكة « لا هجرة ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا » وقال يوم الفتح فتح مكة : « إن هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، وأنه لم يحلّ القتال فيه لأحد قبلي ، ولم يحلّ لي إلا ساعة من نهار ، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكة ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ، ولا يختلي خلّاه » فقال العباس : يا رسول الله إلا الإذخر، فإنه لَقَيْنِهِمْ وليوتهم ، فقال : « إلا الإذخر » رواه البخاري ومسلم .^(١)

التعريف بالراوي :

سبق التعريف به في الحديث الرابع عشر .

المباحث اللغوية

| معناها | الكلمة |
|--|-----------|
| من الهجر، وهو في اللغة : الترك . | هِجْرَة |
| الانتقال من بلد الكفر إلى بلد الإسلام بنية صالحة . | في الشرع |
| الجهاد لغة : من الجهد، وهو المشقة والتعب . | جهاد |
| قتال الكفار لإعلاء كلمة الله . | وفي الشرع |
| هي القصد والإرادة . | نية |

(١) أخرجه البخاري ، كتاب جزاء الصيد ، باب لا يحل القتال بمكة ٤/٤٦ برقم (١٨٣٤) ، وأخرجه مسلم ، كتاب الحج ، باب تحريم مكة وصيدها ٢/٩٨٦ برقم (١٣٥٣) واللفظ له .

أي : إذا طلب منكم النصر فأجيبوا وانفروا .
كان ذلك في السنة الثامنة للهجرة .
لم يحل لي القتال في مكة إلا وقتاً من النهار فحسب ، ثم عادت حرمتها .

استنفرتم
يوم الفتح فتح مكة
ولم يحل لي إلا ساعة من

نهار

يُعْضد

ينفّر

لُقِّطته

خلاه

الإذخر

يقطع .

يزجر .

اللقطة : بضم اللام وفتح القاف : اسم المال الملقوط ، وهو المال الذي يُعثر عليه من غير طلب ولا يُعرف صاحبه .

بفتح الخاء ، وهو الحشيش إذا كان رطباً .

نبت معروف بمكة طيب الرائحة ، يستعمله أهل مكة لبيوتهم قديماً ، يجعلونه بين الخشب في السقف ، ويسدون به الخلل بين اللبنة في القبور .

الأحكام والتوجيهات :



١- الهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة النبوية كانت واجبة في أول الإسلام، أي : قبل فتح مكة، وللمهاجرين فضل ومزية على غيرهم بهجرتهم، ولما فتحت مكة انقطعت هذه الهجرة، وبقي المعنى العام لها، وهو الانتقال من ديار الكفر إلى ديار الإسلام.

وكان سبب الهجرة إلى المدينة أن أهل مكة لم يستجيبوا الدعوة التوحيد، فأذوا الفئة المؤمنة القليلة، فأذن الله تعالى لنبيه ﷺ وأصحابه بالهجرة إلى المدينة فراراً بدينهم، وإقامة لشعائره، وحفاظاً على إيمانهم.

٢- ذكر العلماء - رحمهم الله - أن الهجرة بمعناها العام باقية إلى قيام الساعة، فعلى من لا يستطيع إظهار شعائر دينه ، ويخشى على نفسه الزيغ والهلاك أن يهاجر إلى بلد من بلدان الإسلام؛ ليقيم شعائر دينه ويسلم من الانحراف.

٣- جهاد الكفار لإعلاء كلمة الله شعيرة من شعائر هذا الدين، وهو باق إلى يوم القيامة، له فضل عظيم،

وثواب جليل، أعدّه الله تعالى للمجاهدين، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْرَبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَاةُ اللَّهِ حَقًّا فِي النَّوْرِ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ وَإِنْ مِنْكُمْ أُولُو عَهْدٍ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بَيْنَكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ﴾ (١).

وقال سبحانه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَدُّونَ ﴿١٥﴾﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبِشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢).

وكل مؤمن مطالب بالجهاد ولو أن يحدث نفسه بذلك، روى مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من مات ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو، مات على شعبة من النفاق» (٣).

٤- هناك أنواع من الجهاد عدا جهاد الكفار - يطالب بها المسلم، ومنها: جهاد النفس بإرغامها على فعل الطاعات، وبكبحها عن نزواتها، وكذا جهاد الشيطان الذي أخذ العهد على نفسه بإغواء بني آدم فهو يجري من ابن آدم مجرى الدم، وحرىص على تزيين الشهوات والشبهات، وجهاده بالاستعاذة منه، والانتباه إلى ما يزينه من المعاصي بعدم فعلها، والابتعاد عنها، والحذر من وسوسته.

٥- جهاد الكفار فرض كفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، هذا هو الحكم العام للجهاد وهناك حالات يكون فيها الجهاد فرض عين، منها ما ذكر في الحديث، إذا استنفر الإمام الناس أو فئة منهم فعليهم النصرة وإجابة الطلب، فيكون في حقهم فرض عين.

٦- مدار قبول الأعمال على النية والمتابعة، فمهما كان العمل عظيماً والنية فيه غير سليمة فمردود على صاحبه، وليس له حظ من الأجر في عمله، ومهما كان العمل قليلاً والنية فيه خالصة لله تعالى فأجره عظيم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» (٤).

٧- أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن مكة دار من دور الإسلام إلى يوم القيامة، ولها أحكام تختص بها عن غيرها، ومنها (٥):

(١) آية ١١١ من سورة البقرة.

(٢) الآيات ١٦٩، ١٧٠ من سورة آل عمران.

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإمارة، باب من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو ٣/١٥١٧ برقم (١٩١٠).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي ١/٩ برقم (١)، وأخرجه مسلم، كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ» ٣/١٥١٥ برقم (١٩٠٧).

(٥) للاستزادة انظر: زاد المعاد، لابن القيم ٤/٦١ وما بعدها.

أ- حرمة القتال بها إلى يوم القيامة.

ب- معاينة من همَّ فيها بالسيئات، وإن لم يفعلها، قال تعالى :
﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِظِ لِنَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١).

ج- حرمة قطع شوكها وشجرها إلا الإذخر للحاجة إليه ، فيجوز أخذه رطباً .

د- حرمة تنفير صيدها ، أو حبسه ، أو قتله ، أو معاونة من يريد أن يفعل ذلك .

هـ- تحريم أخذ لقطتها من النقود أو الأعيان إلا لمن يريد أن يعرف بها ، أو يوصلها إلى أهل الاختصاص الذين كلفهم ولي الأمر بذلك .

و- مضاعفة الصلاة في المسجد الحرام بمكة مائة ألف ضعف عن غيره .

ز- أن المعصية فيها تعظم ، فليست كالمعصية في غيرها ، مع أن جميع المعاصي محرمة .

ح- أن مكة بلد آمن وأمان إلى أن تقوم الساعة، كما أعلن ذلك رسول الله ﷺ يوم فتح مكة .

٨- من خصائص رسول ﷺ أن القتال بمكة أحل له ساعة من نهار فقط يوم فتحها .

٩- دخل رسول الله ﷺ مكة فاتحاً لها في السنة الثامنة للهجرة، بعد أن هاجر منها إلى المدينة، وأعلن يوم الفتح كثيراً من المبادئ الإسلامية، ومنها:

أ- إعلان التوحيد لله سبحانه وتعالى، وإحلاله محل الشرك .

ب- أن التفاضل بين الناس بالتقوى، فلا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى .

ج- كما أعلن ﷺ عفوهُ وصفحه وتسامحه عن بني قومه الذين آذوه وطرده، وجعل هذا المبدأ - أي العفو - مبدأً عظيماً يسير عليه العظماء، قال لهم ﷺ: « أقول لكم كما قال يوسف لإخوته : لا تثريب عليكم اليوم، اذهبوا فأنتم

الطلقاء» (٢).

د- إعلاء الحق على الباطل، وصاحب الحق هو المنتصر وإن طال الزمان : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (٣).

(١) آية ٢٥ من سورة الحج .

(٢) أخرجه ابن هشام في السيرة ٢/٤١٢ ، وثبت تسمية هذه الفئة بالطلاق في صحيح مسلم ٢/٧٣٦ رقم (١٠٥٩) في إحدى رواياته .

(٣) آية ٨١ من سورة الإسراء .



- س ١: ما معنى الكلمات الآتية : (الهجرة ، النية ، يُعَضد) .
- س ٢: ما سبب الهجرة من مكة إلى المدينة ؟ وهل هي باقية إلى اليوم ؟ وضح ذلك .
- س ٣: اذكر بعض خصائص مكة المكرمة .
- س ٤ ما المبادئ التي أعلنها الرسول ﷺ يوم الفتح ؟
- س ٥ : اذكر خمساً من فوائد الحديث .

الحديث السادس عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس ». قال : « تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحملة عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة »، قال : « والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة ». رواه البخاري ومسلم^(١).

التعريف بالراوي :

سبق التعريف به في الحديث الثالث .

المباحث اللغوية

| معناها | الكلمة |
|--|-----------------------|
| هو في الأصل : اسم لبعض العظام الصغار في الإبل، ثم عبر بها عن العظام في الجملة بالنسبة إلى الآدمي وغيره. | سلامى |
| والمراد بقوله : « كل سلامى من الناس عليه صدقه » أي : على كل عظم من عظام بني آدم صدقة. | كل يوم تطلع فيه الشمس |
| المراد أن الصدقة على ابن آدم من هذه الأعضاء في كل يوم من أيام الدنيا، والمراد باليوم إذا أطلت : اليوم والليلة، وقد يراد به مجموعة أيام اشتركت في صفة، كما يقال : يوم الخندق. | تعدل بين الاثنين |
| العدل ضد الجور، والمراد هنا : تعدل بين اثنين في الحكم بينهم، أو في الإصلاح. | |

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الجهاد ، باب فضل من حمل متاع صاحبه في السفر ٦ / ٨٥ برقم (٢٨٩١) ، وأخرجه مسلم ، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على نوع من المعروف ٢ / ٦٩٩ برقم (١٠٠٩) .

صدقة الأصل في الصدقة : تحقيق شيء بشيء وعضده به، وهي في الشرع : حق واجب في مال الغني لطائفة مخصوصة.

ولا فرق بينها وبين الزكاة المفروضة إلا أن استعمالها غلب على صدقة التطوع.

أما المراد بها هنا : الفلوات والأجر، فالعدل بين الاثنين مثلاً - صدقة، يعني فيها أجر وثواب.

وتميط الأذى تزيل الأذى الواقع في طريق الناس من الزجاج والأوساخ وغيرها.

الأحكام والتوجيهات :

- ١- نعم الله سبحانه وتعالى على عباده كثيرة لا تعد ولا تحصى، ومن أعظمها نعمة الخلق والتكوين والإيجاد، فقد أوجدك الله من العدم، وخلقك في أحسن تقويم، وصورك فأحسن صورتك، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَكْفُرُ مِنْ نِعْمَةٍ مِنْ اللَّهِ ﴾ (١)، وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَزَمَكُمُ اللَّهُ الْكُفْرَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّنْ نَّعْمَتِهِ فَعَدَّكُمْ لِلْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (٢).
- ٢- يخبرنا الرسول ﷺ أن تركيب العظام وسلامتها من أعظم نعم الله تعالى على عبده، فيحتاج كل عظم منها إلى صدقة يتصدق ابن آدم عنه ليكون ذلك شكراً لهذه النعمة، قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٣). قال سبحانه ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٤).
- ٣- بين الرسول ﷺ في هذا الحديث أن على ابن آدم أن يشكر الله تعالى بالتصدق عن أعضائه في كل يوم من أيام الدنيا، ثم بين الرسول ﷺ سبيل الشكر بالأمثلة التي ذكرها في الحديث .
- ٤- قال أهل العلم : الشكر درجتان :
 - أ- شكر واجب، وهو أن يأتي المسلم بالواجبات، ويتجنب المحرمات .
 - ب- شكر مستحب، وهو أن يعمل العبد- بعد أداء الفرائض واجتناب المحرمات- بنوافل الطاعات .
- ٥- من الأعمال التي يؤجر عليها صاحبها، ويشكر ربه بها الإصلاح بين الناس، وعمل ما يجلب المودة والمحبة والألفة، ويزيل الخلاف والشحناء والبغضاء.

(١) آية ٥٣ من سورة النحل .

(٢) آية ٢٣ من سورة الملك .

(٣) الآية ٦٠ من سورة الانفطار .

(٤) الآية ٧٨ من سورة النحل .

٦- مساعدة الآخرين وإعانتهم على قضاء حوائجهم، والمشي بحقوقهم وإنظار معسرهم، وغيرها مما نفعها متعدّد للآخرين من أفضل الأعمال وأكثرها أجراً، قال تعالى: ﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ اتَّبِعْنَا إِنَّ اللَّهَ قَسُوفٌ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١).

٧- سخر الله سبحانه وتعالى للإنسان نعماً كبرى، ومنها جوارحه التي من خلالها يقوم بشؤونه في هذه الحياة، والناطق عن هذه الجوارح هو اللسان الذي يتكلم به، فإذا استعمله في طاعة الله تعالى كان أجراً وثواباً، ولذا قال رسول الله ﷺ في هذا الحديث: «**والكلمة الطيبة صدقة**» ويدخل فيها: تعليم العلم، وإقراء القرآن، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإرشاد الضال، والسلام، ورده وتشميت العاطس، وغير ذلك.

٨- لعظم أمر الصلاة وعلو مكانتها، ورفعة منزلتها كانت الخطوات التي يمشيها المصلي لأداء صلاته أجراً وثواباً، ففي كل خطوة يمشيها المصلي إلى المسجد صدقة.

٩- المسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، فيحاول أن يدخل السرور إلى قلبه، ويزيل كل ما يؤذيه من الأشياء الحسية والمعنوية، ومنها إمطة الأذى عن طريقه، سواء كان حجراً أو زجاجاً أو أوساخاً أو مسامير وغيرها، قد جعل الرسول ﷺ هذا العمل من شعب الإيمان، فقال ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة**، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق»^(٢).

١٠- هذه الأعمال المذكورة في الحديث أمثلة لما ينبغي أن يقوم به المسلم ليؤدي شكر الله تعالى، وقد جاء في روايات أخرى للحديث أعمال أخرى، ومنها: ذكر الله تعالى، وحمده، وتسبيحه وتهليله، وتكبيره، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإعانة ذي الحاجة الملهوف، والحمل على الضعيف، وهداية الأعمى، وغيرها.

١١- جاء في نهاية رواية عند المسلم - رحمه الله - عن أبي ذر رضي الله عنه: «... ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»^(٣) وهذا يدل على عظم الصلاة عموماً، وصلاة الضحى بخاصة، قال أهل العلم: إنها كانتا مجزئتين عن ذلك كله؛ لأن في الصلاة استعمال الأعضاء كلها في الطاعة والعبادة، فتكون كافية في شكر سلامى هذه الأعضاء^(٤).

(١) آية ١١٤ من سورة النساء.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان ٦٣/١ برقم (٣٥).

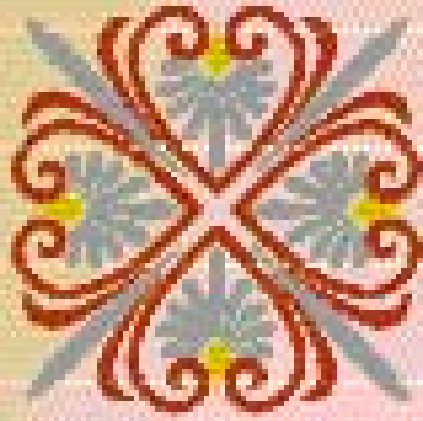
(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة الضحى ٤٩٩/١ رقم (٧٢٠).

(٤) ينظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب ص ٢١٦. حديث رقم (٢٦).

الأسئلة



- س ١: ما المراد بقوله : (كل سلامى من الناس عليه صدقة) ؟
- س ٢: دلّ الحديث على وجوب شكر نعم الله تعالى ، كيف استفدت هذا من الحديث ؟
- س ٣: جاء في رواية أخرى عمل شيء يجزئ عما ذكر في الحديث ، اذكر ذلك مع الدليل .
- س ٤: اذكر بعض فوائد الحديث .



ثانياً: الثقافة الإسلامية



حقوق الراعي والرعية

حاجة الناس إلى الاجتماع :

خلق الله تعالى الناس، وجعل بعضهم مرتبباً ببعض في معاشهم وحياتهم، وجعل من حكمته سبحانه أن البشر بحاجة إلى من يسوسهم ويتولى أمرهم، ويقوم على شؤونهم، ولا تصلح حالهم ولا تستقيم حياتهم إلا بتنظيم أمورهم التي يراها ويقوم بها إمامهم وولي أمرهم. وكلما اتسعت رقعة هذا المجتمع ازدادت الولايات الصغرى التي تحت الولاية الكبرى. فإذا لم يكن للمجتمع قائد يتولى أمره، وإمام يطاع ويسمع، آل أمر هذا المجتمع إلى فرقة وتناحر، واختلاف وشقاق، وهكذا كانت المجتمعات قبل الإسلام على ضعف في تلك الإمارات وتنوع واختلاف، فجاء الإسلام فنظم الواقع تنظيمًا دقيقاً، وحوله من عادات وأعراف إلى دين يدينون به، فجعل للإمام حقوقاً على الرعية، وللرعية حقوقاً على الإمام، بكل دقة وتفصيل ليس له مثيل في أنظمة البشرية كلها، ولم تسعد البشرية كما سعدت في عصور الإسلام المختلفة التي انتظم فيها أمر الراعي والرعية.

المراد بالراعي :

الراعي هو الإمام، سواء كان صاحب الولاية الكبرى، أو من تكون له ولاية يفوضها له الوالي الأول، مهما صغرت، فالوزير وال، ووكيله وال، والمدير وال، وهكذا حتى المسافرون إذا أمروا واحداً عليهم فهو وال. عن ابن عمر- رضي الله عنهما - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيته، والخادم في مال سيده راع ومسؤول عن رعيته »^(١). فجعل الرسول ﷺ كل من عليه مسؤولية راعياً، ومسؤولاً عن رعيته.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن ٢/ ٣٨٠ رقم (٨٩٣)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل ٣/ ١٤٥٩ برقم (١٣٢٩).



لكي ينتظم أمر الرعية ويقوم شأنها وتستقيم حياتها لا بد أن تقوم بحقوق الراعي حق قيام، وهي :

١- السمع والطاعة :

والمراد بها الانقياد له والتنفيذ لأمره، والانتهاز عما ينهى عنه ما لم تكن في معصية الله تعالى. وقد جاءت النصوص الكثيرة في ذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١). وهذه الطاعة تكون في جميع أحوال الإنسان، من العسر واليسر، والمنشط والمكره، وفي حال المحبة والكره، ومهما كان الوالي.

أخرج البخاري وغيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبه»^(٢).

وأخرج مسلم وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك»^(٣). وروى الشيخان عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٤).

وهذه الطاعة لها أجر وثواب، إذ هي من طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، روى الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصي الأمير فقد عصاني»^(٥).

٢- الاجتماع على الوالي :

من أهم الحقوق : الاجتماع على الوالي ، عدم الفرقة والاختلاف عليه ، فالاجتماع رحمة ، والفرقة شرّ وكلما

(١) آية ٥٩ من سورة النساء .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب صلاة الجماعة ، باب إمامة العبد والمولى ١٨٤ / ٢ برقم (٦٩٣).

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ... ١٤٦٧ / ٣ برقم (١٨٣٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية ١٢١ / ١٣ برقم (٧١٤٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٤٦٩ / ٣ (١٨٣٩).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأحكام ، باب وجوب أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ١١١ / ١٣ برقم (٧١٣٧) ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٤٦٦ / ٣ برقم (١٨٣٥).

اجتمعت الأمة على الوالي قويت شوكتها، وشاع الأمن فيها، واطمأن الناس، وهابها أعداؤها، واستقام أمرها، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: كان الناس يسألون رسول صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال «نعم» فقلت هل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «نعم وفيه دخن»، قال: قلت: وما دخنه؟ قال: «قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر»، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها»، فقلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟ قال: «نعم، قوم من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا»، قلت: يا رسول الله، فما ترى إذا أدركني ذلك؟ قال: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» فقلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعصَّ على أصل شجرة حتى يدركك الموت، وأنت على ذلك»^(١).

٣- النصره والجهد معه والدعاء له :

وهذا من حقوق الوالي، إذ إنه من مقتضى السمع والطاعة، والاجتماع عليه أن يجاهدوا معه ولا يخذلوه، وأن يدعو له بالصالح والتوفيق والتسديد، ففي ذلك مصلحة الأمة بأفرادها ومجموعها، قال الطحاوي الحنفي رحمه الله: «والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، برّهم وفاجرهم؛ إلى قيام الساعة، لا يبطلها شيء ولا ينقضها»^(٢).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام؛ لأن به صلاح الرعية، فإذا صلحت أمن العباد والبلاد»^(٣).

٤- النصيحة له :

وهذا من أجل الحقوق، إذ بها يكمل الخير، ويتعاون الجميع على البر والتقوى، أخرج مسلم وغيره، عن تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدين النصيحة» ثلاثاً، قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ١٣/ ٣٥ برقم (٧٠٨٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣/ ١٤٧٥ برقم (١٨٤٧).

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٨٧.

(٣) انظر ترجمته في: البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٧ (أحداث سنة ١٨٧).

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة ١/ ٧٤، برقم (٥٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويسخط لكم ثلاثاً يرضى لكم : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ... » الحديث (١) .

٥- عدم الخروج عليه :

ولا شك أن مقتضى الاجتماع عليه والطاعة له : عدم الخروج عليه أو منابذته بالسيف وغيره ، ولو كان جائراً ، لما يترتب على الخروج عليه من المفاصد العظيمة كالتفرقة والتشتت ، وعدم الأمن والطمأنينة ، وغير ذلك ، وقد تقدم ما يدل على ذلك من حديث حذيفة وغيره .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ قال : « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإن من فارق الجماعة شراً فإت فميتة جاهلية » (٢) .

وروى مسلم عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ « خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ، ويصلون عليكم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم » فقلنا : يارسول الله ، أفلا نناذبهم بالسيف عند ذلك ؟ قال : « لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ألا من ولي عليه وإل فرآه يأتي شيئاً من معصية الله ، فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزع يدا من طاعته » (٣) .

حقوق الرعية :

١- الحكم بينهم بشرع الله :

من حقوق الرعية أن يحكم الراعي بينهم بما أنزل الله ، وأن يطبق شرع الله سبحانه وتعالى ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَ لَهُمْ إِنَّ فَتْنَهُمْ أَلْحَدٌ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ﴾ (٤) .

ولا شك أن الحكم بشريعة الله تعالى يورث الأمن والأمان ، والطمأنينة والسلام ، والعدل والإخاء ، والمحبة والمودة ، ويجمع الناس على الحق والهدى والنور .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأفضية ، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ٣/ ١٣٤٠ رقم (١٧١٥) ، وأخرجه مالك في الموطأ ٢/ ٩٩٠ .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ (سترون بعدي أموراً ...) ٥/ ١٣٣ رقم (٧٠٥٤) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ٣/ ١٤٧٧ رقم (١٨٤٩) .
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب خيار الأئمة وشرارهم ٣/ ١٤٨١ رقم (١٨٥٥) .
(٤) آية ٤٩ من سورة المائدة .

٢- النصح للرعيّة :

من حق الرعية أن ينصح لهم الراعي في كل أموره، ويجتهد في ذلك ويبدل وسعه وطاقته. روى الشيخان عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة »^(١).

٣- الرفق والرأفة بهم :

وهذا أمر مهم، وبه تأتلف القلوب، وتقرب النفوس، وتفشو المحبة، وتصفو الأفتدة، وتتناصح الأمة راع ورعية؛ روى مسلم وغيره عن عائشة - رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اللهم من ولي من أمّتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمّتي شيئاً فرفق بهم فرفق به »^(٢).

٤- إقامة العدل فيهم :

وهذا لا يقل عما قبله في الأهمية والضرورة، فما فشا العدل في أمة إلا وانتشر الخير وعم في أرجاء الأرض، وتكاثر، وازداد ونما، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ... ﴾ الآية^(٣). وقال سبحانه ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ... ﴾ الآية^(٤).

آثار القيام بحقوق الراعي والرعيّة :

عندما نظّم الإسلام العلاقة بين الراعي والرعية على هذه الأسس المتينة والثوابت المستقرة، أراد للأمة المسلمة أن تكون أمة متميزة بين الأمم في علاقتها وأمنها ورخائها وتعاونها. ويمكن أن نذكر بعض الآثار الإيجابية للقيام بهذه الحقوق :

- ١- في ذلك الأجر العظيم والثواب الجزيل، إذ إن الجميع ماجورون؛ لأنهم نفذوا أوامر الله تعالى.
- ٢- في تلاحم الرعية مع الراعي تمكين لقوة الأمة وعزها ورفعته بين الأمم، فالأمة المتلاحمة يهابها أعداؤها، ويخشون قوتها.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأحكام ، باب من استرعى رعية فلم ينصح ١٣/ ١٢٧ ، برقم (٧١٥٠) ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان ، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار ١/ ١٢٥ برقم (١٤٢) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ٣/ ١٤٥٨ برقم (١٨٢٨) .

(٣) آية ٩٠ من سورة النحل .

(٤) آية ٥٨ من سورة النساء .

- ٣- اتجاه الأمة للبناء والتنمية ، وانشغالهم بما يصلح حالهم، ويطور حضارتهم ، ويميزهم بين الأمم .
- ٤- في هذه العلاقة المتينة ينتشر الأمن والرخاء، ويعم الخير والنفع سائر أرجاء البلاد، فما بليت أمة بأعظم من الفرقة والشحناء والاختلاف .
- ٥- في تعاون الرعية والراعي عدم نفاذ الأعداء في صفوفهم، فلا ينفذ عدو إلا بضعف مقابله ، كما هي سنة الله تعالى في خلقه .

الأسئلة



- س ١ : ما المراد بالراعي ؟ مستدلاً على ما تقول .
- س ٢ : من حقوق الراعي عدم الخروج عليه، ما المراد بذلك ؟ وما حكمه ؟ ذكراً بعض الأدلة عليه .
- س ٣ : اذكر ثلاثة من آثار القيام بحقوق الراعي والراعية .

تكريم الإسلام للمرأة ، وخطورة الاختلاط

المرأة في الجاهلية القديمة :

كان الناس قبل بعثة محمد ﷺ في جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، تسودهم الفوضى في كل شيء ، فوضى في الاعتقاد والسلوك ، فوضى في التعامل والأخلاق ، وفي جميع شؤون الحياة كلها ، فليس هناك نظام سائد تقوم عليه تلك المجتمعات سوى بعض الأعراف والتقاليد والمصالح الخاصة. ومن الصور الكالحة في ذلك المجتمع الجاهلي : موقفهم المشين من المرأة، فقد كانت تعيش واقعاً مؤلماً، وحياةً تعيسة، حقوقها ساقطة، وواجباتها فوق طاقتها، لا حق لها في الحياة ولا بعد الممات، وهذه بعض الأمثلة على ذلك :
أ- من حيث النظر إليها، فنظرة بؤس وتعاسة من حين ولادتها، بل قبل أن تولد يكون الأب على أحرّ من الجمر بانتظار المولود أهو ذكر يفرح به ويمرح، أو هو أنثى يضيق بها صدره ويسود وجهه، فإذا بُشّر بها أظلمت الدنيا في وجهه، واستحى أن يواجهها قومه.

ب- ما يفعله بعضهم عندما يولد له أنثى من دنفها وهي حيّة ، أو يبقيها على هون ومذلة ويصوّر ربنا جل وعلا هذين الموقفين بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٥﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِذَلِكَ أَيَسْكَبُ عَلَىٰ هُونٍ أَن رَّيْدَسُهُ فِي التَّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٦﴾ . ويقول سبحانه : ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿١٧﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (٢).

ج- أما من جهة حقوقها المالية فلا يقل عن سابقه ذلاً واحتقاراً، ومن ذلك أنها لم يكن لها حق في الميراث مطلقاً ، وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل جُعِلت هي متاعاً ومالاً يورث بعد موت زوجها .

د- وإذا كانت زوجة فهل لها أن تفكر في حقوقها الزوجية ، هذا بعيد عنها ، فكيف يكون ذلك وهي تورث، فيرثها أبناء زوجها أو أقاربه ، فمن شاء منهم نكحها ، أو عضلها فمنعوها النكاح، وجاء الإسلام فنهى عن ذلك كله، فقال تعالى : ﴿ يَدَّأَيْبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَأَ يُحِيلَ لَكُمْ أَن تَرثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَمْسُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءِ أَيْسُمُوهُنَّ ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٤) .

(١) آية ٥٨ . ٥٩ من سورة النحل . (٣) آية ١٩ من سورة النساء .

(٢) آية ٩٠ . ٨ من سورة التكاوير . (٤) آية ٢٢ من سورة النساء .

هـ- أما الاحترام والتقدير وما يتبع ذلك فهذا مما لا تفكر فيه، ولا يحصل لها، فامرأة تدرس في التراب صغيرة، ومتاع إن بقيت، وليس لها حق في الحياة، فأى معيشة عاشتها تلك المرأة؟! (١).

المرأة في الإسلام :



جاء الإسلام والمرأة على هذه الحال المخزية، فانتشلها من واقعها المنحط وحياتها المشينة إلى ما فيه عزها وتشريفها وتكريمها ومعرفة مكانتها طفلة صغيرة محبوبة، وبتأ يافعة، وأختاً محترمة، وزوجة ودودة، وأماً حنونة مكرمة، ويبرز تكريم الإسلام للمرأة في جميع شؤون حياتها منذ ولادتها، وحتى بعد وفاتها، ومن صور التكريم :

أ- خلق الله الخلق، وكلفهم بعبادته، وجعلهم مسؤولين عن ذلك رجالاً ونساءً، ولم يفرق بينهم، ورتب الجزاء على التكليف، قال تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا لَّيَجْزِيْهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيْرًا ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَطْلَمُوْنَ فِيْهَا﴾ (٢).

ب- من حكمة الله تعالى - وهو العليم بخلقه - أن جعل لكل جنس منهم سمات تغلب عليه، وصفات تظهر عليه، فالعاطفة الجياشة، والإحساس الرقيق، والتأثر السريع من صفات المرأة الجبلية ولذا جعل الله سبحانه التكليف مناسباً لصفاتها، فلم يكلفها بما لا تطيق، وجعل للرجل القوامه عليها بمقتضى تكليفه وصفاته التي ميزه الله بها، فلله الحكمة البالغة .

ج- عظم الأجر برعايتها صغيرة محبوبة، روى مسلم، عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من عال جاريتين حتى تبلغنا ، جاء يوم القيامة أنا وهو »، وضم أصابعه (٣).

د- أرشد الإسلام إلى ضرورة تربيته منذ الصغر على الدين والأخلاق والطهر والعفاف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مروا أولادكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع » (٤).

(١) ما ذكر من هذه الصور عن العرب كانت موجودة في كثير منهم على تفاوت بينهم فيها .

(٢) آية ١٢٣ . ١٢٤ من سورة النساء .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الإحسان إلى البنات ٤/ ٢٠٢٧ برقم (٢٦٣١) .

(٤) أخرجه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ١/ ١٨٧ ، برقم (٤٩٥) ، وأخرجه الترمذي ، كتاب الصلاة ، باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة

٢/ ٢٥٩ ، برقم (٤٠٧) .

هـ- ولأهمية حياتها مع زوجها أمر الإسلام باستشارتها فيمن تقدم لخطبتها ، وحدد معالم من يقبل وهو الدين والخلق ، قال ﷺ : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض »^(١) .

و- أمر بتكريمها ورعايتها من قبل زوجها ، عن النبي ﷺ أنه قال : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي »^(٢) وقال ﷺ : « استوصوا بالنساء خيرا، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج »^(٣) .

ز- أما كونها أمًّا فقد أوجب لها من الحقوق ما لا يخطر على نظام بشري قديماً وحديثاً ، ويكفي أن الله سبحانه جعل حقها بعد حقه جل وعلا فقال : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَيَا آلَٰدِينَ احْسَبْنَ أَنَّمَا نَبَلِّغُنَّ عَنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا فِي وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿١٩﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَارِيَائِي صَغِيرًا ﴾^(٤) .

للمرأة شخصيتها المتميزة في الإسلام :

كرم الإسلام المرأة واعتبر لها شخصية تميزها عن غيرها ، وأمرها أن تحافظ عليها ، وذلك بأمر منها :

أ- أمر الإسلام بحجابها ، بأن تغطي جميع جسمها عن الرجال الأجانب عنها ، لئلا تصيبها السهام الخفية فتخدش عفتها وطهرها ، قال تعالى : ﴿ بَاتِيَاتٍ لُّبِّي قُلْ لِرِجَالِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْرِكُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَعْرِفْنَ قُلُوبَهُنَّ وَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَافُوًّا رَحِيمًا ﴾^(٥) وقال تعالى : ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُجُوبِهِنَّ ﴾ الآية^(٦) .

ب- حرّم الإسلام خلوة الرجل - غير المحرم - بالمرأة ، حتى ولو كان قريبا كابن العمّ وابن الخال وأخي

(١) أخرجه الترمذي ، كتاب النكاح ، باب ماجاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه ٣/ ٣٩٤ برقم (١٠٨٤) ، وابن ماجه برقم (١٩٦٧) من حديث أبي هريرة وأعله الترمذي بالانقطاع ، ثم ذكر له شاهداً من حديث أبي حاتم المزني الصحابي رضي الله عنه ، وحسنه برقم (١٠٨٥) وحسنه الألباني في إرواء الغليل ٦/ ٢٦٦ .

(٢) أخرجه الترمذي كتاب المناقب ، باب فضل أزواج النبي ﷺ ٥/ ٦٦٦ برقم (٣٨٩٥) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب النكاح ، باب المداراة مع النساء ٩/ ٢٥٣ ، برقم (٥١٨٦) ، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ٢/ ١٠٩١ برقم (١٤٦٨) .

(٤) الآيات ٢٣- ٢٤ من سورة الإسراء .

(٥) آية ٥٩ من سورة الأحزاب .

(٦) آية ٣١ من سورة النور .

الزوج ونحوهم ، قال رسول الله ﷺ : « **إياكم والدخول على النساء** » ، فقال رجل من الأنصار : أفأرأيت الحموي يا رسول الله ؟ قال : « **الحموي : الموت** »^(١) والحموي : قريب الزوج .

ج - مكان المرأة بيتها ، وهو وظيفتها ، وميدان عملها ، ومحل مسؤوليتها ، به تحفظ بصرها ، وتربي أطفالها ، وتقوم بشؤون زوجها ، وترعى مسؤوليتها ، جاء في الحديث الصحيح : « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** ، فالإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيته ، والخادم في مال سيده راع ومسؤول عن رعيته »^(٢) .

وقال تعالى : « **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** »^(٣) ، ولا يعني هذا أنها لا يجوز لها العمل مطلقاً ، بل لها أن تعمل في الميادين الخاصة بها ، كالتدريس للنساء ، والتطبيب لهن ، والرعاية الاجتماعية لهن ونحوها بالضوابط الشرعية .

د - عند خروجها من منزلها ينبغي أن تتأدب بأداب الخروج ، ومنها محافظتها على حجابها ، وسترها ، وحشمتها ووقارها ، وألا تخرج إلا للحاجة ، وتخرج غير متعطرة ولا متمزينة ، روى أبو داود وغيره أن رسول الله ﷺ قال : « **إن المرأة إذا استعطرت فمرّت بالمجلس فهي كذا وكذا** »^(٤) يعني زانية . كل ذلك لأجل ألا يجد الشيطان مدخلاً لقلبها أو قلوب الرجال .

هـ - عند محادثتها للرجال الأجانب عنها ينبغي ألا تكون هذه المحادثة إلا لأمر ضروري أو حاجة وبأدب وعدم ليونة في الكلام أو تكسّر ، يقول تعالى : « **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْجُوا أَنْ يَمْسَسَكُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا لَا يَمْسَعُونَ أَيْدِيَكُمْ وَأَقْرَابُكُمْ وَلَا تَأْتُوا بِلِقَاءِ غَيْرِكُمْ إِلَّا أَنْ تَنْقُضُوا الْعَهْدَ وَلَا يَكُونُوا لَكُمْ رُجُومًا** »^(٥) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب لا يخلون رجل بامرأة / ٩ / ٣٣٠ برقم (٥٢٣٢) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب تحريم الخلوة بالأجنبية ٤ / ١٧١١ برقم (٢١٧٢) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ٢ / ٣٨٠ ، وأخرجه مسلم ، كتاب الإمامة ، باب فضيلة الإمام العادل ٣ / ١٤٥ برقم (١٨٢٩) .

(٣) آية ٣٣ من سورة الأحزاب .

(٤) أخرجه أبو داود ، كتاب الترجل ، باب ما جاء في المرأة تتطيب للخروج ، ٢ / ٤٧٨ برقم (١٤٧٣) ، وأخرجه الترمذي ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة ٥ / ٩٨ برقم (٢٧٨٦) .

(٥) آية ٣٢ من سورة الأحزاب .



مما سبق عرفنا تميّز المرأة في الإسلام بشخصيتها التي أرادها الله لها ، ولذلك ما أن تختل هذه الشخصية إلا وتقع أضرار ومفاسد كبرى .

ومن أهم الوسائل النافذة لاختلال هذه الشخصية اختلاط المرأة بالرجل الأجنبي عنها - أي غير محرّمها - اختلاطاً يكون فيها خلوة بينهما من غير محرّم معها ، وهذا الاختلاط وقعت فيه المرأة الكافرة في الشرق والغرب ، فانحطت في أحوال الفساد والرذيلة ، فصارت سلعة رخيصة بين ذئاب البشر ، وامتّهن ، عرضها، ولوثت كرامتها ، وأبرزت دعاية في المتاجر والأسواق ، وتكدر صفاؤها بدخان المصانع وغيرها وابتذلت عفتها ، هذه حال المرأة الكافرة إجمالاً ، والسبب الرئيس في ذلك هو ابتعادها عن منهج الله تعالى واختلاطها بالأجانب عنها في المعامل والمصانع والمتاجر وغيرها . ويمكن تلخيص هذه الأضرار والمفاسد على المرأة والمجتمع بما يلي :

أ- الخروج عن منهج الله تعالى المبني على حكمته جل وعلا في خلق كل من الجنسين بصفات تختلف عن الآخر، فيتحمّل ما لا يستطيع تحمّله ، فيختل نظام الحياة كله .

ب- لا شك أن الاختلاط يحرك في النفس كوامن الغريزة الجنسية ، ويشعل نار الشهوات الجاحمة ، ويغري كلا الجنسين بالآخر ، فيرخي العنان للشهوة التي لا حدود لها ، فيصبح كلٌّ منهما أسيراً لشهوته .

ج- انسياق الإنسان لشهوته الجاحمة يضر بقواه العقلية والفكرية ، ويفقده الصفات القوية من الصبر والجلد والتحمّل .

د- يؤدي الاختلاط إلى قيام علاقات غير شرعية بين الرجل والمرأة ، ومن ثم تنتشر الأمراض الفتاكة في المجتمع ، كالإيدز وغيره ، مما هو منتشر في المجتمعات المختلطة .

هـ- سير الإنسان وراء شهوته الناتجة عن اختلاط الجنسين يحول المجتمع إلى مجتمع لهو وعبث ومجون وخلاعة .

و- انتشار الطلاق والفراق بين الزوجين ؛ لأن كلا منهما يجد سبيلاً لقضاء شهوته في مكان آخر ، ولا يأسى على زوجه ؛ لاتخاذ الأعداء من الأصدقاء والخليلات .

ز- تفكك الأسرة ، وضياع الأولاد ، وعدم تربيتهم والقيام على شؤونهم .

وأخيراً نحمد الله سبحانه وتعالى الذي منّ علينا بهديه القويم الذي فيه صيانة للأعراض ، وحماية للأخلاق ، ومحافظة على النسل ، واستقامة في أمور الحياة بعامة .

الأسئلة



- س ١ : اذكر بعض الصور الكالحة لنظرة الجاهليين قبل الإسلام إلى المرأة ؟
- س ٢ : شخصية المرأة في دين الله متميزة ، وضح ذلك .
- س ٣ : حرم الإسلام الاختلاط بين الذكر والأنثى ، فما السبب في ذلك ؟ مع ذكر بعض الأدلة .
- س ٤ : حجاب المرأة المسلمة من أعظم خصائصها ، ما معنى هذه الجملة ؟
- س ٥ : للاختلاط أضرار واضحة ، بين أربعة منها ؟

حقوق الزوجين

الزواج رباط وثيق بين الزوجين ، يحبّ الله بقاءه ، ويكره انقطاعه ، قال تعالى في حق الزوجين : ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^(١) ولذلك شرع للزوجين حقوقاً إن تمسكا بها فإن ذلك - بإذن الله تعالى - مؤذن باستمرار الحياة الزوجية وسعادتها . والأصل الجامع لهذه الحقوق هو قوله تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللِّرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ﴾^(٢) . فبين سبحانه وتعالى في هذه الآية لكلا الزوجين على الآخر حقوقاً ، وأن الرجل يزيد عليها بأن له حقّ الطاعة والقوامة ونحو ذلك ، ونحن نذكر هنا أهم هذه الحقوق ، وهي أنواع :

أولاً : الحقوق المشتركة :

١- المعاشرة بالمعروف :

المعاشرة : المخالطة ، وأكثر شخصين تحصل بينهما المعاشرة والمخالطة الزوجان ، فلكي تستمر الحياة الزوجية بينهما لا بد من حسن الخلق بينهما ، والاحترام المتبادل ، والتلطف في الخطاب ، والممازحة والملاعبة ، والتجاوز عن الزلات ، وألا يأتي أحدهما ما يؤدي الآخر في نفسه أو أهله كوالديه أو غيرهما . ودليل هذا الحق قوله تعالى : ﴿وَعَايِشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٣) . وقوله ﷺ : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي »^(٤) .

والمعاشرة بالمعروف كلمة جامعة قد يدخل فيها كل ما يأتي بعدها من حقوق .

٢- الاستمتاع :

وما يتبع ذلك من التجمّل والتطيّب ، وإزالة الروائح الكريهة ، والملابس المتسخة ، ونحو ذلك ، فالمشروع لكلا الزوجين مراعاة ذلك ، وهذا داخل في المعاشرة بالمعروف ، وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : «إني لأحب أن أتزيّن للمرأة كما أحب أن تتزيّن لي»^(٥) .

(١) آية ٢١ من سورة النساء . (٢) آية ٢٢٨ من سورة البقرة . (٣) آية ١٩ من سورة النساء .

(٤) رواه الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فضل أزواج النبي ﷺ ٧٠٩/٥ رقم (٣٨٩٥) ، وقال : حسن غريب صحيح ، وابن ماجه في النكاح ، باب حسن معاشره النساء ٦٣٦/١ رقم (١٩٧٧) .

(٥) عن تفسير ابن كثير ، تفسير الآية ٢٢٨ من سورة البقرة .

وفي إقامة هذا الحق بين الزوجين إعفاف لهما عن التطلع إلى ما حرم الله تعالى .
٣- المحافظة على أسرار الزوجية : ومشاكل البيت التي لا يحتاج إلى إظهارها، وستر العيوب ، وبالأخص ما يحصل بينهما من استمتاع ونحوه ، قال رسول الله ﷺ : « **إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة : الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها** »^(١) .

٤- المناصحة بينهما : والتواصي بالحق والصبر عليه ، والتعاون على طاعة الله تعالى ، وهما أحق الناس بتبادل النصيحة بينهما ، ومن ذلك أن تعينه على صلة رحمه ويعينها ، ويتعاونوا في تربية أولادهما التربوية الصالحة ، وهذا داخل في عموم قوله تعالى : « **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّفْيِ** »^(٢) .

ثانياً : حقوق الزوج (واجبات الزوجة) :

١- الطاعة :

فواجب على الزوجة طاعة زوجها إذا توفرت شروط الطاعة الثلاثة :
 أ- أن تكون بالمعروف ، أي في غير معصية الله ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .
 ب- الاستطاعة .
 ج- ألا يترتب عليها ضرر .
 قال تعالى : « **وَالرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ** »^(٣) وقال : « **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** »^(٤)
 وبالطاعة تستقر الحياة الزوجية ، وتستقيم الأسرة ، وقد قال ﷺ في فضل طاعة المرأة زوجها : « **إذا صلّت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحصنت فرجها ، وأطاعت بعلمها ، دخلت من أي أبواب الجنة شاءت** »^(٥) .
 والواجب على الزوج أن يراعي الله في هذا الحق ، فلا يأمرها إلا بما هو خير وحق ، ويتحلى بالخلق الرفيع عندما يأمر وينهى حتى تحصل له الطاعة عن طيب نفس ورضى .

٢- القرار في البيت :

فلا يجوز لها الخروج إلا بإذن زوجها ، إلا في حالة ضرورة ، وقد أمر الله تعالى أفضل النساء بالقرار في

(١) رواه مسلم ، كتاب النكاح ، باب تحريم إفشاء سر المرأة ١٠٦٠ / ٢ رقم (١٤٣٧) ، وقوله : (يفضي إلى امرأته) أي : يصل إليها بالمباشرة والجماع .

(٢) آية ٢ من سورة المائدة .

(٣) آية ٢٢٨ من سورة البقرة .

(٤) آية ٣٤ من سورة النساء .

(٥) رواه ابن حبان ، كتاب النكاح ، باب معاشرته الزوجين ٤٧١ / ٩ رقم (٤١٦٣) .

البيوت ، فقال تعالى مخاطباً أزواج النبي ﷺ ، وبقية المسلمات تبع لهن في ذلك : ﴿ وَقَرْنَ
فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾ (١) .

ولا ينبغي للزوج أن يمنعها مما فيه مصلحة لها ، ولا يترتب عليه مفسدة ، على أن تخرج متحشمة
متحفظة، غير متبرجة ولا مبدية شيئاً من زينتها ، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال لنا رسول الله
ﷺ : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » (٢) .

وعن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود - رضي الله عنهما - قالت : قال لنا رسول الله ﷺ : « إذا
شهدت إحداكن المسجد فلا تمسّ طيباً » (٣) .

٣- أن ترعى بيتها وأولادها ، وتحافظ على مال زوجها ، ولا تكلفه ما لا يطيق ، قال ﷺ : « المرأة راعية
في بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها » (٤) .

٤- أن تحافظ على عرضها وشرفها ، ولا تعرض نفسها للفتنة ، وتقدم في الحديث قول النبي ﷺ :
« وحصّنت فرجها » .

٥- لا تأذن في بيت زوجها لأي شخص لا يريد ، ولا يجب أن يدخل منزله ، ولو كان قريباً لها كأخ
وغيره ، قال ﷺ : « ... ولكم عليهن أن لا يؤطنن فرشكم أحداً تكرهونه » (٥) .

٦- عدم قيامها بصيام التطوع الا بإذن زوجها ، لأن الصيام نافلة والطاعة واجبة فتقدم الطاعة ، يقول
الرسول ﷺ : « لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه » (٦) .

ثانياً : حقوق الزوجة (واجبات الزوج) :



١- المهْر :

وهو واجب للمرأة ، وحق لها وليس لغيرها ، قال تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ (٧) .

(١) آية ٣٣ من سورة الأحزاب .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الجمعة ، باب : ائذنوا للنساء بالليل إلى المساجد (الفتح ٢/ ٣٨٢) رقم (٩٠٠) ، ومسلم ، كتاب الصلاة ، باب خروج النساء إلى المساجد ١/ ٣٢٦ رقم (٤٤٢) .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الصلاة ، باب خروج النساء إلى المساجد ١/ ٣٢٨ رقم (٤٤٣) .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة ، في القرى والمدن ، (الفتح ٢/ ٣٨٠) رقم (٨٩٣) .

(٥) رواه مسلم في حديث جابر الطويل في صفة الحج ٢/ ٨٩٠ رقم (١٢١٨) .

(٦) رواه البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه (الفتح ٩/ ٢٩٥) ، رقم (٥١٩٥) ، ومسلم ، كتاب الزكاة ، باب ما أنفق العبد

من مال مولاه ٣/ ٧١١ رقم (١٠٢٦) .

(٧) آية ٤ من سورة النساء .

٢- النفقة :

فواجب على الزوج أن ينفق على زوجته بالمعروف ، وهذا يختلف باختلاف الأزمنة والامكنة ، وحال الزوجين ، قال تعالى : ﴿ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدِرْ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا أَمَّا أَنْهَآ ﴾ (١) .

٣- الشفقة عليها والرحمة بها وعدم ظلمها ، والصبر عليها :

قال رسول الله ﷺ : « واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن خُلِقن من ضلع ، وأن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً » (٢) .

٤- الغيرة عليها ، وصيانتها ، وتحقيق القوامة عليها :

فإن من طبيعة المرأة أنها ضعيفة ، ولو تُرِكَت دون توجيه ودون الأخذ على يدها فلربما فسدت وأفسدت ، ولذلك حذر الرسول ﷺ من فتنة النساء فقال : « ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء » (٣) . وجاء في الغيرة قوله ﷺ : « أتعجبون من غيرة سعد؟! لأنا أغير منه ، والله أغير مني » (٤) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ومن لا يغار فهو ديوث وقد جاء في الحديث : « لا يدخل الجنة ديوث » (٥) ولهذا كانت الغيرة الواجبة على العبد هي غيرته على أهله ، وأعظم ذلك امرأته ثم أقاربه ومن هو تحت طاعته . أهـ (٦) . وأخيراً فإنه لا يخلو بيت من مشكلات وخلافات ، وهذه طبيعة البشر ، فلا يظن شخص أن بيتاً يصفو من كدر ، أو يخلو من منغصات ، وإذا كان أفضل بيت كان على وجه الأرض لم يخل من ذلك وهو بيت محمد ﷺ (٧) ، فمن باب أولى غيره ، لكن الرجل العاقل يترث في الأمور ، ولا يستعجل فيأخذه الطيش والشيطان ، وتأخذه العزة بالإثم ثم يندم بعد ذلك ، وما جعل الله القوامة بيد الرجل إلا لعلمه بما تميز به من خصائص - كالعقل الحكمة وغيرهما - تمكنه من علاج الأمور بحكمة وروية .

(١) آية ٧ من سورة الطلاق .

(٢) رواه البخاري ، كتاب الحدود ، باب من رأى مع امرأته رجلاً فقتله (الفتح ١٢/١٧٤) رقم (٦٨٤٦) .

(٣) رواه البخاري ، كتاب النكاح ، باب ما يتقي من شؤم المرأة (الفتح ١٢/١٣٧) رقم (٥٠٩٦) .

(٤) رواه البخاري ، كتاب الحدود ، باب من رأى مع امرأته رجلاً فقتله (الفتح ١٢/١٧٤) رقم (٦٨٤٦) .

(٥) رواه الطبراني في الكبير عن عمار (كنز العمال ١٦/١٨) ، ومعمربن راشد في جامعه (مع مصنف عبد الرازق ١١/٢٤٣) وأبو داود الطيالسي ص ٨٩ ، وله شاهد

انظر مجمع الزوائد ٤/٣٢٧ ومختصر إتحاف السادة المهرة للبوصري ٥/١١٥ ، والترغيب والترهيب

٣/٢٥٦-٢٥٧ في الترهيب من شرب الخمر

(٦) الاستقامة لابن تيمية ٢/٧ بتصرف يسير .

(٧) من حادثة إيلائه ﷺ من نسائه شهراً ، بعد أن طالبه بزيادة النفقة ، وارتفعت أصواتهن رضي الله عنهن .

الأسئلة



- س ١ : ما حدّ طاعة المرأة لزوجها؟ وماذا على الزوج أن يراعيه في هذا الحق؟
- س ٢ : تحدّث عن أثر غيرة الزوج على زوجته ومحارمه .
- س ٣ : ماذا على الرجل فعله عندما يحصل في بيته مشاكل وخلافات .

تعدد الزوجات في الإسلام

التعدد قبل الإسلام :

لقد كان تعدد الزوجات شائعاً قبل الإسلام بين مختلف الشعوب والديانات، فعلى سبيل المثال عند اليهودية دلت النصوص على وجود التعدد وإباحته، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة، كلهن تأتي بفارس يقاتل في سبيل الله... » الحديث (١).

وليس في النصرانية ما يُحرّم تعدد الزوجات، وإنما استحسن « بولس » الاكتفاء بزوجة واحدة لرجل الدين تعففاً عن متعة الحياة الدنيا (٢).

أما عند العرب في الجاهلية فالتعدد قائم بما لا حصر له، عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: أسلم غيلان الثقفي وتحتة عشر نسوة في الجاهلية، فأسلمن معه، فأمره النبي ﷺ أن يختار منهن أربعاً (٣).

وعن قيس بن الحارث قال: أسلمتُ وعندي ثمان نسوة، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: « اختر منهن أربعاً » (٤).

ونلاحظ هنا أنه لا حد لعدد الزوجات في المجتمعات والديانات قبل الإسلام.

موقف الإسلام من التعدد :

بعث الله تعالى محمد ﷺ بدين كامل شامل لجميع شؤون الحياة، ومن أهمها: ما يتعلق بالأسرة، فنظم العلاقة فيها تنظيماً فريداً لم يأت قبله ولا بعده مثله، ومن ذلك أنه حث على الزواج، ورغب فيه وشجّع

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ وَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ ﴾ ٤٥٨/٦ رقم (٣٤٢٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الاستثناء ٣/١٢٧٥ رقم (١٦٥٤).

(٢) انظر تعدد الزوجات، لعبد التواب هيكلم، والمرأة بين النفقة والقانون، لمصطفى السباعي ٧١-٧٢.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب النكاح، باب ماجاء في الرجل يسلم وعنده عشر نسوة ٣/٤٣٥ رقم (١١٢٨)، وأخرجه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع ١/٦٢٨، رقم (١٩٣٥).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الطلاق، باب من أسلم وعنده نساء أكثر من أربع ١/٦٨٠، رقم (٢٢٤١)، وأخرجه ابن ماجه، كتاب النكاح، باب الرجل يسلم وعنده أكثر من أربع ١/٦٢٨ رقم (١٩٥٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب قول النبي: من استطاع منكم الباءة ٩/١٠٦ رقم (٥٠٦٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن ٢/١٠١٨ رقم (١٤٠٠).

عليه ، ونادى الشباب بالزواج المبكر لمن استطاعه ، فقال رسول الله ﷺ : « يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » (١) .

ومما وضحه الإسلام في ذلك : موقفه من التعدد ، فجعل من حق الرجل أن يتزوج أكثر من واحدة بشرط ألا يزيد عدد الزوجات عن أربع ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْنِ فَاَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَذُلَّتْ وَرَبْعٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَقْسَبُ الْأَلْوَانِ ﴾ (٢) .
فجعل الله سبحانه وتعالى الإباحة مقيدة بأربع .

ثم إن الله تعالى أوجب العدل بين الزوجات ، فمن لم يستطع العدل أو يخاف الجور والظلم فليقتصر على واحدة ، لأجل أن لا يوقع نفسه في الإثم ، كما تقدم في الآية الكريمة .
والعدل المقصود هنا : فيما يمتلكه الإنسان من المطعم ، والمشرب ، والملبس ، والمسكن ، والمبيت . أما ما يتعلق بالميل النفسي نحو زوجة دون أخرى مما لا يملكه الإنسان ، فلم يكلف الله تعالى عباده به ؛ لأنه لا يُملك ، قال تعالى :

﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ (٣) .
وليس هناك أحرص من رسول الله ﷺ في تحري العدل ، وكان ﷺ يقسم بين نسائه فيعدل ، ويقول :
« اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما لا أملك » (٤) .

العوامل التي تدعو إلى التعدد :

عند التأمل في إباحة الإسلام للتعدد نجد أنه راعى العوامل الفطرية التي خلق الله سبحانه الذكر والأنثى وجبلهم عليها ، كما راعى العوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تعترض أحوال الناس ، ومن ذلك :
أ - خلق الله الرجل ، وجعل لديه الاستعداد للإنجاب في الأحوال العادية من سن البلوغ إلى سن المائة غالباً ، أما المرأة فإن استعدادها لا يتجاوز سن الخمسين ، فلو لم يبيح التعدد لأدى إلى تعطيل استعداد الرجل لوظيفة النسل تلك المدة الطويلة .

ب - من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل بعض الناس عقيماً لا ينجب ، ﴿ وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾ (٥) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب قول النبي : من استطاع منكم الباءة ١٠٦/٩ برقم ٥٠٦٥ ، وأخرجه مسلم في كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن ١٠٦٨ / ٢ برقم (١٤٠٠) .

(٢) آية ٣ من سورة النساء . (٣) آية ١٢٩ من سورة النساء .

(٤) أخرجه الترمذي ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر ٤٤٦/٣ برقم (١١٤٠) ، وأخرجه أبو داود ، كتاب النكاح ، باب القسمة بين النساء ٦٤٨/١ برقم (٢١٣٤) .

(٥) آية ٥٠ من سورة الشورى .

فإذا ظهر عقم الزوجة فلا شك أن بقاءها في كنف زوجها مع زواجه بأخرى عليها - طلباً للإنجاب - خير من طلاقها.

ج - من حكمة الله تعالى أن جعل المرأة تعترضها عوارضٌ فطرية خلقية من الحيض والنَّفاس مما يعوق الجماع، وهذا مما قد لا يحتمله الرجل، فكان التعدد حلاً لهذا العائق .

د - مما اقتضته سنة الله تعالى في الكون أن يقع الصراع بين الأمم، والإسلام حثَّ على الجهاد في سبيل الله نشرًا لدين الله ، ونصرةً لشريعته، وحمايةً لأرضه ، والجهاد يقع على عاتق الرجال ، ومن طبيعة الحروب القتل ، فيموت الكثير منهم ، ويترمل النساء ، ويكثر عددهن ، وبهذا تكون نسبة الرجال أقل من نسبة النساء، فيكون تعدد الزوجات أفضل حل لمنع ضياع النساء وفسادهن .

هذه بعض الحكم والعوامل المقتضية للتعدد، وهذا لا يعني أن الرجل لا يعدد إلا إذا وجدت هذه الحكم أو بعضها، بل له ذلك إذا استعد بالعدل، وقام به، والله سبحانه وتعالى أعلم بما يصلح حال الناس، وما تقوم به حياتهم .

الحكمة من التعدد :

يتبين لنا مما ذكر سابقاً الحكمة في إباحة الإسلام تعدد الزوجات . فالظروف التي ذكرت في العنصر السابق مما هو فطري أو مكتسب جاءت توضح لنا الحكمة العظيمة في هذا التشريع، ذلك أن ما تحدته العوامل السابقة يحتاج إلى علاج لصيانة المجتمع من الخلل والفساد، وإذا تدبرنا الحلول الممكنة وجدنا أنها لا تخرج من الحلول الآتية :

١- أن يكون الاتصال بين الرجال والنساء مشاعاً، لا يعرف الرجل امرأةً بعينها، ولا المرأة رجلاً بعينه، وهذا الحل ترفضه جميع الشرائع والمذاهب، ولم يقل به أحد؛ لما يترتب عليه من الفوضى الأخلاقية، ومحاربة الفطرة البشرية .

٢- أن يكون الزواج بواحدة فقط، وتنشأ من خلاله الأسرة، ويتربى الأطفال، وهذا - عند تأمله - سيبقي أعداداً من النساء بلا زوج ولا بيت، ولا أطفال، ولا أسرة، وحينئذ يحدث أمران :

أ- حرمان عدد من النساء من تلبية الحاجات الفطرية التي خلقهن الله عليها .

ب - ما ينشأ عنه من ممارسات غير أخلاقية تعود بالدمار والهلاك على المجتمع بعامه .

- ٣- أن يكون الزواج بواحدة ، ويتخذ الزوج غيرها من الخليلات ما شاء، وفي هذا انتهاك للعرض، ونبذ للشرف، وإباحية تأتي على بنیان المجتمع من القواعد.
- ٤- أن يكون الزواج بأكثر من واحدة، وفي هذا - مع العدل - تحقيق لحكمة الله تعالى في خلقه للناس، وتطهير للمجتمع من لوثة الجريمة، وتلبية للحاجات البشرية بطرق واضحة نقية، ومحافضة على النسل والشرف.
- وهذا ما شرعه الإسلام؛ لأنه دين الفطرة والواقع، فهو يتوافق مع فطرة الإنسان وتكوينه، ويتوافق مع واقعه وضروراته، وبعد، فله الحكمة البالغة، وهو أحكم الحاكمين.

الأسئلة



- س ١ : ما شرط جواز تعدد الزوجات ؟ اذكر الدليل .
- س ٢ : عدد العوامل التي تدعو إلى تعدد الزوجات .
- س ٣ : ما الحكمة من إباحة الشرع لتعدد الزوجات .

حقوق الأولاد

الأولاد نعمة :

من ثمرات الزواج : إنجاب الأولاد ، الذين هم نعمة من الله سبحانه وتعالى يمنّ بها على من يشاء من عباده ، قال تعالى : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا أَسْلَابًا** ﴾ (١) . ولكي تثمر هذه النعمة ثمرتها اليانعة فقد جعل الإسلام لها حقوقا واجبة على الوالدين ليقوموا بها ، ومنها :

١- التسمية ٣ :

من حق المولود أن يختار له والده الاسم الحسن الذي يكون علماً عليه ، يُعرَف به وينادى به ، والاسم الحسن يكون فالاً حسناً على هذا الابن أو تلك البنت ، وقد غير رسول الله ﷺ بعض الأسماء القبيحة أو التي لها دلالات غير طيبة .

روى البخاري عن ابن المسيب ، عن أبيه ، أن أباه جاء إلى النبي ﷺ فقال : « ما اسمك ؟ » قال حَزْنٌ ، قال : « أنت سهل » ، قال : لا أغير اسماً سبانيه أبي ، قال ابن المسيب : فما زالت الحزونة فينا بعد « (٢) . وعن أبي هريرة ؓ أن زينب كان اسمها : برّه فقيل : تزكّي نفسها ، فسماها رسول الله ﷺ : زينب (٣) .

٢- ثبوت النسب لوالديهم :

وقد اعتنى الإسلام بهذا الأمر غاية العناية ؛ لما يترتب عليه من آثار مهمة من ثبوت الأنساب ، وعدم ضياعها ، وما يتبع ذلك من الحقوق والواجبات الحسية والمادية والمعنوية ، ولذلك قضى على الادعاء والتبني الذي كان معروفاً في الجاهلية ، وحدّد طريق النسب ، وهو الزواج أو ملك اليمين ، قال تعالى :

﴿ **وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ** ﴾ (٤) .

وأمر أن ينسب الأديعاء إلى آبائهم إن عرفوا ، فإن لم يعرفوا فهم إخوان في الدين ، قال تعالى :

﴿ **ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ** ﴾ (٥) .

(١) آية ٤٦ من سورة الكهف . ٣ للاستزادة فيها يتعلق بالتسمية بنظر : رسالة " تسمية المولود " للشيخ : بكر أبو زيد .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب اسم الحزن ٥٧٤ / ١٠ رقم (٦١٩٠) ،

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الأدب ، باب تحويل الاسم الى اسم أحسن منه ٥٧٥ / ١٠ برقم (٦٢٩٢) .

(٤) آية ٤ من سورة الأحزاب . (٥) آية ٥ من سورة الأحزاب .

وحذر الإسلام من انتساب الأبناء إلى غير آبائهم غاية التحذير ، قال النبي ﷺ : « من ادعى إلى غير أبيه ، وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام »^(١) .

وحذر الآباء من جحдан أبنائهم ، قال ﷺ : « أبا رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله تعالى منه ، وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين إلى يوم القيامة »^(٢) .

٣- العقيقة :

والمراد بها : الذبيحة التي تذبح عن المولود ، وهي مشروعة في حق الأب ، وحكمها : سنة متأكدة ، فعلها رسول ﷺ وأمر بها .

والسنة أن يعق عن الغلام شاتان ، وعن الجارية شاة ، تُذبح في اليوم السابع من ولادة المولود ، ويحلق فيه رأس الذكر ، ويتصدق بوزنه فضة أو ما يعادل ذلك من الريالات .

روى الإمام أحمد وغيره عن أم كرز الكعبية - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « عن الغلام شاتان متكافتان ، وعن الجارية شاة »^(٣) . وقد عَقَّ النبي ﷺ عن الحسن والحسين ابنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم^(٤) .

٤- الرضاعة :

ومن حق المولود على والده الرضاعة ، قال تعالى :

﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ وَلا يُولَدُ لَهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُ لَهُ . وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَ الْفِصَالُ أَنْ يُرَاضَ مِنْهُمَا وَفَشَاوِرَ فَالْجُنَاحُ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَالْجُنَاحُ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾^(٥) .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الفرائض ، باب من ادعى إلى غير أبيه ٥٤ / ١٢ برقم (٦٧٦٦) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان من رغب عن أبيه ٨٠ / ١ برقم (٦٣) .

(٢) أخرجه أبو داود ، كتاب الطلاق ، باب التغليظ في الانتفاء ٦٨٨ / ١ برقم (٢٢٦٣) ، والنسائي في العقيقة ، باب كم يعق عن الجارية ١٦٥ / ٧ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٢٢ / ٦ .

(٣) أخرجه أبو داود ، كتاب الأضاحي ، باب العقيقة ١١٦ / ٢ برقم (٢٨٣٤) ، والنسائي في العقيقة ، باب كم يعق عن الجارية ١٦٥ / ٧ ، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤٢٢ / ٦ .

(٤) أخرجه أبو داود ، كتاب العقيقة ، ١١٨ / ٢ برقم (٢٨٤١) ، وأخرجه النسائي ، كتاب العقيقة ، باب كم يعق عن الجارية ١٦٦ / ٧ برقم (٤٢١٩) .

(٥) آية ٢٣٣ من سورة البقرة .

٥- الحضانة :

والمراد بالحضانة : القيام بتربية الصغير ورعاية شؤونه وتدبير أموره من المطعم والمشرب والملبس وغيرها، والطفل في حال الصغر يحتاج إلى من يقوم بشؤونه ويرعاه حق الرعاية لعجزه عن القيام بذلك بنفسه ، فجعل الإسلام من حقوقه على أبويه حضانتهم ، ورعايته حتى يكبر .

٦- النفقة :

الأصل أن الإنسان ينفق على نفسه ، وتجب نفقته في ماله سواء كان صغيراً أو كبيراً إلا الزوجة ، فنفقتها على زوجها .

نفقة الأولاد على والدهم ماداموا قاصرين لصغرهم أو عجزهم ، قال تعالى :

﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(١).

٧- التربية :

من أعظم حقوق الأولاد تربيتهم التربية المبنية على تعاليم الشرع، فأوجب المسؤولية على الوالدين لرعاية أولادهم وتنشئتهم على الإيمان التقوى ، قال رسول الله ﷺ في بيان عظم هذه المسؤولية : « **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** »^(٢).

وقال الله تعالى : ﴿ يَتْلُوهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَوْمًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوِّدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾^(٣).

والله سبحانه وتعالى خلق الناس على الفطرة السليمة، قال تعالى : ﴿ فَأَقْرَرْنَا وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤).
والربي هو الذي يساعد على نمو هذه الفطرة - إن كان صالحاً ، أو يساعد على فسادها - إن كان منحرفاً ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **ما من مولود إلا ويولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء** »^(٥).

(١) آية ٢٣٣ من سورة البقرة .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب الجمعة في القرى والمدن ٣٧٩/٢ برقم (٨٩٢) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإمامة ، باب فضيلة الإمام العادل ١٤٥٩/٣ ، برقم (١٨٢٩) .

(٣) آية ٦ من سورة التحريم . (٤) آية ٣٠ من سورة الروم .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصل علىه ٢١٩/٣ برقم (١٣٥٨) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ٢٠٤٧/٤ برقم (٢٦٥٨) .



أ- أن يغرس في نفوس الأبناء والبنات الإيثار بالله عز وجل ، ويبيان عظيمته وخلقه وقدرته ، منذ الصغر ، بالأسلوب المناسب لهم .

ب - تمرينهم على العبادات الظاهرة منذ بلوغهم سنّ التمييز ، كما قال الرسول ﷺ : « **مروا أبناءكم بالصلاة لسبع ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع** »^(١) .

ج - العناية بتحفيظهم القرآن الكريم ، منذ بداية نطقهم النطق السليم ، وكذا شيئاً من سنة الرسول ﷺ وسيرته الطاهرة ، فإن القرآن الكريم والسنة النبوية إذا عمرت القلوب منذ الصغر تربى عليه الطفل ، وابتعدت عنه شياطين الجن والإنس .

د - تعويدهم الأخلاق الحميدة والصفات الطيبة ، فالابن يُعَلَّم الرجولة والشهامة والصدق في القول والعمل ، وحب التضحية والفداء ، والكرم ، والبنات تُعَلَّم الحشمة والحياء والوقار ، والأعمال المنزلية ، وما يلائمها ، وهكذا .

هـ - تنمية مهاراتهم وقدراتهم ، كلُّ بما منحه الله من المواهب والقدرات ، فالذي يميل - مثلاً - إلى الأمور الصناعية تنمى فيه هذه الموهبة ، ولو على شكل لعب في بداية عمره ، وهكذا .

و - مشاركة الوالدين للولد في جميع أموره ؛ ليطلع الوالد على أحوال أولاده ، ويوجههم إلى ما ينفعهم ، ويقوم سلوكهم ، ويرشدهم إلى ما يصلح حالهم ، وكذا الأم مع بناتها .

ز - اختيار الأصدقاء الصالحين للأولاد منذ صغرهم ، فالصديق يتأثر بصديقه سلباً وإيجاباً .

٨- العدل :

من حقوق الأبناء والبنات العدل بينهم دون تمييز أو محاباة ، فهذا له تأثيره العميق في نفوسهم . ولعدم العدل آثاره السيئة على الابن نفسه ، من إيجاد الحقد والحسد ، وما يترتب عليه من أعمال ، وقد قال رسول الله ﷺ : « **اتقوا الله واعدوا بين أولادكم** »^(٢) .

(١) أخرجه أبو داود ، كتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة / ١ / ١٨٧ برقم (٤٥٩) ، والترمذي ، كتاب الصلاة باب ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة / ٢ / ٢٥٩ برقم (٤٠٧) ، وحسنه النووي في رياض الصالحين .

(٢) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة / ٣ / ١٢٤٢ برقم (١٦٢٣) .

٣ للاستزادة في أحكام الأولاد ، ينظر : تحفة المودود بأحكام المولود ، للامام ابن قيم الجوزية .

الأسئلة



- س ١ : بيّن كيف أن الأولاد نعمة من عند الله ؟
- س ٢ : من حقوق الأولاد التسمية الحسنة ، ما تأثير الاسم على الولد ؟
- س ٣ : اذكر بعضاً مما ينبغي أن يسلكه الوالدان في تربية أولادهما .

آفات اللسان

اللسان نعمة :

من نعم الله تعالى وآلائه على الإنسان ما رزقه من جوارح في بدنه ، يستخدمها فيما شاء من قضاء حوائجه ، ويسخرها في طاعة ربه ، بدون أن يمنّ عليه أحد . ومن هذه الجوارح اللسان ، تلك الأداة المهمة، والآلة الفاعلة ، الذي يعبر به المرء عما يريد ، ويستخدمه في طلب أغراضه ، يتكلم به ، وينادي به، ويعبر عن آرائه وأفكاره بواسطته ، وبه يقرأ كلام ربه ، ويذكر مولاه ، وبه ينصح ويوجه ويرشد ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وغير ذلك .

حفظ اللسان :

جاءت النصوص الكثيرة من القرآن والسنة ببيان أهمية اللسان وحفظه ، والتحذير من استغلاله بالشر بأنواعه وصنوفه ، يقول الله تعالى مبيناً أهمية الكلام الذي ينطق به الإنسان : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾^(١) ، ويقول سبحانه : ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾^(٢) ، ويقول أيضاً : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾^(٣) ، ويقول سبحانه موضعاً بعض سبل الخير التي ينبغي أن ينشغل بها اللسان : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾^(٤) ولعظم الكلمة يبين الرسول ﷺ آثارها العميقة ، فيقول عليه الصلاة والسلام : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يزلّ بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب »^(٥)

(١) آية ١٨ من سورة (ق) .

(٢) آية ١٨١ من سورة آل عمران .

(٣) آية ١٥ من سورة النور .

(٤) آية ١١٤ من سورة النساء .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الرقاق ، باب حفظ اللسان ٣٠٨/١١ برقم (٦٤٧٧) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد ، باب التكلم بالكلمة يهوي بها في النار ٢٢٩٠/٤ برقم (٢٩٨٨) .

وعليه فينبغي للمرء أن يحافظ على لسانه ، وألا يتكلم إلا بما هو حق من ذكر الله تعالى ، وقراءة كتابه ، وإصلاح بين الناس ، وإرشاد لهم وتوجيه ، وقصص مفيدة ، وكلام مباح ، وغيرها .

الصمت وفوائده :

ولعظم أثر اللسان يوجه الإسلام توجيهه الراشد في استغلاله بما هو مفيد ، فإن لم يكن كذلك فلا أقل من حفظه بالسكوت ، وعدم النطق بما لا يفيد ، جاء في الصحيحين أن رسول ﷺ قال : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت** »^(١).

وفي حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه لما أخبره النبي ﷺ بما يدخل الجنة ويباعد من النار ، وأخبره بأبواب الخير ، ورأس الأمر وعموده وذروة سنامه ، قال له : « **ألا أخبركم بملاك ذلك كله** » ، قال معاذ : قلت بلى يا نبي الله ، فأخذ بلسانه فقال : « **كُفَّ عليك هذا** » فقلت : يا نبي الله ، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ، فقال رضي الله عنه : « **ثكلتك أمك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم** »^(٢).
وروى الترمذي أن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه سأل النبي ﷺ فقال : « **ما أخوف ما تخاف؟ فأخذ بلسانه نفسه** » ثم قال : « **هذا** »^(٣).

هذه النصوص وغيرها تبين خطر الكلمة ، إذ إن بعض الكلمات قليلة الألفاظ جداً ، لكن نتائجها خطيرة ومنها :
أ - أنها قد تورد صاحبها النار والعياذ بالله ، مثل الشرك بالله ، أو الاستهزاء بدين الله ، أو كتابه ، أو رسوله ﷺ .
ب - أنه قد يعاقب عليها صاحبها في الآخرة ، مثل الغيبة ، والنميمة ، والكذب ، وقول الزور ، وغيره .
ج - أنه قد يعاقب عليها في الدنيا ، كالقذف مثلاً ، أو الاعتداء على الآخرين بالسب والشتم ، مع ما يجده في الآخرة .

من آفات اللسان :

آفات اللسان التي تورده الموارد وتزجه في مهاوي الردى كثيرة ، نذكر منها ما يلي :

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته ١٠ / ٥٣١ . برقم (٦٢٣٥) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ١ / ٦٩ برقم (٤٨) .

(٢) رواه الترمذي ، في أبواب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة ٥ / ١١ ، برقم (٢٦١٦) ، وأخرجه النسائي في الكبرى ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ **تَبَيَّنَ فِي حُجُوبِهِمْ عَنِ النَّاصِعِ** ﴾ ٦ / ٤٢٨ برقم (١١٣٩٤) ، وقال الترمذي : حسن صحيح .

(٣) رواه الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ماجاء في حفظ اللسان ٤ / ٦٠٧ برقم (٢٤١٠) وقال : حديث حسن صحيح .

١- الشرك بالله ، أو ما يؤدي إليه :

وهذا من أعظم آفات اللسان ، فقد يتكلم المرء بكلمة واحدة تدخله النار ، كأن يتلفظ بألفاظ شركية ، مثل الاستهزاء بدين الله تعالى ، أو بالقرآن ، أو بالرسول ﷺ ولو على سبيل المزاح والضحك ، يقول الله تعالى مبيناً كفر من عمل مثل ذلك : ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا بِإِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ يَا آلِهَةَ رَبِّكُمْ قُلُوبُهُمْ عَلَى اللَّهِ وَمَا يُؤْمِنُ بِهِمْ كُنْتُمْ تُسْتَهْزَءُونَ لَا يُعْذِرُوكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْسَهُمْ كَأَنُورًا تَجْرِمُوتُ ﴿١﴾ .

ومن أنواع الشرك : الشرك الأصغر ، الذي هو أكبر الكبائر ، ولكن لا يؤدي إلى الكفر المخرج عن الملة ، مثل الحلف بغير الله ، وقول : ما شاء الله وشاء فلان ، وقول : لولا الله ولولا فلان ، وغيرها ، فيحذر المؤمن من الوقوع في مثل هذا .

٢- الكذب :

وهو الإخبار عن الشيء بخلاف الواقع ، وهو من أخطر آفات اللسان ، ومن أشد أنواع الآثام والمعاصي ، وأشدّه الكذب على الله تعالى ، والكذب على رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢﴾﴾ وقال سبحانه : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنُفَعِرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿٣﴾﴾ وروى الشيخان عن علي عليه السلام قال - قال النبي ﷺ « لا تكذبوا علي ، فإنه من كذب علي فليج النار » (٤) . وعن سلمة بن الأكوع عليه السلام قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من يقل علي ما لم أقل ، فليتبوأ مقعده من النار » (٥) .

ومن أنواع الكذب : الكذب على الناس ، ولو على سبيل السخرية أو إضحاك الناس ، روى أصحاب السنن أن رسول الله ﷺ قال : « ويل لمن يحدث بالحديث ليضحك به القوم ، ويل له ، ويل له » (٦) .

(١) الآيات ٦٤ . ٦٥ . ٦٦ . من سورة التوبة . (٢) آية ٢١ من سورة الأنعام . (٣) آية ١١٦ من سورة النحل .
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١/١٩٩ برقم (١٠٦) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، في مقدمته ٩/١ برقم (١) .
(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤/٧٤ .
(٦) أخرجه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب في التشديد في الكذب ٢/٧١٥ برقم (٤٩٨٩) ، وأخرجه الترمذي ، كتاب الزهد ، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك به الناس ٤/٤٨٣ برقم (٢٣١٥) .

ومن الكذب على الناس : الكذب في البيع والشراء والمحادثة وغيرها ، وكل هذا نتيجته وخيمة ، وعاقبته سيئة ، كما أخبر الرسول ﷺ بأن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ، والكذاب فيه خصلة من خصال المنافقين .

٣- الغيبة والنميمة :

الغيبة والنميمة آفتان خطيرتان ، تحصدان الحسنات وتأكلاهما كما تأكل النار الحطب .
والغيبة هي : ذكرك أخاك بما يكره .

والنميمة : نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على جهة الإفساد بينهم .
وكلاهما ورد التحذير منها أيما تحذير لما ينتج عنهما من آثار سيئة ، ونتائج خطيرة من الأحقاد والضغائن وفساد القلوب والبغضاء والشحناء ، يقول الله تعالى : ﴿وَلَا يَغْتَابَ بَعْضُكُمُ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (١) .
ويقول سبحانه : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (٢) .

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت قلت للنبي ﷺ : حسبك من صفة كذا وكذا ، تعني قصيرة ، فقال : «لقد قلت كلمة لو مزجت بها البحر لمزجته» (٣) .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدخل الجنة قتات » (٤) .
والقتات : المنام .

٤- قول الزور :

والزور في الأصل : تحسين ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه أنه خلاف ما هو به ، وعليه فكل ما هو باطل من الكلام يعد زوراً ، قد ورد التحذير منه والترهيب من اقترافه في القرآن والسنة ، قال تعالى عن صفات المؤمنين : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ (٥) ، وقال تعالى محذراً من الوقوع فيه : ﴿فَأَجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (٦) .

(١) آية ١٢ من سورة الحجرات .

(٢) آية ١ من سورة الهمزة .

(٣) أخرجه أبو داود ، كتاب الأدب ، باب الغيبة ٦٨٥ / ٢ برقم (٤٨٤٧) ، وأخرجه الترمذي ، كتاب القيامة ، باب ٤٥١ / ٤ ، برقم (٢٥٠٢) .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب الأدب ، باب ما جاء في قول الرجل : ويلك ٥٥٢ / ١٠ برقم (٦١٦٢) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الزهد ، باب النهي عن

المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح ٢٢٩٦ / ٤ برقم (٣٠٠٠) .

(٥) آية ٧٢ من سورة الفرقان .

(٦) آية ٣٠ من سورة الحج .

وعن أبي بكره رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « **ألا انبئكم بأكبر الكبائر؟** » ثلاثاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: « **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين** »، وجلس وكان متكئاً، فقال « **ألا وقول الزور** » فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت (١).

٥- القذف .

وهو رمي شخص بالزنا ونحوه، كأن يقول: يا زاني، أو ابن الزاني، أو يا لوطي، وهذه من آفات اللسان الخطيرة، وكبيرة من كبائر الذنوب، توعده الله تعالى فاعله باللعن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ تُشْهِدُهُمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾** » (٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « **اجتنبوا السبع الموبقات** » وذكر منها: « **قذف المحصنات المؤمنات الغافلات** » (٣).

٦- الفحش والسباب والشتائم :

وهذه من آفات اللسان الخطيرة، التي يحاسب عليها العبد، لأن الإنسان يحصى عليه كلماته وألفاظه، قال تعالى: ﴿ **مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْ رَئِيسٍ عَمِيدٍ ﴿٤﴾** » (٤).

وروى الشيخان عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي المسلمين أفضل؟ قال: « **من سلم المسلمون من لسانه ويده** » (٥).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة** » (٦).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور ٢٦١/٥ برقم (٢٦٥٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر ٩١/١ رقم (٨٧).

(٢) آيات ٢٣-٢٤ من سورة النور.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالِ الْيَتَامَى...** ﴾ ٣٩٣/٥ برقم (٢٧٦٦)، وأخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان أكبر الكبائر ٩٢/١ برقم (٨٩).

(٤) آية ١٨ من سورة (ق).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب أي الإسلام أفضل ٥٤/١ برقم (١١)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام ٦٦/١ برقم (٤٢).

(٦) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان ٣٠٨/١١ برقم (٦٤٧٤).

وعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « **أبياً رجل قال لأخيه يا كافر ، فقد باء بها أحدهما ، إن كان كما قال وإلا رجعت إليه** »^(١).

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لعن المؤمن كقتله** »^(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء** »^(٣).

وبعد : فينبغي للمسلم أن يحذر من هذه الآفات وغيرها ، وأن يصون لسانه ، وأن يعود على التلفظ بما يستفيد منه ، من الذكر ، وقراءة القرآن ، والدعاء ، والدعوة ، والنصيحة ، والكلام المباح ، أو ليسكت .

الأسئلة

- س ١ : متى يكون الصمت محموداً ؟ ومتى يكون مذموماً ؟ وضح ذلك بأمثلة مما تعرفه في واقع الحياة .
- س ٢ : من أكثر آفات اللسان انتشاراً الغيبة ، ما الحلول التي تراها لإزالة هذه الظاهرة من المجتمع ؟
- س ٣ : ما أعظم أنواع الكذب ؟ استشهد لما تقول ببعض الأدلة .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ١٠ / ٥١٤ برقم (٦١٠٤) ، وأخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان حال من قال لأخيه المسلم يا كافر ١ / ٧٩ برقم (٦٠) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأدب ، باب ما يُبْهَى عن السباب واللعان : ١ / ٤٦٥ برقم (٦٠٤٧) ، وأخرجه مسلم ، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه ١ / ١٠٤ برقم (١١٠) .

(٣) أخرجه الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في اللعنة ٤ / ٣٠٨ برقم (١٩٧٨) .

القلوب وأمراضها

القلب وأهميته :

القلب هو أشرف شيء في الإنسان ، وبحياته حياة البدن ، وبموته موت البدن ، ولأجل هذه المكانة العظيمة للقلب جاءت النصوص الشرعية الكثيرة بذكره ، والتنويه بمكانته .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ (٣) .

وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « ... ألا وإن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » (٤) .

القلب لا يثبت على حال :

ما سمي القلب إلا من تقلبه والرأي يصرف بالإنسان أطواراً

فالقلب لا يثبت على حال ، ولذلك كان النبي ﷺ يكثر من القول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » فقيل له : يا رسول الله ، آمناً بك وبها جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ قال : « نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء » (٥) .

الدعاء بصلاح القلب :

ولما عليه القلب من التقلب شرع للمسلم الدعاء بأن يثبت الله قلبه ، قال تعالى - مخبراً عن دعاء عباده الراسخين في العلم - : ﴿ رَبَّنَا لَا تُرِخْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ (٦) وكان من دعاء النبي ﷺ : « اللهم مصرف القلوب ، صرّف قلوبنا على طاعتك » (٧) وكان من دعائه أيضاً ﷺ : « ... وأسألك قلباً سليماً » (٨) .

(١) الآية ٣٧ من سورة (ق) (٢) الآية ٤٦ من سورة الحج . (٣) الآية ٥ من سورة الأحزاب .

(٤) جزء من حديث رواه البخاري في الإبان ، باب فضل من استبرأ لدينه (الفتح ١/١٢٦) رقم : (٥٢٩) ، ومسلم في المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك المشبهات ١٢١٩/٣ رقم (١٥٩٩) .. (٥) رواه الترمذي ، كتاب القدر ، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن ٤/٤٨ رقم (٢١٤٠) ، وقال : حديث حسن وبنحوه رواه مسلم ٤/٢٠٤٥ رقم (٢٦٥٤) . (٦) الآية ٨ من سورة آل عمران .

(٧) رواه مسلم ، كتاب القدر ، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ٤/٢٠٤٥ رقم (٢٦٥٤) .

(٨) رواه أحمد ٤/١٢٥ ، والترمذي في الدعوات ، باب (٢٣) ، ٥/٤٧٦ ، رقم (٣٤٠٧) والنسائي ٣/٥٤ ، وابن حبان رقم (١٩٧٤) .



١- القلب الصحيح السليم :

وهو الذي سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ، ومن كل شبهة تعارض خبره ، فهو يقابل خبر الله تعالى ورسوله ﷺ بالتسليم ، ولا يعارضه بالرأي والهوى كما يفعل أهل البدع والزيغ ، ولا نجاة يوم القيامة إلا لصاحبه ، قال تعالى - في حكاية دعاء إبراهيم عليه السلام - : ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ

أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ (٢)

٢- القلب الميت :

وهو ضد السليم ، فهو لا يعرف ربه ، ولا يعبده ، إنما يتبع هواه وشهواته ، مع غفلة شديدة عن مراد ربه منه . فالحذر الحذر من هذا القلب ، ومن مخالطة صاحبه ، فإن معاشرته سم ، ومجالسته هلاك .

٣- القلب المريض :

وهو قلب له حياة ، وبه علة ، ففيه محبة الله عز وجل ، وإيمان به ، وفيه بالمقابل محبة لشهواته الباطلة ، وإيثار لها ، وحرص على تحصيلها ، فربما غلب عليه المرض فالتحق بصاحب القلب الميت ، وربما غلبت عليه الصحة فالتحق بصاحب القلب السليم .

تعرض القلوب للفتن :

عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : « تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً ، فأى قلب أشربها نُكِّت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير القلوب على قلبين : على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض ، والآخر أسود مرباداً كالكوز مُجَجَّجاً ، لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه » (٣) .

(١) ينظر : إغاثة اللهفان ، الجزء الأول .

(٢) الأيتان ٨٨، ٨٩ من سورة الشعراء .

(٣) رواه مسلم ، في الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً ١٢٣/١ رقم (٤٤) .

أمراض القلب نوعان :



١- أمراض شبهات : وهي أشد النوعين ، ويدخل فيها جميع الاعتقادات الباطلة ، وأشدها : الشرك والنفاق ، قال تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾^(١) . ومن ذلك : البدع بأنواعها . والطريق الحق في البعد عن الشبهات التزام ما جاء في الكتاب والسنة ، والوقوف عند ما وقف عنده السلف الصالح رضي الله عنهم .

٢- أمراض شهوات : ويدخل فيها أنواع العمل بخلاف الاعتقاد الحق . ومن أمثلة ذلك : الحسد ، والبخل ، وشهوة الزنا ، والنظر الحرام ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَبْنَ وَأَنْقُولَ فِطْمَعِ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾^(٢) .

والطريق الحق في البعد عن الشهوات الباطلة : التزام ما أمر الله به ، ورسوله ﷺ ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ .

علامات وأسباب حياة القلب :



١- توحيد الله تعالى والإيمان به ، وتجديد ذلك ؛ والعمل بالفرائض التي فرضها الله سبحانه وتعالى ، فهذه الأمور رأس حياة القلوب وسعادتها .

٢- التضرع إلى الله ، واللجوء إليه ، وكثرة ذكره ودعائه ، ومراقبته ، والتفكير في آلائه ، ومخلوقاته ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(٣) .

٣- تدبر القرآن الكريم ، والنظر في معانيه ، والعمل بما جاء فيه ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ثُمَّ عَلَى قُلُوبِ أَهْفَالِهَا ﴾^(٤) .

٤- ترك الذنوب ، فإن الذنوب تميم القلوب ، وبتركها حياة القلوب ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٥) .

(١) آية ١٠ من سورة البقرة . (٤) آية ٢٤ من سورة محمد .

(٢) آية ٣٢ من سورة الأحزاب . (٥) آية ١٤ من سورة الطغافين .

(٣) آية ٢٨ من سورة الرعد .

قال ابن المبارك - رحمه الله تعالى :-

رأيت الذنوب تमित القلوب
وترك الذنوب حياة القلوب
وقد يورثُ الذلَّ إيمانها
فخيرٌ لنفسك عصيانها

- ٥- الاهتمام بتصحيح الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .
- ٦- التألم والتحصّر على فوات الطاعة أشدّ تحسّر المرء على فوت حظّه من أمور الدنيا .
- ٧- الاهتمام الكبير بشأن الآخرة ، والإقبال عليها ، وتذكرها ، والاستعداد لها .
- ٨- زيارة المرضى والمقابر فإنها تذكر الآخرة ، وتحي القلب وتذكر نعمة الله تعالى على الإنسان .

ارتباط صلاح القلب بصلاح العمل :

وهذا إن كان مفهوماً مما تقدم ، ولكن نشير إليه زيادة في الاهتمام به ، وذلك أن بعض من نقص علمه قد يظن أن هناك انفصلاً بين صلاح القلب وصلاح العمل الظاهر ، وقد يستدل بقول النبي ﷺ : « **التقوى هاهنا** » ويشير إلى صدره ، ثلاث مرات^(١) .

وهذا فهم خاطئ للشريعة ، وإنما يدعو إليه أحد أمرين : إما الجهل ، وإما الهوى .
والواجب علينا أن نعلم : أن الإيمان قول وعمل ونية ، وأن صلاح الباطن يؤثر في صلاح الظاهر ، وكلما ازداد صلاح الباطن كان ذلك زيادة في صلاح الظاهر .
ومما يدل على هذا الترابط : ما تقدم من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، وأيضاً قوله ﷺ :
« **إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم** »^(٢) .

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى : « ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح » . اهـ^(٣) .

أثر صلاح القلب وثمرته :

يخلص ذلك الحافظ ابن رجب - رحمه الله تعالى - بقوله : « فالقوم إذا صلحت قلوبهم فلم يبق فيها إرادة لغير الله عز وجل صلحت جوارحهم فلم تتحرك إلا لله عز وجل ، وبها فيه رضاه . اهـ »^(٤) .

(١) جزء من حديث رواه مسلم في البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم ٤/ ١٩٧٤ رقم (٢٥٦٤) . (٣) جامع العلوم والحكم ، آخر شرح الحديث رقم (٦) .

(٢) رواه مسلم ، (الموضع السابق) . (٤) الموضوع السابق بتصرف يسير .

٣ للاستفادة انظر المجلد العاشر من مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية .

الأسئلة



- س ١: تحدث عن أهمية القلب ، مستشهداً على ما تقول بنصوص من الكتاب والسنة .
- س ٢: ما أمراض القلوب ؟ مثل لما تقول .
- س ٣: وضح ارتباط صلاح القلب بصلاح العمل .

العفة

المراد بالعفة :

هي : كف النفس عن المحارم ، وعمّا لا يجمل بالإنسان فعله ، وضدها : الدناءة والحسنة^(١) .
الدعوة إليها ، والدعاء بها :

في حديث أبي سفيان أن هرقل سأله عن النبي ﷺ فقال : ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آبائكم ، ويأمرنا بالصلاة ، والصدق ، والعفاف ، والصلة^(٢) .
وكان النبي ﷺ يقول : « اللهم إني أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى »^(٣) .

من أنواعها :

أ- العفة عن أكل الحرام :

وهي واجبة ، ومن فوائدها : النجاة من النار ؛ لأن كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به ، واستجابة الدعوة ، وحفظ الله تعالى للعبد .

ب- العفة عن سؤال الناس :

قال تعالى : ﴿ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِذَا عَافُوا ﴾^(٤) وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له مع نفر من الصحابة : « ألا تبايعون ؟ ... » قالو : قد بايعناك يا رسول الله ! فعلام نبايعك؟ قال : « ولا تسألوا الناس شيئاً »^(٥) .

ومن فوائدها : عدم الالتجاء إلا إلى الله وحده ، وصدق الاعتماد عليه ، وإكرام النفس ، وإعزازها عن ذل السؤال للمخلوق .

وهذا النوع يتفاوت الناس في تطبيقه ، وليس هو على درجة واحدة ، فمنه الواجب ، كترك سؤال المال مع الغنى وعدم الحاجة ، قال ﷺ : « من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً ، فليستقل أو ليستكثر »^(٦) .

(١) الأخلاق الإسلامية ، للميداني ٢ / ٥٨١ . (٢) رواه البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب (٦) ، ١ / ٣٢ رقم (٧) .

(٣) رواه مسلم ، كتاب الذكر ، باب التعمد من شر مع عمل وما لم يعمل ٤ / ٢٠٨٧ رقم (٢٧٢١) .

(٤) آية ٢٧٣ من سورة البقرة (٥) رواه مسلم ، في الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس ٢ / ٧٢١ رقم (١٠٤٣) .

(٦) رواه مسلم ، الموضوع السابق ٢ / ٧٢٠ رقم (١٠٤١) ، وانظر فيه أيضاً حديث قبيصة بن مخارق : « إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة ... » رقم (١٠٤٤) .

ومنه ما ليس بواجب ، وتركه يعتبر من الكمال والفضل ، كما في حديث عوف بن مالك المتقدم ، وفيه:
قال الراوي : « فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه » .

ج - عفة الفرج ^(١) :

والمراد تحصيله عن فعل الفاحشة ، ووسائلها ، وهذا النوع واجب ، قال تعالى : ﴿ **وَلَيْسَتَعَفِيفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا** ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَحُضُّوْا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَحَفِظُوا أَرْوَاحَهُمْ** ﴾ ^(٣) .

من فضائلها :



١ - سبب في إظلال الله تعالى للعفيف في ظل عرشه ، قال ﷺ : « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال ، فقال إني أخاف الله** » ^(٤) .

٢ - سبب لدخول الجنة ، قال ﷺ : « **من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة** » ^(٥) .

وسائل عفة الفرج :

لما للعفة من أهمية بالغة ، فقد أرشد الشرع المطهر إلى وسائل المحافظة عليها ، فأمر بأشياء ، ونهى عن أشياء :
فما أمر به : غض البصر ، والزواج المبكر للشباب ، والصوم للعاجز عن الزواج .

كما أمر النساء بالحجاب والتستر ، والقرار في البيوت ، قال تعالى : ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** ﴾ ^(٦) .

ومما نهى عنه : الخلو بالمرأة الأجنبية ، قال ﷺ : « **إياكم والدخول على النساء** » ^(٧) ، ونهى عن مصافحتها ، قال ﷺ : « **إني لا أصافح النساء** » ^(٨) .

ومنع اختلاط الرجال بالنساء ، ونهى عن كل ما يقرب إلى الفاحشة ، فقال تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى** ﴾ ^(٩) ويدخل في ذلك سماع المجون ، والنظر المحرم ، ومشاهدة الأفلام الماجنة ، وقراءة ما يدعو إلى الفاحشة ، ويهيج إلى فعلها .

(١) هذا داخل في العفة عما حرم الله ، وإننا أفرادناه وأطلقنا فيه ، للاهتمام به .

(٢) الآية ٣٣ من سورة النور .

(٣) الآية ٣٠ من سورة النور .

(٤) رواه البخاري ، في الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة (الفتح ١٤٣/٢) رقم (٦٦٠) ، ومسلم في الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة ٧١٥/٢ رقم (١٠٣١) .

(٥) رواه البخاري ، في الرقاق ، باب حفظ اللسان (الفتح ٣٠٨/١١) رقم (٦٤٧٤) . (٦) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب .

(٧) رواه البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا يخلون رجل بامرأة (الفتح ٢٦/١١) ، رقم (٦٣٤٣) ، ومسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الخلو بالأجنبية ١٧١١/٤ رقم (٢١٧٢) .

(٨) رواه النسائي ، كتاب البيعة ، باب البيعة النساء ١٤٩/٧ ، وابن ماجه في الجهاد ، باب بيعة النساء ٩٥٩/٢ رقم (٢٧٧٤) ، وأحمد ٣٥٧/٦ .

(٩) آية ٣٢ من سورة الإسراء .

أسباب ضعف العفة أو عدمها :



- ١- ضعف التربية والرقابة من بعض المربين على من ولاهم الله تعالى أمرهم من بنين وبنات وزوجات .
- ٢- إطلاق البصر للنظر فيما حرم الله ، وهذا من أكبر أسباب الفتنة ، قال ﷺ : « **فزنا العينين النظر...** »^(١) .
وعن جرير بن عبد الله قال : سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاءة ، فأمرني أن أصرف بصري^(٢) .
وفي حديث بريدة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « **يا علي ، لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة** »^(٣) .

٣- تأخر الزواج للرجل والمرأة .

- ٤- السفر إلى البلاد التي يظهر فيها التفسخ والعري من دون حاجة ولا حصانة .
- ٥- التهاون بالاختلاط ، والخلوة بالأجنبية ، وهذا مما كان يحذره السلف الصالح ، وتدبر ما قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه - وهو من أكابر الأنصار - قال : ألا تروني لا أقوم إلا رفدا ، ولا أكل إلا مالوق (لين وسخن) ، وقد مات صاحبي منذ زمان (يعني ذكره) ، وما يسرني أني خلوت بامرأة لا تحل لي ، وأن لي ما تطلع عليه الشمس مخافة أن يأتي الشيطان فيحركه^(٤) .
- مخالطة من لا يهتم بعفته ولا سلامة مجتمعه من الرذيلة ، فالواجب ترك مخالطة هذا الصنف من الناس ، والاستعاضة عنه بمن هم على ضد نهجه السيء .
- ٧- كثرة الفراغ ، والأولى أن يملأ المرء وقته بما ينفع به في الدين والدنيا ، حتى لا تتسلط عليه الأوهام والخيالات الشيطانية .
- ٨- وأخيراً فإن ترك اتباع الأحكام الشرعية في النفس والمجتمع هو من أعظم أسباب ضعف العفة أو ضياعها .

من ثمرات عفة الضرج :



- ١- ضمان الرسول ﷺ للعفيف دخول الجنة .

(١) رواه البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب زنا الجوارح ، الفتح ٢٦/١١ ، رقم (٦٣٤٣) ، ومسلم في القدر ، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا ٢٠٤٦/٤ ، رقم (٢٦٥٧) .
(٢) رواه مسلم في الأدب ، باب نظر الفجاءة ١٦٩٩/٣ ، رقم (٢١٥٩) .
(٣) رواه أبو دواد ، كتاب النكاح ، باب ما يؤمر به من غض البصر ٦١٠/٢ ، برقم (٢١٤٩) ، والترمذي في الأدب ، باب نظر الفجاءة رقم (٢٧٧٨) وقال حسن غريب .
(٤) سير أعلام النبلاء ٨/٢ ، وقوله : لا أقوم إلا رفدا : أي إلا بمساعدة ومعونة ، يشير بذلك إلى كبر سنه .

- ٢- إظلال الله لمن عَفَّ عن الفاحشة في ظل عرشه يوم القيامة.
- ٣- عفة المرء سبب في عفة أهله ومحارمه ، وفي حفظ الله لهم ، ومَن واقع الحرام أو شك أن تصيبه السوء في نفسه وأهله ^(١).
- ٤- العفة سبب لسلامة المجتمع من الشرور والآفات ، ومن انتشار الفساد والأمراض الفتاكة .
- ٥- العفة سبب للبعد عن سخط الله تعالى وعقابه العام والخاص .

الأسئلة



- س ١: سؤال الناس خلق مذموم ، ما فوائد تركه ؟ وما مراتب ذلك ؟ استشهد لما تقول ؟
- س ٢: ما المراد بعفة الفرج ؟ واذكر بعضاً من فضائله .
- س ٣: ما أسباب ضعف عفة الفرج ؟

(١) للفائدة ينظر كشف الحفاء ٢/٦١ حرف العين ، خبر : « عفوا تعف نساؤكم » .

المحاسبة

المراد بالمحاسبة :

أن ينظر العبد في أعماله وأقواله ، فما وجد من حسنة حمد الله عليها وحافظ على فعلها ، وما وجد من تقصير سعى لتداركه ، وما وجد من سيئة أحدث لها توبة واستغفاراً .

أهميتها :

إن العاقل البصير هو الذي يجتهد ألا يفعل أمراً حتى يقف قبل فعله له ، وينظر في نتيجته ، وهل هو مما يعود عليه بالنفع أم لا ؟ فإن رأى فيه المنفعة أقدم عليه ، وإن رأى فيه سوى ذلك أحجم عنه . وهذا يفعله الناس في الدنيا وأعمالها ، فالتاجر ، والعامل ، والدارس ، وغيرهم ، كل يفكر في مصلحة العمل الذي يُقدم عليه ، وما هي نتيجته ؟ ثم إذا أقدم عليه ، فهو دائم النظر في أي شيء يحصل منه ، ويستمر على هذا أبداً ما دام في العمل ، وبعده أيضاً . والمسلم الذي يرى الدنيا مزرعةً للآخرة ، وما يُقدم فيها يلقيه غداً ، وعمله إنما هو مع الله تعالى هو أولى وأحرى بتلك المحاسبة ، وذلك النظر، لأنه في أعظم تجارة ، والربح فيها أعظم ربح ، والخسارة فيها ليس بعدها معاودة ، وبها تحصيل السعادة الدائمة ، أو الشقاوة الأبدية . قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : رحم الله عبداً وقف عند همّه ، فإن كان لله مضي ، وإن كان لغيره تأخر .

الأمر بالمحاسبة :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَانظُرُوا نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لِغَيْرِهِ ﴾^(١) . قال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم . اهـ .

(١) آية ١٨ من سورة الحشر ، انظر تفسير ابن كثير لهذه الآية ٤ / ٣٤١ .

مما ورد في الآثار :

- قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الأكبر ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية^(١) .
- قال ميمون مهران : لا يكون الرجل تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه .^(٢)
- وقال الحسن البصري : المؤمن قوام على نفسه ، يحاسب نفسه لله عز وجل ، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا الأمر من غير محاسبة^(٣) .

كيفية المحاسبة :



- ليس للمحاسبة كيفية خاصة ورد بها الشرع ، إنما على المؤمن أن يجتهد في حساب نفسه بما يراه مناسباً ، وكلما أكثر من محاسبة نفسه كان ذلك خيراً له ، ويمكن أن نجمل ما ينبغي أن يحاسب نفسه عليه فيما يلي :
- أ- ينظر ابتداء فيما افترض الله عليه من عمل القلب والبدن ، هل أداه أم لا ؟ ثم هل أخلص فيه أم لا ؟ ثم هل اتبع فيه السنة أم لا ؟ فإذا رأى تقصيراً استدركه ، وإذا رأى تركاً استغفر وتاب ، ثم ابتداء العمل المفترض عليه .
- فيكون أهم ما يهتم بتنقيته توحيده ، فينظر في إتمامه ، و خلوه من شوائب الشرك الظاهر والخفي ، ومما ينبغي أن ينظر فيه هنا ما مدى اعتماده على ربه وتوكله عليه ، ولجوئه إليه ، ودعائه إياه ، ونحو ذلك .
- ثم الفرائض العملية ، وأهمها الصلاة ، فينظر أولاً هل هو يؤديها أم لا ؟ ثم هل يؤديها في أوقاتها ، ويراعي شروطها وفرائضها ؟ ثم هل يؤديها في مواضعها مع الجماعة أم لا ؟ وخاصة صلاة الفجر ، فإذا رأى نفسه مقصراً استغفر ربه ودعاه أن يوفقه ، وعزم على تدارك التقصير ، وهكذا في سائر العمل .
- ب- وينظر أيضاً إلى ما نهى الله عنه ، ويفتش نفسه ، فإن وجد ذنباً استغفر منه وتركه .
- ج- وينظر أيضاً إلى فعله لفضائل الأخلاق ، وتركه لردائها ، ويحاسب نفسه .
- د- وينظر أيضاً إلى حظه من مكملات الأعمال من السنن والنوافل ، ومدى حرصه عليها من عدمه .
- هـ- وفيما لا يدري حكمه ؟ فإنه يحاسب نفسه قبل الإقدام عليه ، فينظر هل هو من مرضاة الله أم لا ؟ أو هل

(١) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس ، رقم (٢٢) ، وبمعناه رقم (١٦) ، وذكره الترمذي معلقاً قال : يروى عن عمر (٤/٦٣٨) .

(٢) رواه ابن أبي في محاسبة النفس رقم (٧) ، وذكره الترمذي بنحوه معلقاً ، قال : يروى عن ميمون ، وزاد في آخره : من أين مطعمة وملبسه ؟

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس رقم (١٧) .

هو مما أباحه الشرع أم لا؟ فإن لم يكن عليه فيه بأس وكان في فعله مصلحة له أقدم عليه. وبهذا يمكن للمسلم أن يرفع نفسه ليقربها من الكمال ما استطاع. وليعلم الإنسان أنه لا ينبغي أن يغتر بنفسه ويحسن الظن بها، فإنه لا بد وجد في نفسه تقصيراً، إما في ترك المأمور، أو فعل المحظور، فليدرك نفسها وينقذها.

من الوسائل المعينة على المحاسبة^(١) :

أ- العلم ، فبالعلم الشرعي يميز العبد بين الحق والباطل ، والهدى والضلال ، والضرار والنافع ، والخير والشر ، وكلما كان حظه من العلم أقوى كان حظه من المحاسبة أكمل وأتم .
ب- سوء الظن بالنفس ، وترك العجب بالعمل ، وليعلم الإنسان أنه مهما عمل من الصالحات فإنه مقصر في حق الله عليه ، ومن أحسن الظن بنفسه منعه ذلك من كمال محاسبتها ، فلعله يرى المساوئ محاسن ، والعيوب كمال .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ولا يسئ الظن بنفسه إلا من عرفها ، ومن أحسن ظنه بنفسه ، فهو من أجهل الناس بنفسه . اهـ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : والعباد لا يزالون مقصرين محتاجين إلى عفو الله ومغفرته ... ومن ظن أنه قام بما يجب عليه ، وأنه لا يحتاج إلى مغفرة الرب تعالى وعفوه فهو ضال^(٢) أهـ .

من محاسبة السلف لأنفسهم :

أ- قال أنس رضي الله عنه : سمعت عمر بن الخطاب دخل حائطاً ، فسمعته يقول ، وبينه وبينه جدار : عمر بن الخطاب ، أمير المؤمنين ! بخ ، والله لتتقين الله يا ابن الخطاب ، أو ليعذبنك^(٣) .
ب- ذكر عن توبة بن الصمة رحمه الله أنه حاسب نفسه مرة فحسب عمره فإذا هو ابن ستين سنة ، فحسب أيامها فإذا هي أحد وعشرون ألف وخمسمائة يوم ، فصرخ ، وقال : يا ويلتي ، ألقى المليك بأحد وعشرين ألف ذنب ، كيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ! ثم خر مغشياً عليه فإذا هو ميت^(٤) .

(١) انظر : مدارج السالكين ، لابن القيم : منزلة المحاسبة .

(٢) قاعدة جلييلة في التوسل والوسيلة ، ص ١٠٦ ، بتصرف يسير .

(٣) المحاسبة ، لابن الدنيا رقم ٣ .

(٤) المرجع السابق ، رقم (٧٦) ، وعنه ابن الجوزي في صفة الصفوة ٤ / ١٣٢ .

من ثمرات المحاسبة^(١) :



- أ- الاطلاع على عيوب النفس ، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكن إزالته ، قال مطرف بن عبد الله : لو لا ما أعلم من نفسي لقليت الناس .
- ب- معرفة قيمة النفس الأمانة بالسوء ومقتها وتزكيتها بالطاعة .
- ج- معرفة عظم حلم الله على العبد في عدم تعجيل العقوبة له ، وإمهاله مدة يفيق بها .
- د- من حاسب نفسه في الدنيا خف حسابه في الآخرة .
- هـ- أنه يعرف بذلك حق الله عليه .
- قال ابن القيم رحمه الله : وإذا تأملت حال أكثر الناس وجدتهم بعد ذلك ينظرون في حقهم على الله ولا ينظرون في حق الله عليهم ، ومن هنا انقطعوا عن الله . اهـ .

الأسئلة



- س ١ : اذكر ثلاثة من الآثار عن السلف في المحاسبة .
- س ٢ : ما كيفية المحاسبة ؟
- س ٣ : من الوسائل المعينة على المحاسبة (سوء الظن بالنفس)، وضح ذلك مستشهداً بأقوال بعض العلماء .

(١) انظر : إغاثة اللفهان ١/١٣٨ .



الخطر الصليبي

أصل الصراع بين المسلمين والنصارى :

يعود تاريخ الصراع بين النصرانية والإسلام إلى فتح بيت المقدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث إنه لما فتح المسلمون بلاد الشام وقضوا على دولة الروم النصرانية في الشام ، وخرج هرقل من الشام وهو يقول : « الوداع الوداع إلى الأبد يا سوريا » رأى النصارى أن الإسلام أقام سدا في وجه انتشار النصرانية ، ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لها ، وهي الشام ، ومصر ، وشمال إفريقيا ، وكانت القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تحيف أوروبا ، وخاصة لما أصبحت الجيوش الإسلامية في عهد الدول السلجوقية في القرن الخامس الهجري تهدد دولة بيزنطية في القسطنطينية ، وتكاد تقضي عليها .

تاريخ بدء الحروب الصليبية :

بدأت الحروب الصليبية في القرن الخامس الهجري ، وأول من بدأ بالدعوة إليها (بطرس الناسك) ، و « البابا جريجوري السابع » ثم بعد موته خلفه « البابا أوربان الثاني » وهو الذي تحمّس لجمع النصارى في أوروبا لمحاربة المسلمين ، وكان ذلك عام ٤٨٩ هـ (١٠٩٥ م) ، ومن ذلك التاريخ بدأت الحملة الصليبية الأولى ، ثم تتابعت الحملات حتى الحملة الصليبية الثامنة ، واستطاع الصليبيون أن يستولوا على بيت المقدس ، وأجزاء كبيرة من الشام ، وأقاموا لهم إمارات في كل من : الرها ، وأنطاكية ، والقدس ، وعكا ، وغيرها من بلدان الشام .

وبعدها جاهدهم السلطان صلاح الدين الأيوبي حتى استطاع هزيمتهم في معركة حطين سنة ٥٨٣ هـ ، وبعدها بدأ تقلص نفوذ الصليبيين في الشام حتى زالت دولتهم عنها بعد قرنين من بدء الحملة الصليبية الأولى .

نتائج الحروب الصليبية القديمة :

إذا نظرنا إلى هدف الحروب الصليبية القريب الذي هو الاستيلاء على فلسطين رأيناها لم تسفر عن أي نتيجة مع ما خسرت أوروبا خلال قرنين من المال والرجال ، فقد بقي المسلمون سادة لتلك الأماكن التي أراد النصارى أن يستولوا عليها بأي ثمن .

ويمكن أن نلخص أهم نتائج الحروب الصليبية في النقاط التالية :



- ١- فشل المواجهة العسكرية مع العالم الإسلامي .
- ٢- من خلال الاتصال الذي حدث بين عالم الإسلام المتحضر المتمدن وعالم النصرانية في أوروبا (المتخلف الهمجي) ، أخذ الأوروبيون ينقلون حضارة الإسلام وتقدمهم المادي إلى بلادهم .
- ٣- انبهار أوروبا بما لدى العالم الإسلامي من الخيرات والإمكانات المادية ، مما جعلهم يفكرون بالعودة بطريقة جديدة إلى بلاد المسلمين والتحول إلى مخطط آخر غير الحرب العسكرية .
- ٤- كان من نتيجة ذلك حركة الكشوف الجغرافية ، ومحاولة الالتفاف على عالم الإسلام، وقيام حركة الاستشراق والترجمة لكتب الطب والعلوم التجريبية التي ألفها المسلمون، ونقلها إلى بلادهم، وظهور النهضة الأوروبية الحديثة.

الفئات التي شجعت العودة إلى الشرق الإسلامي في العصور الحديثة :



بعد أن انتهت مرحلة من مراحل الحروب الصليبية بطرد آخر جنود الصليبيين في عكا في تلك الحرب التي قادها السلطان خليل بن قلاوون ، وما ترتب على ذلك من ضعف شأن البابوية ، وانفصام عرى الوحدة الأوروبية دينياً وسياسياً إلى حد كبير ، بعد هذه المرحلة لم تهدأ رغبة أوروبا في العودة ثانية إلى الشرق الإسلامي ، فأخذ أصحاب المصلحة في التخطيط لغزو العالم الإسلامي من جديد ، وبطرق جديدة، وقد تولى ذلك كل من:

١- الكنيسة :

وذلك بعد أن فقدت سلطانها على شعوبها في أوروبا أخذت تبحث عن بيئة جديدة تنشر فيها دينها المحرف، فكان نشوء ما يسمى بالتبشير المسيحي في ديار المسلمين .

٢- رجال المال والاقتصاد :

الذين بهرهم الشرق بمصنوعاته ، وخاماته ، فكان نشوء الشركات الغربية الاقتصادية ، مثل : شركة الهند الشرقية ، وغيرها ، والبحث عن الامتيازات الاقتصادية في ديار الإسلام ، والذين كانت أعمالهم ممهدة للاستعمار .

٣- رجال السياسة وملوك أوروبا : وذلك للبحث عن أسواق جديدة لتجارة بلدانهم ، وموانئ وامتيازات وأراض جديدة يضيفونها إلى بلدانهم ، مما ترتب عليه استعمار أوروبا لكثير من بلاد المسلمين. وقد ساعد هؤلاء جميعاً في عملهم فئات من المستشرقين الذين خدموا الكنيسة بدراسة أحوال الشرق الإسلامي وتحليل مواطن ضعفه ومحاولة تشكيك أهله في عقائدهم ومبادئهم . وخدموا الاستعمار بتقديم التقارير عن أحوال البلدان التي كانوا يزورونها بصفتهم من الرحالة ، وكانوا يعملون جواسيس لحكوماتهم وبلدانهم ، يدلون على عورات المسلمين ومواطنيهم وضعفهم .

الأسلوب الجديد في الحروب الصليبية :



اتخذ الأسلوب الجديد في الحروب الصليبية عدة محاور ، وهي :

- ١- التبشير (التنصير) ، وتقوم به الكنيسة ، وتدعمه الحكومات النصرانية.
 - ٢- الاستشراق ، ويقوم به رجال العلم والفكر لخدمة الكنيسة وخدمة الحكومات النصرانية .
 - ٣- الاستعمار العسكري .
- وهذه المحاور تخدم مطامع الكنيسة ، ورجال الحكم ، ورجال الاقتصاد والمال ، ولذلك تكافقت هذه الفئات وتعاونت فيما بينها . وإليك الحديث عن واحد من هذه المحاور ، وهو: التبشير .
- التبشير (التنصير) :**

معنى التنصير : التنصير حركة سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية ، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة ، وبين المسلمين بخاصة ، بهدف إحكام السيطرة على الشعوب^(١) ، والمقصود به تحويل المسلمين عن دينهم إلى النصرانية. وهذا الهدف تسعى له الكنيسة بقوة ، يقول روبرت ماكس ، المنصر الأمريكي : لن نتوقف جهودنا وسعيينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة ، ويقام قداس الأحد في المدينة^(٢) .

(١) التنصير ومحاولاته في الخليج د. عبد العزيز العسكر ص ١٣ .

(٢) الزحف إلى مكة د. عبد الودود شلبي ص ١٣ .



١- الخدمات الصحية :

وذلك بتأسيس المستشفيات والمستوصفات النصرانية ، وتوجيه الأطباء المتنقلين ، وكما قال أحد المنصرين :
حيث تجد بشراً تجد آلاماً ، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب ، وحيث تكون الحاجة إلى
الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير (التنصير)^(١).

وكان من أوائل ذلك : العيادة الطبية الأمريكية في (سيواس) التركية ، عام ١٨٥٩ م .
وبعد عام ١٨٧٥ م أنشئت المراكز الطبية الصليبية في غزة ، ونابلس ، وغيرها من المدن في سورية وفلسطين .

٢- مجال تأسيس الكنائس والأديرة والرهبانات :

وذلك في كل بلد إسلامي يوجد فيه نصارى ، ولو لم يتجاوز عدد أصابع اليدين ، بل إنهم أسسوا الكنائس
في بلدان لا يوجد فيها نصارى من أهلها الأصليين^(٢).

٣- مجال تأسيس المدارس :

وقد أسسوا مدارس كثيرة في بلدان العالم الإسلامي لمختلف المراحل التعليمية ، ومنها : الجامعة الأمريكية
في بيروت ، والقاهرة ، والجامعة اليسوعية ، وكلية روبرت بإستانبول ، وكلية غوردن بالخرطوم ، وغيرها
مما لا يكاد يحصر .

٤- مجال الخدمات الاجتماعية المختلفة :

كدور الأيتام ، والعجزة ، والأرامل ، والمطلقات ، ونحو ذلك .

٥- تأسيس الإذاعات الموجهة إلى بلاد المسلمين بلغاتهم ، ومنها :

إذاعة (صوت الغفران) ، وإذاعة قبرص في نيقوسيا ، وإذاعة مونت كارلو ، وإذاعة صوت البشارة من
أديس أبابا ، ورايو الفاتيكان .

٦- توزيع المطبوعات والمنشورات الداعية إلى النصرانية ، وتأليف الكتب .

(١) التبشير والاستعمار ، خالد وفروخ ص ٥٩ .

(٢) التنصير ومحاولاته في بلاد الخليج العربي ص ٥٥ وما بعدها .

مؤتمرات المبشرين :



وهي كثيرة ،منها :

- ١ - المؤتمر التبشيري الذي انعقد في القاهرة ، سنة ١٩٠٦ م ، برئاسة القسّ زويمر ، وقد وجّه المؤتمرين لضرورة استخدام الوسائل التالية في التبشير :
 - أ- استخدام وسيلة العزف الموسيقي الذي يميل إليه الشرقيون كثيراً .
 - ب- تأسيس الإرساليات الطبية التي يجب أن تُنبثَّ بينهم .
 - ج- ضرورة تعليم المبشرين لهجات المسلمين العامية واصطلاحاتها ، نظرياً وعملياً .
 - د- أن يخاطب المبشرون عوام المسلمين على قدر عقولهم ومستوى علمهم .
 - هـ- ينبغي أن يلقي المبشرون الخطب على عوام المسلمين بأصوات رخيمة .
- ٢ - مؤتمر كلورادو ، بأمريكا ، سنة ١٩٧٧ م ، وهذا المؤتمر من أخطرها وأكبرها ، وقد حضره ١٥٠ مؤتمراً ، هم من أبرز قادة التنصير في العالم ، وكان نتائجه : جمع ألف مليون دولار للتنصير ، واقتراح خطة التنصير الجماعي للمسلمين ، والتي ظهرت بعض آثارها في أندونيسيا .

بعض القضايا التي يثيرها المبشرون في مجتمعات المسلمين :



- ١- التشكيك في العقيدة الإسلامية ، وفي نبوة محمد ﷺ .
- ٢- محاربة اللغة العربية الفصحى .
- ٣- إثارة قضايا المرأة .
- ٤- تشويه التاريخ الإسلامي .

الأسئلة



- س ١ : تحدث عن نتائج الحروب الصليبية القديمة .
- س ٢ : تحدث عن الفئات التي شجعت للعودة إلى الشرق الإسلامي في العصور الحديثة .
- س ٣ : ما التبشير ؟ وما هدفه ؟ واذكر ثلاثة مجالات نشاط المبشرين .



المذاهب الهدامة

أولاً : العلمانية :

تعريفها :

ترجمة خاطئة لكلمة أجنبية ، ترجمتها الصحيحة : اللادينية ، أو الدنيوية ، وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير الدين ، أو فصل الدين عن الدولة .

تاريخها :

يمكن أن تعتبر الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م وما تبعها من سقوط لسلطان الكنسية بدايةً لظهور الفكر العلماني وبروزه بشكل واسع ، وانتشاره في أوروبا ، حيث الثورة الفرنسية كانت ثورة علمانية أقامت مبادئها وأنشأت أسسها على العلمانية بعيدا عن الدين ورهبانه . وهي ردّ فعل على تسلّط الكنسية واستبدادها ووقوفها ضد العلم ، وتشكيلها محاكم التفتيش لمحاكمة علماء العلوم الدنيوية التجريبية .

أهم النظريات التي قام عليها الفكر العلماني وكان لها دور في تأصيله :

- ١- نظرية اليهودي (دارون) في التطور والارتقاء .
- ٢- نظرية اليهودي (فرويد) التي تعتمد فيها الدافع الجنسي ، مفسراً لكل الظواهر .
- ٣- نظرية اليهودي (ماركس) في التفسير المادي للتاريخ .

أسباب قيام العلمانية في أوروبا :

- ١- تسلط رجال الكنسية ، وجعلهم أمر المغفرة والحرمان بأيديهم حتى أصبحوا أرباباً من دون الله . حتى وصل الحال بالكنيسة أن تبيع صكوك الغفران .

- ٢- وقوف الكهنة ورجال الكنيسة ضد الفكر والعلم التجريبي .
- ٣- فقدان المسيحية المحرفة أصلاً لنظام الحياة الذي ينظم شؤون الناس في السياسة والحكم والاقتصاد والاجتماع وغير ذلك من مناحي الحياة، حيث إن الديانة النصرانية المحرفة لا تتضمن إلا بعض الأخلاق والآداب، وليس فيها نظام شامل للحياة، ولذلك اشتهر عند النصارى مقولة : (دع ما لله لله، وما لقيصر لقيصر).
- ٤- تضمن النصرانية لعقائد باطلة لا تستقيم مع العقل والفطرة ، مثل التثليث ، والخطيئة ، والتكفير .

بعض الأفكار والمعتقدات التي يدعو لها العلمانيون :

- ١ - العلمانية الغالية تنكر وجود الله أصلاً ، كما في العلمانية الشيوعية .
- ٢ - فصل الدين عن السياسة ، وإقامة الحياة على أساس مادي .
- ٣ - تطبيق مبدأ النفعية (البرجماتية)^(١) على كل شيء في الحياة .
- ٤ - اعتماد مبدأ (الميكافيلية)^(٢) . في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق .
- ٥ - الدعوة إلى تحرير المرأة وفق النموذج الغربي .
- ٦ - إحياء الحضارات القديمة الجاهلية ، كالفرعونية ، والفينيقية ، وغيرها من الدعوات في العالم الإسلامي .
- ٧ - اقتباس الأنظمة من المناهج اللادينية في الغرب .
- ٨ - تربية الأجيال تربية لا دينية ، ولذلك تكون التربية الدينية اختيارية في نظم التعليم .
- ٩ - الدعوة إلى إسقاط أحكام الشريعة في بلاد المسلمين .
- ١٠ - إخضاع كل موروث سابقاً للنقد والقصد من ذلك هدم الدين .

(١) البرجماتية : مبدأ يقوم على أنه ينبغي أن تسير حياة الناس على المصلحة والمنفعة وجوداً وعدمياً ، وليس على الحق والصواب والخير ، وهذا إسقاط لدور القيم والمبادئ والأديان في علاقات الشعوب والأفراد .

(٢) مبدأ ينسب لميكافيلي - رجل إيطالي - يدعو إلى استجازه كل وسيلة تحقق الغاية التي يسعى لها ، لخص في المقولة التالية : الغاية تبرر الوسيلة ، له كتاب : «الأمير» ، ضمّنه هذه الأفكار .

- للاستزادة ، انظر :

١- نشأة العلمانية ، د . محمد زين العرماني .

٢- فصل الدين عن الدولة ، إسمايل الكيلاني .

٣- فصل المقال فيما بين العلمانية والماسونية من الاتصال ، سامي عطا حسن .

٤- تهافت العلمانية ، عماد الدين خليل .

٥- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة .

ثانياً : الشيوعية ٣ :

التعريف بها :

مذهب يقوم على الإلحاد ، وأن المادة أساس كل شيء ، ويفسر التاريخ بصراع الطبقات ، ومحارب الملكية الفردية ، ويدعو إلى الشيوعية في الأموال والأولاد والنساء .

تاريخها :

بذور هذا المذهب قديمة جداً، وتوجد في المزدكية التي دعت إلى شيوعية النساء . وضع أسسها الفكرية في العصر الحديث يهودي ألماني يدعى (كارل ماركس) . وقامت لها دولة في روسيا من خلال الثورة البلشفية سنة ١٩١٧ م يقودها (لينين) ، واستمرت يقودها زعماء الشيوعية تحكم الناس في روسيا بالحديد والنار حتى انهارت في عهد جورباتشوف سنة ١٩٩٠ م .

أهم العقائد والأفكار الشيوعية :

- ١- إنكار وجود الله تعالى ، وكل الغيبات ، والقول إن المادة أساس كل شيء .
 - ٢- محاربة الأديان .
 - ٣- إلغاء الملكية الفردية .
 - ٤- إنكار الروابط الأسرية .
 - ٥- الدعوة إلى دكتاتورية الطبقة العاملة .
- ولكن لم تستطع الشيوعية أن تطبق ما تدعو إليه حقيقة ، بل انتهى بها المطاف إلى التهاوي والسقوط لمخالفتها الفطرة البشرية في تكوين الأسرة والتملك والتدين وغير ذلك .

٣ للاستزادة : انظر .

١- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة

٢- نظرية ماركس ، أحمد العوايشة .

٣- نهافت الفكر المادي بين النظرية والتطبيق ، محمد البهي .

٤- أفيون الشعوب ، عباس محمود العقاد .

٦- الشيوعية والإسلام ، أحمد عبد الغفور عطار .

ثالثاً: الوجودية^٣ :

وهي : فلسفة تقوم على أن الإنسان يوجد أولاً ثم تتحدد ماهيته باختياره ومواقفه ، فهو لا يحتاج إلى موجه أو ضوابط تضبط تصرفاته وسلوكه .

والحقيقة أن فلسفة الوجودية غير واضحة المعالم حتى بين أنصارها، ولذلك يمكن اعتبارها مذهباً مختلفاً بشأنه حتى بين أتباعه.

ويمكن أن يقال : إن الوجودية فلسفة تحمل نزعة فوضوية تقوم على الحرية المطلقة للغرائز والشهوات ، حيث يرى « دستويفسكي »^(١) . (أن ما يبدو عليه العالم من نظام ومعقولية ليس إلا خداعاً فكرياً) .
ويستخدم « سارتر » فكرة أن الوجود عبث ، لينكر مبدأ الأسباب .

نشأتها :



وإن بدت الوجودية فلسفة عصرية إلا أنها تعود إلى « سقراط » و « الرواقين » ، وإلى « اغسطينوس » ، وفي العصر الحديث بدأت بذور الفكر الوجودي عند « سورين » ، « مارتين هيدغر » ، « وجان بول سارتر » .

العوامل المؤثرة على نشأة الوجودية :



للوجودية جذور اجتماعية وتاريخية توضح بعض ملامح نشأتها وتطورها ، فإن تبعات الحربين العالميتين والأزمة الاقتصادية العالمية في ثلاثينات القرن العشرين الميلادي قد طبعت مؤلفات تلك الحقبة بطابع مأسوي مهين .

يقول أحد ممثليها : « لقد نشأت تلك الوجودية في زمن حيرة وضياع ، بعد الحرب العالمية الأولى ، مع كل ما تداعى على إنسان تلك الفترة من قلق وضياع ، فحملت الوجودية في ذاتها بوضوح آثار تلك الهزة التي شملت كل شيء ، وإن ازدهار هذه المدرسة هو نتيجة للحرب العالمية الثانية التي دخلت أعماق جميع زوايا وجودنا ، وما تبع ذلك من انهيار تاريخي شامل ، هدم عالمنا الروحي بأكمله » .

٣ للاستزادة ، انظر :

١- الموسوعة الفلسفية ، د عبد المنعم حنفي .

٢- الموسوعة الفلسفية العربية ، المعهد العربي للإنهاء .

٣- المعجم الفلسفي .

٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة .

٥- الزمن الوجودي ، عبد الرحمن بدوي .

(١) أحد دعاة الوجودية.

ونتيجة للمواقف المتذبذبة للوجوديين وشعورهم بالخوف والقلق ، تقدم الوجوديون بفلسفتهم دفاعاً عن الإنسان الفرد ، بغض النظر عن الحق الاجتماعي أو التاريخي ، وعن الواقع الذي يحدد إلى مدى بعيد صورة وجوده ، فأبرزت بفعل ذهني الإنسان بعيداً عن الصراع الاجتماعي أو خارجاً عنه ، وهذا ما عرض الوجودية إلى أن تُستغل من قبل من جعلها في خدمة تطلّعاته ومصالحه .

الثوابت المشتركة بين الوجوديين :



- ١- الانقلاب على الفلسفة المفسرة للعالم والإنسان تفسيراً عقلانياً بحثاً ، يقول أحد الوجوديين : «إن أفضل ما تفعله الفلسفة أن تدع جانبا ادعاءاتها المجنونة لتفسير العالم تفسيراً معقولاً ، وأن تركز اهتماماتها على الإنسان ، فتصف الوجود الإنساني كما هو ، هذا وحده المهم أما الباقي فعبث » .
- ٢- الشعور العميق بضيق الإنسان الذي أصبح لا مأوى له ولا جذور .
- ٣- الدعوة إلى الحرية المطلقة ، وإطلاق العنان للشهوات بدون أي ضابط من ضوابط السلوك . وهذا يعني الانسلاخ من الالتزامات الدينية ، والضوابط الخلقية .

رابعاً: القومية ٣:

تعريفها:



القومية تعني ما يسمى قديماً بالعصبية القبلية ، والمقصود بها : الاعتزاز بالعرق أو الجنس ، وجعله محور الارتباط بدل الارتباط بالدين .

وهي ترجمة لمصطلح غربي يعبر عن ظاهرة برزت في المجتمعات الغربية في القرن التاسع عشر الميلادي ، تصور وعياً جديداً يمجّد جماعة محدودة من الناس ، يضمها إطار جغرافي ثابت ، ويجمعها تراث مشترك ، وتنتمي إلى أصول عرقية واحدة .

نشأتها :



نشأت فكرة القومية في أوروبا ، وذلك في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، فكان هناك القومية الألمانية التي تقوم على أساس الاعتزاز بالعرق الآري ، وأن ألمانيا فوق الجميع ، وكان هناك الحركة القومية الإيطالية ، وكان هناك القومية اليونانية ، وغيرها من القوميات الأوربية .

وقد انتقلت فكرة القومية إلى البلاد العربية في أواخر القرن التاسع عشر ، وكان النصارى العرب أول من حمل فكرة القومية العربية ونشرها .

يقول جورج أنطونيس : « بدأت قصة الحركة القومية للعرب في بلاد الشام سنة ١٨٤٧م بإنشاء جمعية أدبية قليلة الأعضاء في بيروت ، وفي ظل رعاية أمريكية »^(١) .

ومن الرجال الذين كان لهم دور في الدعوة إلى القومية العربية من النصارى : ناصيف اليازجي ، وبطرس البستاني . عن ناصيف اليازجي يقول جورج أنطونيس : وكان طرافة دعوته وحدثها تثيران انتباه الناس ، لأنه كان يتجه بها إلى العرب على اختلاف عقيدتهم : النصارى والمسلمين جميعاً ، وكان يهيب بهم أن يتذكروا

(١) يقظة العرب س ٧١ .

٣ للاستزادة انظر :

١- نقد القومية العربية ، لساحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز . ٢- فكرة القومية العربية في ميزان الإسلام ، صالح بن عبد الله العبود .

٣- حقيقة القومية العربية ، محمد العزالي . ٤- يقظة العرب ، جورج أنطونيس .

٥- المذاهب والأفكار المعاصرة ، محمد الحسن . ٦- الحركات القومية في ميزان الإسلام ، منير محمد نجيب .

تراثهم المشترك ، وأن يشيدوا على أساسه مستقبلاً يجمعهم إخواناً متآلفين ، ونشأ أطفاله الاثني عشر بنين وبنات على هذه الآراء ، وأعدهم بحماسة حتى بلغ من تأثر أبنائه بتعاليم أبيه أن أصبح فيما بعد أول من نادى بالتححر القومي للعرب^(١) .

وقد ساعدهم في ذلك الدول الاستعمارية ، كبريطانيا ، والمنظمات الماسونية السرية . يقول لورنس : « لقد كنت مؤمناً بالحركة العربية إيماناً عميقاً ، وكنت متأكداً من قبل أن آتي إلى الحجاز أن هذه الفكرة ستحزن تركيا ، وتقضي على امبراطوريتها شذر مذر »^(٢) . ويقول : « لقد طلب مني أن أعيش مع هؤلاء العرب كرجل غريب لا يقدر أن يجاريهم في معتقداتهم وتفكيرهم ، وكنت مضطراً لتدريبتهم وتوجيههم في الاتجاه الذي ينسجم وسياسة بريطانيا المحاربة »^(٣) .

أسس الفكر القومي :

يقوم الفكر القومي على العناصر التالية :

١- نظرية العرق (الجنس) .

٢- عنصر التاريخ .

٣- عنصر اللغة .

نقد الفكر القومي :

الفكر القومي يسقط الدين من اعتباره ، فيجمع بين النصراني واليهودي والمسلم والملحد الشيوعي ، ومن لا دين له برابط القومية فقط ، بل إنه يعتبر الدين عائقاً في سبيل القومية . وإليك الدليل من أقوال القوميين أنفسهم : يقول ساطع الحصري (وهو كبير القوميين العرب) : « وأما من عارض الوحدة العربية باسم الوحدة الإسلامية أو بحجة الوحدة الإسلامية فيكون قد خالف أبسط مقتضيات العقل والمنطق مخالفة صريحة »^(٤) . ويقول مصطفى الشهابي : « ومن الأجرام الفضيعة أن يتخلى أفراد الأمم الضعيفة عن عقيدة القومية وأن يتجاوزوها إلى الإيمان الأعمى بعقيدة العالمية أو الأمية في هذا الزمن »^(٥) .

(١) يقظة العرب ص ١٠٩ وما بعده .

(٢) المذاهب والأفكار المعاصرة ، محمد الحسن ، ص ٢٣١ .

(٥) فكرة القومية ص ٥١ .

(٣) نفس المرجع ص ٢٢١ .

ويقول أحمد زكي : « والوحدة العربية يجب أن تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزل وحدة الله من قلوب قوم مؤمنين » (١) .

الحكم على الفكرة القومية :



لا شك أن الفكرة القومية رَدَّةٌ إلى الجاهلية ، وَضُرْبٌ من ضروب الغزو الفكري الذي أصاب العالم الإسلامي ؛ لأنها في حقيقتها صدى للدعوات القومية التي ظهرت في أوروبا .
ويصفها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بأنها : « دعوة جاهلية إحدادية ، تهدف إلى محاربة الإسلام ، والتخلص من أحكامه وتعاليمه » .
ويقول عنها - أيضاً - « وقد أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرف من القول ، فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الإسلام ، واغتر بها كثير من الأغمار ، ومن قلدتهم من الجاهل ، وفرح بذلك أرباب الإلحاد وخصوم الإسلام في كل مكان » .

(١) فكرة القومية ص ٧٠ .

خامساً: القاديانية ٣ :

وهي: فرقة نشأت في الهند، أسسها: غلام أحمد القادياني، في الهند، بمعونة من الإنجليز .

دور الانجليز في إنشاء القاديانية :



لما استعمرت انجلترا الهند ووجهت بحركة مقاومة عنيفة من المسلمين في الهند وقامت الكثير من حركات الجهاد الإسلامي ، ومع أنها متقطعة ، ولم تنجح في إيقاف المد الاستعماري وإقامة نظام الإسلام ودولته، إلا أنها أذكت في قلوب المسلمين قبس الجهاد، إلى أن انفجر بركان الثورة على الإنجليز سنة ١٨٥٧م، وكاد المسلمون أن ينجحوا، ولكن الإنجليز قضوا عليهم بكل عنف وقسوة. فكان لابد من خطة لإفساد عقيدة الجهاد. جاء في وثيقة بريطانية ما نصه: « إن الإنجليز أرسلت وفداً من المبشرين والمستشرقين في سنة ١٨٦٩م إلى الهند لدراسة أفضل الوسائل وأنجح الطرق التي يمكن أن تتخذ لتسخير المسلمين، وحملهم على طاعة السلطة البريطانية، فلما رجع الوفد سنة ١٨٧٠م قدّم تقريرين للحكومة جاء فيهما: إن أكثر المسلمين في الهند يتبعون زعماءهم الدينيين، فلو وجدنا شخصاً يدّعي أنه نبي لاجتمع حوله عدد من الناس .. والآن ونحن مسيطرون على سائر الهند نحتاج إلى مثل هذا العمل لإثارة الفتن بين الشعب الهندي وجمهور المسلمين، ولإثارة الاضطرابات الداخلية والمجالات العنيفة بين المسلمين أنفسهم».

من عقائد القاديانية :



- ١- يعتقدون أن غلام أحمد هو المسيح الموعود، وهو أفضل الأنبياء جميعاً.
- ٢- كل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية.
- ٣- يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات والمسكرات.
- ٤- يلغون عقيدة الجهاد، ويرون الطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية.
- ٥- يعتقدون أنهم أصحاب دين جديد مستقل، وأن رفاق غلام أحمد كالصحابة.

٣ للاستزادة، انظر :

- ١- طائفة القاديانية، محمد الخضر حسين .
- ٢- القادياني والقاديانية، أبو الحسن الندوي .
- ٣- حقيقة القاديانية والبابية والبهائية، سامي عطا الحسن .
- ٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة .
- ٥- المذاهب والأفكار المعاصرة، محمد الحسن
- ٦- القاديانية، إحسان إلهي ظهير .

سادساً: البابية والبهاية^٣:

تعريفها:



هي: حركة نشأت سنة ١٢٦٠هـ تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزي، بهدف إفساد العقيدة الإسلامية، وتفكيك وحدة المسلمين وصر فهم عن قضاياهم الأساسية .

تاريخها :



أسسها المرزا علي محمد رضا الشيرازي، الذي أعلن أنه الباب^(١)، سنة ١٨٤٤م بمساعدة الحكومة الروسية يقول « كينازدا الفوركي » المترجم في السفارة الروسية في إيران في مذكراته: « إنه يبحث عن الزائغين في عقيدتهم الإسلامية لضرب المسلمين بهم ضربة تقضي على وحدتهم، فكان من أسهل الطرق الموصلة إلى ذلك إيجاد الخلافات الدينية ونشرها، وتأجيج نارها فيما بينهم، فبعد البحث والتحري عثرتُ على طائفة تخالف المسلمين في كثير من عقائدهم، فدخلت في حلقة السيد كاظم الرشتي، كان كثيراً ما يردد ذكر المهدي . ثم يقول: وقد سألت كاظم الرشتي عن المهدي أين هو؟ فقال: أنا أدري؟! قد يكون في هذا المجلس، ثم يقول: فرأيت في المجلس: الميرزا على محمد الشيرازي (الذي أصبح زعيم البابية فيما بعد) فتبسمت، وصممت في نفسي على أن أجعله المهدي المزعوم». ثم جاء بعد الباب الميرزا حسين على بن الميرزا عباس، المعروف بـ (بزرگ) ثم تلقب بالبهاء (بهاء الله) وإليه تنسب البهاية، وقد ادعى الألوهية.

من عقائدهم :



- ١- يعتقد البهائيون أن الباب هو الذي خلق كل شيء بكلمته.
- ٢- يقولون بالحلول والاتحاد.
- ٣- يقولون بالتناسخ وخلود الكائن.

٣ للاستزادة، انظر: حقيقة القاديانية والبابية والبهاية، سامي عطا الحسن .

(١) ومعنى الباب: أنه الوسيلة الموصلة إلى معرفة الحقيقة الإلهية .

- ٤- يقدسون العدد (١٩)، فالشهور (١٩) شهراً، وأيام الشهر (١٩).
- ٥- يوافقون اليهود والنصارى في القول بصلب المسيح.
- ٦- يحرمون الحجاب على المرأة، ويحللون المتعة وشيوعية النساء والأموال.
- ٧- ادعى البهاء أنه الله.

الأسئلة



- س ١: تحدث عن منشأ القومية في البلاد العربية.
- س ٢: تحدث عن دور الانجليز في نشوء القاديانية.
- س ٣: اذكر أربعاً من عقائد البهائيين الباطلة.

المجالس وآدابها

أنواع المجالس:

- الإنسان اجتماعي بطبعه، ولا بد له من الجلوس مع الآخرين، ولهذا اعتنى الإسلام بعلاقة المسلم مع غيره، ووجهه لما فيه صلاحه في الدنيا والآخرة.
- وعند النظر نجد أن المجالس أنواع، هي:
- أ- نوع محمود، كمجالس العلماء، وأهل الصلاح، وحلقات العلم، ومجالس الوعظ والتذكير، وكل ما يعود على المرء بنفع في دينه، وهذه ينبغي العناية بحضورها وتطلبها.
- ب- نوع مذموم، كمجالس أهل السوء، والكلام الفاحش البذيء، والغيبة، والكذب، والمجالس التي يراد بها نشر الفساد، ونحو ذلك، وهذه الواجب اجتنابها، وتنكّب طريقها.
- ج- نوع مباح، وهي المجالس التي لا تشتمل على السوء، ولا ترتقي إلى أن تكون مجالس نافعة، إنما فيها الكلام المباح، والمزاح البريء، ونحو ذلك.
- د- والإكثار من هذا النوع مضيع للزمان، وربما جرّ إلى ممنوع.

أنواع المجالس:

- ١- السلام عند الدخول والخروج، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: « إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة »^(١).
- ٢- أن يجلس حيث ينتهي به المجلس، ويتواضع، ولا يتصدر إلا أن يصدره، ويجلس حيث يطلب منه صاحب الدار.
- عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: « كنا إذا أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس أحدنا حيث ينتهي به المجلس »^(٢).
- وقال إبراهيم النخعي: إذا دخل أحدكم بيتاً، فأينما أجلسوه فليجلس، هم أعلم بعورة بيتهم^(٣).

(١) رواه أحمد ٢/٢٨٧، وأبو داود، في الأدب باب السلام إذا قام من المجلس ٥/٣٨٦، رقم (٥٢٠٨)، والترمذي في الاستئذان، باب في التسليم عند القيام ٥/٦٢ رقم (٢٧٠٦)، وحسنه.

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأدب في التحلق ٥/١٦٤، رقم (٤٨٢٥)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٤١).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة ٥/٢٣٥ (كتاب الأدب).

٣- التفسح والتوسع للداخل، ولا يقيم أحد أحداً من مكانه ليجلس فيه، ولا يفرق بين اثنين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(١).

وقال: ﷺ: « لا يقيم الرجل الرجل من مقعده ثم يجلس فيه، لكن تفسحوا أو توسعوا »^(٢)، وقال أيضاً: « ولا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنها »^(٣).

٤- التزام الأدب في الجلوس، فلا يمد رجليه إلى الجالسين إلا من عذر، أو يجلس جلسة تنكشف فيها عورته، أو يتوسع في جلسته والمكان ضيق فيضيق على الآخرين، ولا يجلس كهيئة المضطجع، ونحو ذلك.

٥- من قام من مجلسه ثم رجع إليه فهو أحق به، قال ﷺ: « إذا قام أحدكم من مجلسه، ثم رجع إليه فهو أحق به »^(٤).

٦- التزام أدب الحديث، فلا يتكلم بالسوء، أو يكثر الخصام والجدل، ويتقي الطيب من كلام، ولا يقاطع المتحدث، أو يظهر علمه بما يقول.

تحدث رجل عند عطاء بن أبي رباح، فاعترض له آخر في حديثه، فقال عطاء: سبحان الله! ما هذه الأخلاق؟ ما هذه الأحلام؟! إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه، فأريهم من نفسي أني لا أحسن منه شيئاً. وقال أيضاً: إن الشاب ليتحدث بحديث فأستمع له كأني لم أسمع، ولقد سمعته قبل أن يولد^(٥).

٧- التزام الأدب مع الحاضرين، فيوقر الكبير، ويرحم الصغير، ويعرف للعالم قدره، فلا يتكلم في مسائل العلم متقدماً عليه إلا أن يستأذنه، أو يطلب منه العالم ذلك.

٨- ألا يخلو المجلس من ذكر الله تعالى، والصلاة على رسوله ﷺ، قال ﷺ: « ما تعد قوم مقعداً لا يذكرون الله فيه، ويصلون على النبي ﷺ إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة، وإن دخلوا الجنة »^(٦). وفي رواية أخرى: « إلا قاموا عن مثل جيفة حمار »^(٧).

(١) آية ١١ من سورة المجادلة .

(٢) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، باب لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه (الفتح ١١/ ٦٢)، رقم (٦٢٦٩)، ومسلم، كتاب السلام، باب تحريم إقامة الإنسان من موضعه المباح الذي سبق إليه ٤/ ١٧١٤ رقم (٢١٧٧).

(٣) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب الرجل يجلس بين رجلين بغير إذنها ٥/ ١٧٥ رقم (٤٨٤٥)، والترمذي، وفي الأدب، باب كراهية الجلوس بين الرجلين بغير إذنها ٥/ ٨٩ رقم (٢٧٥٢).

(٤) رواه مسلم، كتاب السلام، باب إذا قام من مجلسه ثم عاد فهو أحق به ٤/ ١٧١٥ رقم (٢١٧٩).

(٥) رواهما الخطيب الغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/ ٢٠٠.

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه، وهذا لفظه ٢/ ٣٥٣-٣٥١ وله روايات عنده، والترمذي في الدعاء، باب القوم يجلسون ولا يذكرون الله ٥/ ٤٦١ رقم (٣٣٨٠)، وقال حسن صحيح، وانظر: النسائي في اليوم واللييلة رقم (٤٠٣)، وما بعده، وصححه ابن القيم في جلاء الأفهام ص ١٤.

(٧) رواه أبو دواد في الأدب، باب كراهة أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله ٥/ ١٨١ رقم (٤٨٥٥)، والنسائي في اليوم واللييلة رقم (٤٠٨)، (٤١١).

٩- حسن الاستفادة من المجلس بما ينفع، وعدم تضييع الزمان بما لا يفيد، ومحاولة توجيه المجلس إلى الخير، ودفع الشر عنه - لو حدث - ، فلا يسمح فيه بالكذب، والغيبة، والسب والشتم، وعلى كل مستطيع أن يغير ما يراه فيه من منكر وخطأ، فإن لم يحصل التغيير فينقلب المجلس إلى مجلس مدموم، والجلوس فيه تحصيل لإثم، فعليه القيام منه، قال تعالى:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَرِيثٍ غَيْرَةٍ﴾^(١).

وقال: ﴿لَا حَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾^(٢).

١٠- إذا انتهى المجلس، أو أراد الخروج، فعليه أن يقول كفارة المجلس، وهي هذا الدعاء. « سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك ». كان النبي ﷺ يقول إذا أراد أن يقوم من المجلس، فسئل عنه فقال: « كفارة لما يكون في المجلس »^(٣).

الأسئلة



- س ١: ما أنواع المجالس؟ مع التمثيل لكل نوع بمثالين.
- س ٢: عدد ثلاثة من آداب المجالس، مستشهداً على اثنين منها.
- س ٣: اذكر خمس وسائل - من إنشائك - يمكن عن طريقها الاستفادة من مجالسنا.

(١) آية ٦٨ من سورة الأنعام .

(٢) آية ١١٤ من سورة النساء .

(٣) رواه أبو دواد في الأدب، باب كفارة المجلس ١٨٢/٥ رقم (٤٨٥٩). وانظر: سنن الترمذي رقم (٣٤٣٣)، وابن حبان رقم (٥٩٤)، وغيرهم، وقد صححه الحافظ ابن حجر وأطال الكلام عليه في النكت على ابن الصلاح ٧١٥/٢-٧٤٥.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخي المعلم
أخي المشرف
أخي ولي الأمر
أخي الطالب

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد :

يطيب لوحة العلوم الشرعية في الإدارة العامة للمناهج بالوزارة أن تتلقى
ملحوظاتكم ومقترحاتكم على كتب العلوم الشرعية على العنوان التالي :

١ - الهاتف المباشر (٠١ ٤٠٢١٠٩٥)

٢ - هاتف الوزارة (٠١ ٤٠٤٦٦٦٦ - ٠١ ٤٠٤٢٨٨٨)

تحويلة (٢٥٢٣ - ٢٥٢٤ - ٢٥٢٥ - ٢٥٣٥)

٣ - الفاكس (٠١ ٤٠٨١٢٩٧)

٤ - البريد الإلكتروني لوحدة العلوم الشرعية : (runit@moe.gov.sa)

